

الْإِصْرَارُ عَلَى الدَّعْوَى

أُسُسُهُ الْمَعْرِفِيَّةُ وَتَطْبِيقَاتُهُ الْمَنْهَجِيَّةُ

الدُّكْتُور

مُحَمَّدُ بَابِكُزَّ الْعَوْضُ عَبْدُ اللَّهِ



1401 هـ - 1981 م
1401AH - 1981AC

المعهد العالمي للفكر الإسلامي

الْأَقْصَى الدَّعْوَى

أُسُسُ الْمَعْرِفَةِ وَتَطْبِيقَاتُ الْمَنْهَجِيَّةِ

الْإِصْنَالُ الدَّعَوِي

أُسُسُهُ الْمَعْرِفِيَّةُ وَتَطْبِيقَاتُهُ الْمَنْهَجِيَّةُ

الدُّكْتُور

مُحَمَّدُ بَايَكُرُّ الْعَوْضُ عَبْدُ اللَّهِ



١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م
1401AH - 1981AC

المعهد العالمي للفكر الإسلامي



١٩٨١ هـ - ١٤٠١ م
1401AH - 1981AC

© المعهد العالمي للفكر الإسلامي - هرندن - فرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية

الطبعة الأولى ١٤٤٠ هـ / ٢٠١٩ م

الاتصال الدعوي: أسسه المعرفية وتطبيقاته المنهجية

تأليف: محمد بابكر العوض عبد الله

٢- أسس الاتصال الدعوي المعرفية

١- الاتصال الدعوي

٣- تطبيقات الاتصال الدعوي العملية ٤- نظم التعليم والاتصال الدعوي

٦- علم الاتصال الإسلامي

٥- علم الدعوة

ردمك (ISBN): ٩٧٨-١-٥٦٥٦٤-٨٢٢-٧

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٢٠١٨/١١/٥٨٨٤)

ردمك (ISBN): 978-9923-736-00-5

جميع الحقوق محفوظة للمعهد العالمي للفكر الإسلامي، ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل أو واسطة من وسائط نقل المعلومات، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي مسبق من المعهد.

المعهد العالمي للفكر الإسلامي

The International Institute of Islamic Thought

P.O.Box: 669, Herndon, VA 20172 - USA

Tel: (1-703)471 1133, Fax: (1-703)471 3922

www.iiit.org/ iiit@iiit.org

مكتب الأردن - عمان

ص.ب ٩٤٨٩ الرمز البريدي ١١١٩١

هاتف: +٩٦٢٦٤٦١١٤٢١ فاكس: +٩٦٢٦٤٦١١٤٢٠

www.iiitjordan.org

الكتب والدراسات التي يصدرها المعهد لا تعبر بالضرورة عن رأيه وإنما عن آراء واجتهادات مؤلفيها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المحتويات

٩	 المقدمة
٢٥	الباب الأول
	التأسيس المنهجي للاتصال الدعوي
٣١	الفصل الأول: مدخل إلى تكامل مفاهيم الدعوة والاتصال
٣٢	أولاً: الدعوة بوصفها مفهوماً اتصالياً
٥١	ثانياً: تعريف عام للاتصال الإنساني
٥٦	ثالثاً: العلاقة بين الدعوة والاتصال
٦٩	الفصل الثاني: التكامل المنهجي بين الدعوة والاتصال
٧٠	أولاً: مبدأ التكامل في مناهج العلوم الاجتماعية والإنسانية
٧٨	ثانياً: واقع العلاقة بين علم الاتصال والعلوم الأخرى
٨٣	الباب الثاني
	التأصيل النظري للاتصال الدعوي
٨٧	الفصل الأول: الأسس القرآنية للاتصال الدعوي
٩٠	أولاً: الأسس القرآنية للمعرفة الاتصالية:
١٠٢	ثانياً: الأبعاد الوجودية والحضارية للاتصال في القرآن
١٠٥	ثالثاً: بعض مبادئ ومركزات التواصل الإنساني في القرآن:
١٠٨	رابعاً: من خصائص الرؤية القرآنية للاتصال:
١١٣	الفصل الثاني: الهدي النبوي في الاتصال الدعوي
١١٣	أولاً: وقفة مع مقام النبوة ودعوة الرسل
١١٧	ثانياً: أهمية دراسات السنة والاتصال
١٢٦	ثالثاً: معالم الرؤية التواصلية في السنة المطهرة
١٢٨	رابعاً: تنظيم حركة الاتصال الدعوي في عهد النبي ﷺ
١٣٩	الفصل الثالث: ملامح الإطار النظري للاتصال الدعوي
١٤٢	أولاً: خصائص النظرية الاتصالية وموضوعاتها

١٤٧	ثانياً: نظريات التأثيرات المعرفية لوسائل الاتصال
١٤٨	ثالثاً: اتجاهات نقد النظرية الاتصالية
١٥٠	رابعاً: نحو نظام اتصالٍ إسلامي
١٥٧	الباب الثالث
	الجوانب العملية للاتصال الدعوي
١٦١	الفصل الأول: الفعل الدعوي المفهوم والخصائص
١٦١	أولاً: مفهوم الفعل الاتصالي
١٦٢	ثانياً: أركان الفعل الدعوي
١٧٣	ثالثاً: مستويات وميادين الفعل الدعوي
١٨١	الفصل الثاني: الاتصال الدعوي المقصد والوظيفة والتأثير
١٨٤	أولاً: مقاصد الفعل الاتصالي
١٨٥	ثانياً: المقاصد الدعوية
١٩٢	ثالثاً: وظائف الاتصال الدعوي
٢٠٣	رابعاً: مبادئ وقواعد الاتصال الدعوي
٢٠٦	خامساً: فاعلية الاتصال الدعوي
٢١٥	الباب الرابع
	الاتصال الدعوي في أنظمة التعليم
٢١٩	الفصل الأول: الاتصال الدعوي في المناهج الجامعية
٢٢٠	أولاً: المناهج الدراسية، وأهميتها في مجال الاتصال الدعوي
٢٢٣	ثانياً: تجارب الجامعات في تدريس مناهج الاتصال الدعوي
٢٣٧	الفصل الثاني: البحث العلمي في الاتصال الدعوي
٢٣٨	أولاً: مفهوم بحوث الاتصال الدعوي وأهميتها
٢٤١	ثانياً: توجيه البحث في مجال الاتصال الدعوي
٢٤٨	ثالثاً: مقترحات لبحوث جامعية في مجال الاتصال الدعوي
٢٧٣	الخاتمة
٢٧٧	المراجع
٢٨٩	الكشاف

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

تزكو المعارف وتتجدد، وتكتسب أهم خصائصها حين يغدو العلم مظهرًا من مظاهر العبودية لله عَزَّجَلَّ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. وإذا كان العلم القائم على ما وصل إليه من فتوحات مذهلة يرجع منجزاته كلها للتفاعل بين العقل البشري والوجود الكوني؛ فإن ما يميز المعرفة الإسلامية أن معطياتها تأتي نتيجةً للتفاعل الدائم بين معطيات الفطرة البشرية القائمة على تمام التعقل في ارتباطها بالوحي الإلهي والحقائق الموضوعية في ارتباطها بالعلم الناتج عن السعي المعرفي للإنسان.

ويشهد التاريخ أن كسب وإسهام مجتمعات التوحيد في ضروب المعرفة الإنسانية يعظم ما حرصوا على ذلك التفاعل وانضبطت لديهم حركة علمية بمنهجية تقوم على التنسيق الدقيق بين "مطلعية" حكم الوحي "القرآن الكريم" و"معيارية" حكمة السنة النبوية المطهرة، و"دينامية" الواقع البشري المتمادي في صيرورته وتطوره وكدحه إلى الله تعالى.

إن خلود الرسالة الإسلامية وامتدادها زماناً ومكاناً رهن بهذا التفاعل الخلاق القادر على توليد العلم التوحيدي المتماهي مع المسيرة المبصرة للكون والإيفاء بالاحتياجات المعرفية المتجددة والمجددة للمسيرة البشرية والتجربة الإنسانية، وإن من أهم ما وصل إليه الإنسان المعاصر من الحقائق أن العلم والمعرفة قوة في المنطق والمعالجات والنتائج، وهي بذلك قوة في يد من يمتلكها ويوظفها، فالمتمكن من المعرفة وتطبيقاتها قادر على التحكم والتأثير في المتعاملين مع تلك المعرفة، استخداماً وتوظيفاً.

لقد حظيت الدعوة الإسلامية منذ انطلاقتها باهتمام أوليائها من المؤمنين، وازدراء أعدائها في مجتمع الدعوة الأول من عشائر أم القرى ومن حولها، والجيوب الكتابية المحيطة بجزيرة العرب وما وراء ذلك من محاور القوى الدولية من الفرس والروم وحلفائهم في الشام والعراق واليمن، مما جعل ظهور الأمة الإسلامية في قفر من الحضارة وشيوع ذكرها بعد خوله لقرون، ولفتها المفاجئ لأنظار العالم ظاهرة وانتقاله كبرى في مسار التاريخ البشري.

فقد مهّدت العناية الإلهية لهذه اللحظة قبل مجيء النبي ﷺ وأمته، وفي سورة الفتح ينقل القرآن الكريم الصورة التي عرضتها الكتب السماوية السابقة للنبي وأصحابه، قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّاعًا سَاجِدًا يُبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَّعًا أَخْرَجَ شَطْرَهُ فَتَازَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩]. وقوله تعالى عن هذه الأمة: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ويقدم القرآن بسوره وآياته سرداً لموضوعات الدعوة وقضاياها والمتعاملين معها وأنماط استجابتهم لها، عارضاً الدعوة الإسلامية باعتبارها سمة حضارية للأمة المسلمة، وضامناً أساسياً لفاعليتها الكونية، قال عَلَيْهِ السَّلَام: "لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكنَّ الله أن يعمَّكم بعذاب من عنده"^(١) واستمراريتها التاريخية، فتسرد آياته البينات تتبعاً تاريخياً وتحليلاً نفسياً لحركة الدعوة في مسيرة الوجود الإنساني.

(١) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى. جامع الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون: بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د. ت. ج ٤، ص ٤٦٨، رقم الحديث: (٢١٦٩).

وتمثل قضية التوحيد محور الدعوة الإسلامية وقطب رحاها وموضوعها الرئيس. وهو ما جعل الدعوة ترد في كتاب الله عادة باعتبارها أشرف المهام والوظائف التي تولّاها من البشر صفوتهم، وأكثرهم تميزاً في مختلف المراحل، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣] قال الحسن البصري عند هذه الآية: "هو المؤمن أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحاً في إجابته، فهذا حبيب الله هذا ولي الله."

وتأتي السنة مُصدّقة لما أورده القرآن حول دعوة التوحيد، شارحة له، ومؤكدة عليه، وقد أشرف النبي ﷺ على تنظيم حركة الدعوة ونظام الاتصال في حياة المسلمين، فوضع لها المبادئ العامة، وفي مقدمتها "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" وبنى مؤسساتها وأهمها "المسجد"، واهتم بالقائمين على أمرها، والمطلعين بمهامها. وتعكس الآثار النبوية تقديراً عظيماً لـ"لوظيفة الاتصالية" وتنوياً بآثارها في نشر الإسلام وتنظيم حياة المسلمين، ومن الشواهد الدالة على تنويه السنة بتلك الوظيفة وبآثارها الثقافية والاجتماعية قوله ﷺ: "نَصَّرَ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي، فَحَفِظَهَا وَوَعَاَهَا وَأَدَّأَهَا، فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ غَيْرِ فقيه، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ." وزاد فيه "ثلاث لا يغلُّ عليهنَّ قلبُ مسلم: إخلاصُ العملِ لله، والنصيحةُ للمسلمين، ولزوم جماعتهم؛ فإنَّ دعوتهم تُحِيطُ من ورائهم." (١)

نظرة منهجية على الواقع الدعوي:

إن أول استهداف كفيل بأن يؤدي بالأمة، وينحرف بها عن مسارها، هو ذلك الاستهداف الذي يفلح في أن يصيب نظامها المعرفي، وعقليتها العلمية فتفقد البوصلة. ولعلَّ استهدافاً من هذا النوع حاضر جرّاء عوامل داخلية تُعزز القابلية للاستتباع ضمن أنظمة الآخر المحلية والدولية، ولا خلاف أن أنظمة الإعلام والاتصال هي

(١) القزويني، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه. سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٢هـ، ج ١، ص ٨٤، رقم الحديث: (٢٣٠).

الأكثر مسارعة في هذا الاتجاه، ويعزز ذلك أن الأمة قد وقعت في إسار الاستجابة السلبية للتحدي الحضاري الذي يجسده النموذج الغربي، وكما تهاوت البنى التقليدية لنظم الحياة العامة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية أمام طوفان الاستعمار والعولمة والحدثة؛ فإن نظم الاتصال والإعلام تعرضت هي الأخرى لأضرار مَسَّت الجوانب المنهجية والعلمية والإجراءات التطبيقية والعملية، وأصبح الاندماج ضمن نماذج العولمة والتحديث والمسارة في استجلاب وتمكين تطبيقاتها وتحقيق مقاصدها هو غاية ما تبتغيه أنظمة الاتصال في البلاد المسلمة. ولا شك في أن تلك المسارعة الحثيثة والتقبل التام والاستجابة السالبة تُعبر عن حالة من الافتقار لمعنى الاستيعاب الإيجابي لتحولات الواقع بكامل أبعاده التاريخية والمعرفية، والتنازل لصالح النموذج الحضاري المتغلب "الغربي" الساعي لنشر وتمكين نموذجه على المستوى الدولي.

وتصبح المراجعة النقدية والدراسة الموضوعية للمعطيات المعرفية المتوفرة حول الدعوة والاتصال خطوة البدء في سبيل امتلاك رؤية، وتحديد موقف يمكن الاستناد إليه في إعادة بناء كل من دراسات الدعوة والاتصال، بحيث تصبح أصدق في تعبيرها عن وقائع الفعل التواصلي الجارية في مجتمعات المسلمين، أو التي تتم بينهم وبين الآخر.

وإذا تحدد الهدف بإعادة بناء كل من دراسات الدعوة والاتصال وتحقيق التكامل بينهما؛ مما يستدعي - لبلوغ ذلك الهدف - التنسيق في الجهود بين المؤسسات العلمية وأفراد الباحثين للاطلاع به والسعي إلى تحقيقه، وتحريك ساحة النقاش والجدل العلمي حول علم الدعوة مباحثه ومشكلاته، وأن تعرض إطاراً مفتوحاً قابلاً للتفاعل والتواصل المعرفي سواء اتخذ ذلك التفاعل صيغاً بنائية من الشرح والتوسيع والإضافة والتعديل، أو النسخ على منوال منظورات متفق على كونها نماذج معيارية، أو اتخذت عملية إعادة البناء صيغاً تحليلية تفكيكية تقوم على المراجعة والتدقيق في سياق من النقد العلمي الرصين.

وهو ما يؤكد أهمية تطبيق مبادئ المنهجية العلمية على الأبحاث والمناشط الدعوية من ناحية، وتزويد الواقع بنتائجها من تطوير لمناهج الدراسة والتدريب لمتخصصي الدعوة، وتمليك للعاملين في مجال الدعوة من "دعاة وخطباء ووعاظ" أسرار العملية الاتصالية، ومن الطبيعي أن يبدأ مثل هذا المسعى بالتعريف بصور الاتصال الدعوي في المجتمعات الإسلامية المعاصرة، وتأكيد "الاتصال الدعوي" باعتباره البيئة التطبيقية لعلم الدعوة في المجتمعات المعاصرة، وبيان القيمة المنهجية لدراسات الاتصال الدعوي في سياق علم الاتصال العام، باعتبار أن تلك الدراسات تمثل مظهراً لخصوصية علم الاتصال الإسلامي ومقارنة دراسات الاتصال الدعوي بما يقابلها من دراسات في مجال علم الاتصال العام مثل: دراسات الرأي العام والدعاية، ودراسات علم النفس الاجتماعي وتغيير الاتجاهات، والتعريف بالمحاولات الجارية لإزالة الجفوة وتحسين الهوة بين دراسات وأقسام الدعوة ودراسات وأقسام الإعلام والاتصال، والوقوف على التطور التاريخي لدراسات الدعوة في التراث الإسلامي، وتعرف الأطروحات والأدبيات المميزة القادرة على الإسهام في بلورة مفهوم علمي "للاتصال الدعوي".

إن الحديث عن الحاجة إلى لم شتات العقل الاتصالي الإسلامي بإعادة بناء العلاقة بين العلمين الدارسين للظاهرة الاتصالية في المجتمعات الإسلامية؛ علم الدعوة وعلوم الاتصال، لا ينبغي أن يظل اهتماماً هامشياً في جدول أعمال الباحث المسلم في مجال علوم الاتصال، وهذا الكتاب وأمثاله في دراسات الدعوة والاتصال نتيجة لرحلة جماعية موثقة من إمعان مرهق في النظر بحثاً عن التأسيسات المعرفية، ومعاناة دائبة في التواصل والبحث؛ التماساً لتطبيقات منهجية تجرئ في جامعات العالم الإسلامي، وتقع تحت عناوين حقول الدعوة والاتصال. ونقول من باب التعرف فقط: هذا العمل جاء خاتمة لاهتمام مزمن للمؤلف بموضوع "الاتصال الدعوي" كان ابتداءه الاشتغال بتطبيق مقررات المنهجية الإسلامية على واقع الظاهرة الاتصالية أولاً، والممارسة الدعوية ثانياً؟ ومن ثم تطور هذا الاهتمام بتطور الأفكار عبر فعاليات علمية محلية وعالمية أتاحت في محاورها ما سمح للمؤلف بالمساهمة والمشاركة.

كان للمطالبة بإيجاد البديل الإسلامي في ميدان الإعلام -بجانبه النظري والتطبيقي- أهمية بالغة خلال عقد الثمانينيات من القرن الميلادي المنصرم، لما تتمتع به وسائل الاتصال الجماهيرية من مكانة خطيرة في توجيه عقليات الجماهير، وتشكيل سلوكياتها في الحياة، في عالم تحول إلى "قرية كونية"، قصرت وسائل الاتصال الإلكترونية المسافات بين أجزائه، وربطت شبكةً معقدة من الاتصالات بين دوله وشعوبه، بصورة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الإنسانية كله.^(١)

إن وسائل الاتصال الجماهيرية تعد اليوم الجهاز المركزي الذي يوجّه الفرد والمجتمع، ولذلك فإنّ صياغة منهج للإعلام الإسلامي يعمل على سد الفراغ الهائل في منظومات المنهج الإسلامي ليعتبر ضرورة ملحة، حتى يمكن بلورة أنموذج جديد للإصلاح الإسلامي يقوم على الشمول والتكامل والواقعية" كانت قضايا من مثل إشكالات الاتصال^(٢) في المجتمعات الإسلامية، وسبل التخلّص من مظاهر التبعية المنهجية في البحوث الإعلامية، قضايا مطروحة على الساحة الفكرية والعلمية، ومقدمات لاهتمام المؤلف بموضوع هذا الكتاب؛ إلا أن التحدي الحقيقي برز مع قيام أقسام علمية وإدراج برامج ومقررات دراسية في "الاتصال الدعوي"، ومشاركة الباحثين بتدريس تلك المواد المتعلقة بـ"الاتصال الدعوي" بذات المعالم المنهجية للاتصال الدعوي كمبحث تبدو أكثر وضوحاً.

كما أن القول بأهمية إعادة بناء علم الدعوة على أسس تعزّز التكامل والتعاطي والاستفادة المشتركة ليس ادعاءً عاماً على أي حال، فقد تأسست هذه القناعات على مسوحات شاملة للأدبيات واستقرارات جادة للتجارب والنماذج التي تُشغل أفق

(١) طاش، عبد القادر. "إضاءات حول الإعلام الإسلامي"، في: مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي، تقديم: عمر عبید حسنة، سلسلة كتاب الأمة (٢٨)، الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ١٤١١هـ.

(٢) حيث كانت "إشكالات الاتصال التنموي في المجتمعات الإسلامية" موضوعاً لبحثه للتخرج على مستوى البكالوريوس.

الظاهرة الدعوية، وبما تعلّق منها بالكليات والأقسام العلمية والبرامج والمناهج الدراسية على وجه الخصوص.

وتولد الفقرات السابقة تساؤلاً لدى القارئ عن جدوى وضع كتاب منهجي، ولماذا هو في الاتصال الدعوي؟ وليس في الدعوة والإعلام أو الإعلام الإسلامي؟

وللإجابة نقول: إن الميل إلى خيار الكتاب الجامعي المنهجي والمرجعي قائم على ما يتوفر للجامعات من ذخيرة معرفية، وأطر وكفاءات علمية، وبنى مؤسسية تجعلها الأكثر تأهيلاً للإسهام في حل المشكل الذي توسعت وتعمقت في بيان فصوله في هذا الكتاب. ولعله من الطبيعي في البيئات الجامعية أن تتساقط عملية صياغة البرامج وتوصيف المقررات مع عملية وضع الكتب المنهجية وتأليف المواد المرجعية للتسريع بالحسم بشأن طرح تلك المقررات للدراسة في الأقسام والكليات الجامعية.

وهو كتاب في الاتصال الدعوي، وليس في الدعوة والإعلام أو الإعلام الإسلامي، لاعتبارات، منها تجاوز الثنائية والتعميم الذين يشير لهما مسمى "الدعوة والإعلام"، ولأن الاتصال الدعوي أكثر تحديداً وخصوصية من "الإعلام الإسلامي" الذي يدخل في إطار المعرفة العامة، ففي مفهوم "الاتصال الدعوي" من التخصيص، وله ما يناظره في سياق علوم الاتصال بمعناها العام، حيث نجد مباحث تحمل مسميات مثل: "الاتصال السياسي" و"الاتصال التنموي"، كما أن هناك بعض الكليات حددت مسمى "الاتصال الدعوي" كأحد المساقات التخصصية في مجال الإعلام وعلوم الاتصال.^(١)

إن غاية هذا الكتاب هي الدفع باتجاه التأصيل العلمي والتنسيق المنهجي للدراسات الجارية في مجال الدعوة، بحيث تبلور في هيئة مساق تخصصي تتكاثف أمشاجه من نواتج الحراك البحثي لعلوم ودراسات الاتصال الإسلامي. ويسعى هذا

(١) نشير هنا إلى كلية علوم الاتصال بجامعة الجزيرة في السودان.

الكتاب إلى توفير مادة مرجعية، تحتوي إعادة تعريفٍ بالعلم الدعوي وبمفاهيمه وقضاياها ومناهجه، وتطوره التاريخي، وعلاقته بالإطار المعرفي الذي يبرز من خلال الجماعة العلمية القائمة عليه، والمؤسسات العلمية الممثلة فيه.

الهدف العام لهذا الكتاب:

بناء على ما سبق، يمكن أن يتحدد الهدف العام لهذا الكتاب في تقديم مادة علمية قادرة على إبراز طرح تأسيسي لمبحث "الاتصال الدعوي" باعتباره واحداً من مخرجات التكامل المنهجي بين دراسات الدعوة ودراسات الاتصال.

الأهداف الفرعية:

- تأكيد أهمية دراسات الاتصال الدعوي باعتبارها مظهراً لخصوصية علم الاتصال الإسلامي، وبيان القيمة المنهجية لدراسات الاتصال الدعوي من بين مباحث علم الاتصال العام.
- تأكيد "الاتصال الدعوي" باعتباره مبحثاً محورياً لمباحث علم الدعوة المعاصر.
- توفير مادة مرجعية لدارسي الاتصال الدعوي في المجتمعات الإسلامية المعاصرة.
- التعريف بالمحاولات الجارية لتجسير العلاقة بين دراسات وأقسام الدعوة ودراسات وأقسام الإعلام والاتصال، والوقوف على التطور التاريخي لدراسات الدعوة في التراث الإسلامي.
- مقارنة مفاهيم الاتصال الدعوي بما يقابلها من دراسات في مجال علم الاتصال العام مثل: دراسات الرأي العام والدعاية، ودراسات علم النفس الاجتماعي وتغيير الاتجاهات، والتعريف بالأطروحات والأدبيات المميزة القادرة على الإسهام في بلورة مفهوم علمي "للاتصال الدعوي".

ويكفل السير في تحقيق تلك الأهداف عبر مسار واضح، ومخطط تأسيس قاعدة منطقية رشيدة للممارسة دعوية قوامها المعرفة الأساسية بأصول الدعوة، والخبرة

العملية بشؤون المجتمع وقضايا الواقع، وهو ما لا ندعي أن هذا الكتاب قد قام به مؤفياً بحقه، وإن كان هو الاتجاه الذي تشير إليه فصوله ومباحثه تقريباً.

وتكاد الدعوة تمثل النشاط التواصلي الجوهرى في الحياة الإسلامية، ومع ذلك فإن دراسات الدعوة لا تحظى بالقدر الذي تستحقه من الاهتمام العلمي والتحقيق المنهجي إلا من بعض باحثي الدراسات الشرعية والدراسات الإسلامية، في حين تضرب بحوث ودراسات الاتصال صفحاً عن الموضوع؛ أصبح التعامل مع الدعوة باعتبارها مساقاً مستقلاً محل تردد، سواء من قبل الدارسين، أو حتى بالنسبة للأقسام العلمية والمؤسسات الأكاديمية غير الإسلامية.

إلا أنه لم يعد مقبولاً في ظل التطورات المعرفية والتقنية من ناحية والانتشار المستمر للظاهرة الإسلامية بتجلياتها المختلفة أن تظل دراسات الدعوة في حالة تأرجح بين الاهتمامات الثقافية العامة للجمهور، والاتجاهات الذاتية لبعض أفراد العلماء والمهتمين، مما ينبّه إلى أهمية إعادة تنظيم وتنسيق الجهود العاملة في مجال الدراسات الدعوية، وتعريف وتحديد اتجاهات التأليف والإنتاج العلمي في هذا المجال، وأنساق العلاقات الحاكمة لتواصلها مع بقية مكونات النظام المعرفي الإسلامي، بحيث تتخذ في المنتهى صيغة منهجية مكتملة البناءات معرفياً ومنضبطة منهجياً، وهو أمر على منطقته، تكتنفه العديد من الصعوبات والتحديات، يتعلق بعضها بالبنية الهيكلية للمؤسسة الأكاديمية الإسلامية، ويرتبط بعضها الآخر بواقع الازدواجية في المناهج العاملة في الجامعات الإسلامية، وهو ما مثل هذه المبادرة الساعية للبحث في التواصل الدعوي والتأسيس له كمدخل ضروري ومهم لمقاربة الدعوة الإسلامية من ناحية المناهج والأساليب والوسائل، وقد ظلت العلاقة بين الدعوة والإعلام محلاً للشد والجذب بين كل من تخصصات الإعلام من ناحية والدراسات الإسلامية من ناحية أخرى.

ففي الوقت الذي لم تتحمس فيه أقسام الإعلام في الجامعات لتناول مقررات في الدعوة، مع مساهمة أساتذتها بالتأليف والتأصيل البحثي للإعلام الإسلامي ومفاهيمه

كانت الكليات الشرعية وأقسام الدراسات الإسلامية تطرح مقررات في الدعوة والإعلام، والإعلام الإسلامي، ولكنها بالمقابل تحتفظ عن إسناد تدريس تلك المقررات لمتخصصين من خارج دائرة العلوم الشرعية، وهو التجاذب الذي ترك أثره على التكيف المنهجي لمقررات الدعوة والإعلام تبعاً لاختلاف المنظور بين التخصصين.

ومع تنامي ظهور كليات تجمع في منهاجيتها بين الدعوة والإعلام مثل: كلية الدعوة والإعلام في جامعة الإمام محمد بن سعود، وكلية الدعوة والإعلام في جامعة أم درمان الإسلامية، وكلية العلوم الاجتماعية في جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، وكلية علوم الاتصال في جامعة الجزيرة بالسودان، كانت الاختلافات في الخلفيات التخصصية والمرجعيات العلمية بين الطرفين سبباً في الحيلولة دون تحقيق التفاعل الضروري بينهما؛ وبقيت أقسام الدعوة في هذه الكليات تعمل وفق المنظور المنهجي للدراسات الإسلامية، بينما ظلت المنهجية الإعلامية - ذات الجذور الغربية - هي الحاكمة على أقسام الإعلام والاتصال، فتم التراجع عن ذلك المنظور التكاملي في المناهج المطورة في جامعات الإمام محمد بن سعود وأم درمان الإسلامية، وكلية علوم الاتصال بنسب متفاوتة؛ حتى إذا بقيت بعض المسميات على تلك العلاقة على نحو ما حدث في كلية علوم الاتصال التي استحدثت قسماً للدعوة ونظم الاتصال، إلا أن التجربة انتهت إلى أن يعمل كل أصحاب تخصص في قسم مخالف لأصحاب التخصص الآخر.

وهذه ملامح عامة تحكي عن واقع العلاقة المراد تجاوزه بين تخصصات الإعلام وتخصص الدعوة في الجامعات الإسلامية دون إسقاطات لاحتمالات أن تأتي مثل هذه الإشكالات لتوجهات بيروقراطية، وإشكالات متعلقة بالإدارة العلمية، حيث نجد أن ذات الأمر يحدث في الكليات التطبيقية التي تدرس مواد إعلامية واتصالية، وستبين من خلال فصول الدراسة ما إذا كان للعوامل المعرفية أثر في ذلك، وهل لطبيعة التكوين المعرفي لكل طرف مساهمة في الموضوع، وهل المحتوى المنهجي والمادة المرجعية التي يتم تدريسها في كلا التخصصين تتسم بالتقابل والانتماء إلى جذور

معرفية متشاكسة بطبيعتها، أو لا تتسق مع روح التكامل والتفاعل الخلاق الذي عبرت عنه الفلسفة التي تأسست عليها تلك الكليات.

الحاجة إلى علم الدعوة:

العلم في اللغة: هو إدراك الشيء بحقيقته، وعلم الدعوة اصطلاحاً كما يعرفه البيانوني هو: "مجموعة من القواعد والأصول التي يتوصل بها إلى تبليغ الإسلام للناس وتعليمه وتطبيقه".^(١)

وقد بين الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ ضرورة العلم للدعوة في عبارة قصيرة دقيقة، فقال: "وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلّها وأفضلها، فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، بل لا بد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى حدّ يصل إليه السعي".^(٢)

ومع ذلك يكاد الحديث عن علم الدعوة يكون أمراً مجازياً، أكثر منه تعبيراً عن الواقع الفعلي للمناهج والدراسات الدعوية التي لم تكتسب صفة العلم المستقل بهويته والاكتفاء بذاته بعد، فرغم أن الدعوة هي وظيفة المسلم الأساسية في الحياة -بدلالة العديد من النصوص- ورغم أن المسلمين قد أهدوا البشرية تجربة حضارية متميزة، وما تزخر به حضارتهم من علوم ومعارف متقدمة في مجال الدين وضروب الحياة المختلفة، إلا أن العلوم الإسلامية لم تشهد بروز علم راسخ في مجال الدعوة، يمكن أن يقارن مثلاً بعلوم القرآن أو الفقه أو الأصول أو حتى علوم الفلك والطبيعة، وفقدان هذا العلم أورث التجربة الدعوية مشكلات جمة، منها: اختلاط مفهوم الدعوة بغيره من المفهومات، مثل: الإعلام، الوعظ، الإرشاد، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحول المسلم الذي كان ينبغي أن يصبح قائماً بالدعوة إلى هدف لها، كما أن اعتبار مجموعة من المسلمين؛ أنهم وحدهم الدعاة وبقية المسلمين هم المدعوين جعلهم

(١) البيانوني، محمد أبو الفتح. المدخل إلى علم الدعوة، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٩٩١م، ص ٤١.

(٢) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مفتاح دار السعادة، جدة: مجمع الفقه الإسلامي، ١٤٣٢هـ، ج ١، ص ١٩٥.

ينظرون إلى الفئة المدعوة باعتبارها خارج الدائرة المسلمة "الملة" وبرفضها "لدعوتهم" نظروا إليها باعتبارها خارجة عن الدين، وهذا أورثنا فكر التكفير والإخراج عن الملة، وعدم انشغال المسلمين بالدعوة، فضلاً عن أنه قوّت عليهم أجراً عظيماً أفقدهم فرصة تكثير سوادهم بمسلمين جدد، وجعلهم هدفاً لدعوات الملل والنحل الأخرى، فالإسلام الذي شهد سرعة انتشار في عهود كانت وسائل الاتصال فيها متخلفة، لا يشهد -اليوم- انتشاراً بنفس القدر، في عالم تشهد الاتصالات فيه كل يوم فتحاً جديداً. كل هذا وغيره يجعلنا بحاجة ماسة إلى إعادة النظر في فهمنا للدعوة ومناهجها وأساليبها، بل يجعل الحاجة ماسة إلى تدوين علم واضح المعالم باسم "علم الدعوة" أسوة بالعلوم الأخرى.

لقد أصبح من الضروري أن يتم التعبير عن حقيقة التقارب في طبيعة الطرح وطريقة المعالجة للمقولات والمسائل المتعلقة بالإعلام والاتصال من ناحية، والدعوة لا باعتبارها مقررأً منهجياً وتخصصاً أكاديمياً فحسب، بل باعتبارها ممارسة جوهرية في بنية المجتمعات الإسلامية، وهو ما تقتضيه إلى جانب ما سبق دواعي التجويد والنمو والتطور الطبيعي لهذه المقررات، إلى جانب رغبة القائمين على حقلي الدعوة والاتصال في إكساب معالجاتهم لمحتوى تخصصاتهم مزيداً من إحكام التنسيق بين حدود المعرفة النظرية وامتداداتها التطبيقية في التجربة التاريخية للمجتمعات الإسلامية.

ولا يكتمل تصور العلم بما هو "منظومة من الوقائع والنظريات والمناهج" ما لم يتم تمثيل تلك المنظومة في منتج معرفي يتسم بالتحديد والشمول في ذات الوقت، وغالباً ما يتخذ هذا المنتج شكل الكتاب المرجعي، أو المنهجي، أو كتاب القراءات، أو تجميع الأدبيات، وغير ذلك من أشكال التأليف العلمي، وهو ما حدا بنا إلى العمل على إخراج هذا الكتاب.

وتفترض هذه المقدمة أن التكامل المنهجي بين دراسات الاتصال ودراسات الدعوة كفيلاً بإخراج مساق علمي جديد، موضوعه الأساس هو "الاتصال الدعوي"،

وأن هذا المساق قادر على أن يمثل المحور الرئيس في إعادة تأسيس علم الدعوة وتفعيله في واقع المجتمعات الإسلامية المعاصرة، وهو التأسيس الذي يرجى له أن يعيد توجيه اهتمامات البحث والدراسة في حقل الدعوة والاتصال معاً.

أولويات الجماعة العلمية:

تتأسس الحاجة إلى "الجماعة العلمية" في أي مجال من المجالات على الاعتراف بمحدودية الأفق المنهجي للفرد تبعاً لإمكاناته العلمية، وفي مجال الاتصال الدعوي بانحصار فاعلية التفكير الفردي أو التخصصي في نطاق حدود قدرة بعض الأقسام العلمية، أو الدوائر التخصصية وقصورها عن الإمام بظاهرة واسعة النطاق مثل ظاهرة الدعوة.

ولعل المطلوب لتسويغ الدعوة لقيام هذه الجماعة العلمية توفر معطيات ذلك من وجود الأقسام العلمية، والتقاليد البحثية، والمجلات العلمية، وهو أمر متحقق فيما يتعلق بالدراسات الدعوية التي لم تتبلور عن علم مستقل وتخصص قائم بذاته، مما جعلها تجذب إليها كل المهتمين والممارسين من الأكاديميين والناشطين الاجتماعيين، لتتراكم تجاربهم وتتعاقد إسهاماتهم للتوسل لتأسيس العلم الدعوي، مع وجود قدر معقول من المادة المنهجية والمقررات والبرامج الدراسية، والأقسام والكليات العلمية، والكادر التدريسي والبحثي، والاهتمامات العلمية المتداخلة والمشاركة بين الدعوة والاتصال، وعدد من التخصصات الأخرى؛ أي باختصار معظم المسوغات التي قامت عليها الجماعة العلمية في مجال علم الاتصال كما أشرنا في الفصل الأول.

مما يعني أن السعي لقيام بذرة ونواة لجماعة علمية جادة في مجال الاتصال الدعوي وفروع علوم الدعوة والاتصال هدفاً قابلاً للتحقيق؛ لتصبح الوظيفة العملية لتلك الجماعة هي القيام على بناء تصورات عملية لتطوير الواقع باتجاه بناء أساس معرفي متماسك يصلح لأن يكون قاعدة لممارسة دعوية رشيدة، وتتسع نطاقات عمل تلك الجماعة العلمية لتنتشر جغرافياً على أفق القارات الخمس، وتقوم بتعريف موضوعات

عملها ووضع خريطة أولويات الدراسات الدعوية تقوم على مركزية البعد التواصلية في الدعوة وجوهرية الاهتمام الدعوي في الاتصال في البيئات الإسلامية، وتعين نقاط اهتمام بحثي على ضوء معايير منهجية متعلقة بعلمي الدعوة والاتصال، واهتمامات الفعاليات النشطة ومراكز البحث العلمي والأكاديمي المؤثرة.

لقد سعى هذا الكتاب بأبوابه الأربعة، وفصوله التسعة: لتحقيق أهداف عامة تمت الإشارة إليها في التمهيد السابق، والتأسيس منهجياً لدراسات الاتصال الدعوي، جاعلاً من التكامل المعرفي مدخلاً لمقاربة مفاهيم الدعوة والاتصال، معتبراً الدعوة مفهوماً اتصالياً لا يند في طبيعته عن المفاهيم العامة للاتصال الإنساني، ويتخذ موقعه مكوناً جوهرياً في شبكة مفاهيم الاتصال في البيئات الإسلامية، ومن ثم تشكّلت العلاقة بين الدعوة والاتصال من حيث المفاهيم والمنهجيات، وكان طبيعياً اللجوء إلى مبدأ التعريف كصورة من صور التأسيس لمفهوم "الاتصال الدعوي" الذي لم يجد من المعالجة والاهتمام ما وجدته مفاهيم سلطوية مثل: الدعاية ومفاهيم ليبرالية مثل: الرأي العام، ومفاهيم اشتراكية مثل: الهيمنة الاتصالية والإمبريالية الإعلامية، فالتكامل المنهجي بين الدعوة والاتصال مطلبٌ يعمل في سياق مبدأ التكامل المعرفي الحاكم في مناهج العلوم الاجتماعية والإنسانية، ويتأسس على واقع من العلاقة بين علم الاتصال وجملة من العلوم الأخرى.

لقد حاول الباب الثاني من هذا الكتاب تقديم نموذج أولي وأطروحة ابتدائية لا بد منها لتوجيه بوصلة التأصيل النظري للاتصال عموماً وللاتصال الدعوي بخاصة، ويقصد بالتأصيل هنا البناء على الأسس القرآنية للمعرفة في إخراج نماذج ومقاربات نظرية لشرح وتفسير الأوجه المختلفة لظواهر الاتصال الدعوي. والتأسيس المعرفي القرآني شرط في نظريات الاتصال الدعوي للبعد الديني المتضمن في العملية الدعوية في جانبها الروحي والتعبدية، وجانبها الشعائري والنسكي، وارتباط ذلك بجملة من الأبعاد الوجودية والحضارية للاتصال التي يمثل القرآن فيها دور الشاهد والموجه في

ذات الوقت، شاهد من حيث تصديقه وهيمنته على التراث التوحيدي في تاريخ البشرية، وموجه عبر ما يطرحه من مبادئ ومركّزات للتواصل الإنساني.

فجاءت فصوله بياناً لخصائص الرؤية القرآنية والهدي النبوي في الاتصال الدعوي، وإعمالاً لخلود مقام النبوة الخاتمة للرسول محمد ﷺ وفاعليته التاريخية، عبر مبدأ الاستخلاف الذي منح أمة الإسلام استدامة رسالتها الدينية واتصال شهودها الحضاري؛ مما يؤكد أهمية دراسات السنّة والاتصال في صياغة معالم الرؤية التواصلية المنشودة، وترشيد وتنظيم حركة الاتصال الدعوي على ما يعترضها من عقبات ويكتنفها من تحديات.

ومن نواتج تثوير المحتوى القرآني وتتبع الأثر السني تتشكّل المرتكزات الرئيسة والملامح العامة للإطار النظري للاتصال الدعوي، وتتكشّف أهم معالم وخصائص النظرية الاتصالية، كما يتحدّد بوضوح موقع الاتصال الدعوي بين موضوعات ذلك العلم، وموقفه من نظرياته. وهو ما دعا إلى استرجاع نماذج من نظريات التأثير ونظريات تغيير الاتجاهات، وما يماثلها من نماذج للنظرية الاتصالية باعتبارها مكاناً تتجلّى من خلاله النظم والفلسفات التي تولد منها الفكر الاتصالي المعاصر. وقد انتهى هذا الباب إلى جملة من المحدّدات الفلسفة والأيدلوجية اللازمة لقيام نظام للاتصال الإسلامي؛ مما استدعى تأكّد الوعي التام والمعرفة الدقيقة بحقيقة الفعل الاتصالي الذي غدا موضوعاً في الباب الذي يليه.

وتأسيساً على ما سبق، جاء الباب الثالث مهتماً بالجوانب العملية للاتصال الدعوي، مستنداً في ذلك على التعريف بالفعل الاتصالي في سياق الدعوة الذي ألبسه الكتاب صيغة "الفعل الدعوي" المفهوم الذي يشتمل بعدين؛ اتصالي واجتماعي، اتصالي: من حيث إن أركانه هي ذاتها العناصر الأساسية للعملية الاتصالية، واجتماعي: لأنه خاضع في وجوده وتفاعله لكل شروط وقوانين وضوابط الفعل الاجتماعي، وهو في طبيعته يجري على مستويات الاتصال بتراتبها المعلوم، وميادين

الفعل الدعوي بوجهه المتباينة، والفعل الدعوي فعلٌ قاصد؛ مما فتح الأفق للتعريف بمقاصد الاتصال الدعوي ووظائفه، وما يرتبط بها من مبادئ عملية وقواعد تطبيقية.

ويبلغ هذا العمل ختامه في بابه الرابع حول الاتصال الدعوي في أنظمة التعليم بالتعريف بالمنهج الجامعي، والوقوف على تجارب الجامعات، ومحاولاتها المنهجية تكيف أوضاع الاتصال الدعوي، وإنشاء كليات وأقسام للدعوة والاتصال، كما سعى للتعريف بالبحوث الجارية في مجال الاتصال الدعوي، طبيعتها واتجاهاتها، وقدم نماذج لمشروعات بحوث ارتيادية في مجالات الاتصال الدعوي.

البَابُ الْأَوَّلُ

التأسيس المنهجي للاتصال الدعوي

مقدمة:

يسعى هذا الباب للتعريف بالأسس المنهجية للاتصال الدعوي، وذلك من خلال التعريف بمفهومَي الدعوة والاتصال، وتحديد موقع "الاتصال الدعوي" على خريطة مفاهيم علوم الاتصال الإسلامية، كما يعرض "الاتصال الدعوي" باعتباره صيغةً للتكامل المعرفي بين كل من هذين العلمين؛ ليصبح مساق الاتصال الدعوي بهذا المعنى مجالاً للدراسات البينية بين كلٍّ من علم الدعوة وعلوم الاتصال.

ومع التسليم ابتداءً بأصالة مفهوم الدعوة إسلامياً؛ فلن ننكر أن مفهوم الاتصال يعرض باعتباره أحد نواتج الفكر الغربي ما يستدعي تحرير العلاقة بينه وبين الرؤية المنهجية الإسلامية، وتفكيك حالة الاغتراب التي تتسم بها دراسات الاتصال، والتي سرت حتى أفقدت الباحثين والمؤسسات العلمية العاملة في حقل الإعلام والاتصال في البيئات الإسلامية، ما يميزهم من استقلالية في الرؤية والمنهج، وأصبحت مجرد نماذج مستنسخة من الاجتهادات والمؤسسات، وهو ما أدى إلى غياب مفاهيم تواصلية مركزية في المجتمعات الإسلامية، وخير الامثلة لذلك مفهوم "الدعوة" عن دوائر التخصصات الإعلامية والاتصالية؛ الوضع الذي حفّز إلى الشروع في استحداث قراءة تأصيلية للفكر الاتصالي المتهم بالاغتراب المعرفي، وتمكين الأكاديمي المسلم من اكتشاف رؤيته، وتحديد موقعه بين خطوط الخريطة العامة لبحوث ودراسات الاتصال. وتعيين الاتصال الدعوي بين مباحث هذا العلم؛ مما يجعلنا نواجه احتمالين حتميين؛ إما أن نقوم بقراءة دعوية للفكر الاتصالي تستند إلى المتوفر من أدبيات فقه الدعوة والمساعي الجارية في تقنين الدعوة، كعلم مستقل، أو نقوم بعمل مخالف، ونقرأ الظاهرة الدعوية من منظور علم الاتصال الذي يبدو أسبق في التقنين لنفسه، حتى داخل الجامعات الإسلامية نفسها.

وقد قررنا هنا المزاوجة بين المبدئين، وأن يكون مبتدأ النظر في أصول الظاهرة الاتصالية في القرآن الكريم؛ مما يساعد في تقديم بدائل على مستوى الرؤى الكلية الضرورية للتأسيس لجزئيات العلم الاتصالي، وتسعى تلك القراءة لأن تُسهّم في تخليص العقل الإسلامي المعاصر من الارتهاق للتصور الأحادي للمعرفة، ولا معنى من بعد ذلك؛ لأن نقول أن دراسة (دوفلور روكاخ) التي سبقت الإشارة إليها تنطلق منذ لحظتها الأولى من التصور (الداروني) للشئ والتطور، -ويا للأسف- نجد أن بعض ما أنجز في مجال النظرية من داخل "جامعات العالم الإسلامي" ينطلق من ذات النقطة.^(١)

وبعد القراءة الاستقصائية للمحتوى التواصل في الوحي القرآني نشني باستجلاء معالم النشاط الاتصالي في التجربة النبوية، وهي خطوة مكّلة للخطوة السابقة، ومتأسسة عليها، فقد مثّلت التجربة النبوية واحدة من أنجح التجارب الاتصالية في التاريخ الإنساني، وهو أمرٌ كما صدّقه شواهد تاريخية، شهد به جملة من العلماء والفلاسفة من المسلمين وغير المسلمين؛ مما يعني أن إغفال هذه التجربة النبوية في مجالات الدعوة والإقناع من قبل أي مدرسة أو مذهب فكري يقدر في علميتها، ويُفقدتها تجربة من أثري تجارب الاتصال الإنساني.

ولا يُغني ذلك عن دراسة التجربة التاريخية للمجتمعات الإسلامية في مجال الاتصال والتواصل الإنساني، وينبغي لنا هنا تذكّر ما حقّقه المسلمون من نجاح في ترجمة ونشر أقدم التنظيرات الإنسانية المكتوبة في مجال الاتصال الإنساني، المتمثلة في محاورات أفلاطون، وكتابات أرسطو في المنطق والخطابة، والتي تُعدّ أول نظام يوضّح قوانين التواصل العقلي، ويفسّر حدوث الفهم المشترك بين أناسٍ تفصل بينهم الجغرافيا والزمان والبيئة والتجربة الإنسانية.

(١) شمو، علي محمد. أساسيات الاتصال ومهاراته، الخرطوم: منشورات جامعة السودان المفتوحة، ط١، ٢٠٠٥م، ص٢٠٥.

كان الكشف عن "منطق أرسطو" من قبل علماء المسلمين فتحاً معرفياً كبيراً جاء في سياق الاهتمام بفلسفته وترجمة وتحليل مقولاته، أما كتاب أرسطو في البلاغة والخطابة، والذي ترجع إليه معظم كتابات التنظير الاتصالي المعاصرة، باعتباره السفر الذي وضع المقولات الأولى في هذا المجال؛ فإن قصة إهماله لا تزال تحتاج إلى مزيد من البحث والتقصي، غير أن ما لا خلاف فيه هو أن ترجمة المسلمين له هي ما حفظ له البقاء حتى زماننا الحالي، ولعلها السبب في اقتراح ذلك النوع من المعرفة الذي ابتدأ بالخطابة، وانتهى إلى علم أخذ في التكون هو علم الاتصال.

والحديث هنا ليس عن سبق لصالح حضارة الإسلام والمسلمين يستحق أن يحفظ في سجل الإنجاز، بل عن توفر الإمكان في استئناف مسيرة الإسهام في تطور وإعادة بناء المعرفة الإنسانية.

وبإزاء التيه الاتصالي وقلة المنتج الإسلامي في مجال التأطير النظري للممارسات الاتصالية، والذي جاء متأخراً جداً كاستجابة للتحديات الخارجية أكثر منه استجابة لحاجات ظرفية تتعلق بالبيئات الإسلامية فلا بد لدراسات الاتصال الإسلامي لسد فجوة التنظير الاتصالي من أن تبرز الجهود والاجتهادات السابقة، مع تكثيف المراجعات النقدية لنظريات الاتصال السائدة، والنظر في تراث المعرفة الإنسانية في الاتصال بفروعه المختلفة، مع إعطاء المقابلة بين المنطلقات الفكرية للرؤية الاتصالية في كل من النموذجين الإسلامي والغربي الأولوية في البحث، ومن ثم الاتجاه إلى دراسة المآلات المتوقعة لكل نموذج. يلي ذلك الاهتمام بالنظر في تراث التجارب الإنسانية الأخرى، ودراسة مدى تقاربها أو مفارقتها لمحددات الرؤية الإسلامية، وأن يتم ذلك مع الاستحضار الدائم لأهمية أن يكون للأمة نظامها الاتصالي الفاعل، الذي يُعبّر عنها ككيان حضاري له إسهامه في التاريخ الإنساني، ولا يزال يمتلك القدرة على الإسهام في حل معضلات التواصل الإنساني، ومسيرة الوجود البشري.

الفصل الأول:

مدخل إلى تكامل مفاهيم الدعوة والاتصال

يتنامى الجدل حول مفهوم الاتصال بين الدراسات الغربية المولدة للمفهوم والمؤسسة له، والدراسات العربية التي اكتفت في تعاملها معه بترجمته إلى العربية، تارة بالاتصال وأخرى بالتواصل؛ لينعكس ذلك على التعريف العام للاتصال الإنساني، كما يُسفر عن حاجة ملحّة لتكليف العلاقة بين الدعوة والاتصال، وتقديم تعريف جامع ومانع للاتصال الدعوي، وهو غاية ما يسعى هذا الفصل لتحقيقه.

لذا ويقدر ما تبدو الدعوة لأول الأمر مفهوماً يسيراً سهل التعريف، واضح الدلالة، بيّن الحدود، لكنها سرعان ما تزداد تعقيداً وغموضاً حال اقترانها بمفهوم الاتصال. فهل لكون الاتصال الدعوي نشاط -يقوم به المسلمون غالباً- دور في ذلك؟ بحيث يكون للدعوة دلالة عميقة الأثر وجدانياً، وواضحة المعنى لغوياً، وإن بدا بعض العجز في تعريف الدعوة إلا أن التعامل معها كمفهوم يكون أسهل بكثير من التعامل مع مفهوم وافد ووارد كمفهوم الاتصال، وهو ما اضطررنا إلى التوسّع في معالجة المفهوم،^(١) والتعمّق في تحصيل دلالاته العلمية، قبل الذهاب إلى إحكام صياغة تعريفنا للدعوة، ومن ثم "للاتصال الدعوي"

ولا شك في أن التعمّق في دراسة الدعوة كظاهرة اتصالية، ومحاولة تقنينها منهجياً والسعي باتجاه جعلها تخصصاً دراسياً قائماً بذاته سيولد بدوره جملةً من المفاهيم الإضافية، وحينما يحدث تنظيم واتساق بين تلك المفاهيم اليسيرة تنتج مفاهيم كلية تؤلف فيما بينها النظام المفهومي للاتصال الدعوي.

والحديث حول الاتصال الدعوي هو من جانب حديث عن الدعوة في سياقها المعاصر وحديث عن الاتصال في سياقه الإسلامي، ما يعني أن ضعف الوعي بأحد

(١) العوض، محمد بابكر. "الإعلام والمعلومات الاتصال والتواصل: إشكالية المفهوم في بحوث الاتصال العربية"، مجلة الإذاعات العربية، تونس: اتحاد إذاعات الدول العربية، العدد (١)، ٢٠١١م، ص ٩٩.

طرفي المفهوم سيكون له ذات الأثر في تشويه الرؤية المترتبة عليه؛ لعلاقة الدعوة والاتصال كظاهرة برؤيتنا للاتصال الدعوي كحقل معرفي وتخصص علمي، وقد ظل الوعي قائماً بخطورة سوء الفهم للمبادئ الأساسية والمعارف الأولية المتعلقة بتلك الأنشطة والممارسات، ولعل بعضهم يميل إلى أن يكون التعامل مع الممارسات الإسلامية تعاملًا نمطيًا دون تعقيد، فتأتي أشكال الممارسة منحصرة في قوالب تقليدية صارمة في حكمها للشكل والمضمون معاً، ولعل أكثر أوجه الحياة الإسلامية تأثراً بذلك هو حقل الدعوة، فتحذقت بعض الجماعات في أشكال من التواصل الدعوي لا تبرحها، مهما تقلّب بها الزمان، أو تغير المكان؛ ليصبح نمط الاتصال المباشر في منهجها هو الأسلوب الأوحّد للدعوة إلى الله، بينما توسعت فئات أخرى وانفتحت على توظيف كل أشكال التواصل لمصلحة الدعوة، حتى برز الخطاب الدعوي أحياناً في قوالب باطنها فيه الدعوة، وظاهرها من قبله الاستلاب نحو أنماط الحياة المادية في أسوأ نماذجها؛ "النموذج الاستهلاكي". إن تفريغ الممارسة الدعوية من محتواها المعرفي وبعدها القيمي وصحبها في قوالب إعلامية وتقنية جامدة يحيلها إلى استعراض سخيف.

وفي سياق المقاربة المنهجية لهذا الموضوع يتولّد سؤالان جوهريان، هما: هل هناك ضرورة منهجية تستدعي البدء بتحليل المفاهيم؟ وهل الدعوة في حقيقتها مفهوم اتصالي؟ وهما ما سيبدأ هذا الفصل بالإجابة عليهما، ثم ينطلق لتحرير الجدل حول مفهوم الاتصال في السياقين الغربي والعربي، ليخلص إلى التعريف العام للاتصال يصلح مقدمة لما يليه من توصيف للعلاقة بين الدعوة والاتصال.

أولاً: الدعوة بوصفها مفهوماً اتصالياً

تتميز المفاهيم العلمية بأنها تمثل الوحدات الأولية للنظريات المكونة للرؤية المنهجية، المنبثقة بدورها عن الرؤية الكلية للنسق الحضاري التابعة له، ومن ثم فهي بالضرورة على انسجام منطقي -أو ينبغي لها أن تكون- على انسجام مع منطلقات تلك الرؤية، وأن تُسهّم تبعاً لذلك في تطوير وابتداع تجريدات لفظية مبتكرة، قادرة على التعبير عن خصوصية الواقع الاتصالي الذي تصدر عنه.

وفي إطار جدل الأنساق الحضارية والرؤى الكلية، يصبح طبيعياً أن تتباين المفاهيم المعبرة عن الظاهرة الواحدة، ومع أن الدراسة تأتي في سياق البيئة العربية الإسلامية؛ فإنها تصبح معنية في المقام الأول بتحليل الصعوبات التي يمكن أن تعترض عملية تفعيل مفهوم الاتصال الدعوي في هذه البيئات، لكنها تستصحب في ذات الوقت البعد العالمي الإنساني، والبعد الوجودي الكوني خلال معالجة قضايا الاتصال.

إن غاية هذا الفصل هي بيان الموقع الذي يحتله "الاتصال الدعوي" من خريطة مفاهيم العلم الاتصالي، وتحليلص المفهوم من بعض الإحياءات التي تسقطها عليه طبيعته باعتباره مفهوماً دينياً في جزء من تركيبته، أو لكون الاتصال الدعوي مزيج بين مفردة معاصرة وأخرى تراثية، مفردة وضعية وأخرى شرعية، وبيئة للمقابلة بين مفهوم إنساني وآخر قرآني، وهو وضعٌ حرّياً به أن يثري المفهوم ويعمّقه، ولكنه وبسبب من ضعف البناء المعرفي لعلوم الاتصال في المحيط الإسلامي أصبح مدخلاً للإشكال، وسبباً لتجشم هذا النوع من محاولات التأصيل.

إن أهم ما نطلق منه من قناعات أن تلك الثنائية تجعل من المحتمل التفكير في الاتصال الدعوي باعتباره فعلاً اجتماعياً معبراً عن واقع الحياة اليومية والعلاقات القائمة بين مكونات الاجتماع الإسلامي، في ذات الوقت تجعل من الممكن في كثير من السياقات الإعلامية التعامل معه في حدود الشعائر الدينية؛ كالآذان للصلاة، والخطبة للجمعة والعيد، ومناسك ومشاعر الحج والعمرة، وغيرها من مظاهر الحياة الإسلامية التي تتجلى عن طريقها الدعوة في سياقات الإعلام والاتصال. من ناحية أخرى وعلى وضوح الدلالة اللغوية لمفهوم الدعوة فلا غنى للدارس من العودة إلى قواميس اللغة ومعاجمها لتعرف المادة الأولية للمفردات والمعاني الأصلية للكلمات، والانتقال بعد ذلك إلى الاستخدامات الاصطلاحية للمفهوم.

وتتأثر شبكة مفاهيم الاتصال بالمرجعيات التي تحكم المنظور المعرفي الذي تصدر عنه، فعند حدوث تغير في الأنساق القيمية تبعاً للتباينات الحادثة بين الأقاليم المختلفة

سياسياً أو ثقافياً أو دينياً، تحدث تغيراتٌ مباشرة في شبكة المفاهيم المعيارية، بحيث يتم إضافة مفاهيم جديدة، أو إبعاد بعض المفاهيم، أو التركيز على بعضها بالمقارنة مع المفاهيم الأخرى.^(١)

من الأفضل دائماً قراءة المفاهيم في سياقاتها الطبيعية، إلا أن حدود الدراسة تفرض علينا تحديد نطاقات حاکمة لمنهجية تعاملنا مع تلك المفاهيم، لذلك فإننا نختار التعامل مع المفهوم في إطاره الأكاديمي الوظيفي، وقد حاولنا التعامل مع المفهوم في أطر استخداماته الوظيفية في نطاق التجربة الأكاديمية، والخبرة البحثية العربية الإسلامية، دون إهمال للعوامل اللغوية والمعرفية والثقافية، التي يكون لها إسهام مباشر في هذه العملية، مركّزين في ذلك على تحليل أهم المحاولات التي جرت لتعريف الاتصال، مستصحبين الأسئلة التي تفتح الأفق، وتمنح لمثل هذه المعالجة، وأهم تلك الأسئلة:

هل تعبّر مفاهيم "علم الاتصال العام"^(٢) عن واقع الظاهرة الاتصالية في المجتمعات العربية والإسلامية بصورة دقيقة وشاملة؟ وهل تهتم علوم الاتصال في البلاد العربية والإسلامية بمعالجة تجليات الظاهرة الاتصالية في تلك المجتمعات؟ ما مدى قابلية هذه العلوم على ضوء ما تعرضه مفاهيمها لاستيعاب الأنشطة الاتصالية

(١) وجدنا على سبيل المثال أن المفاهيم مثل: الإعلام، الاتصال، الرأي العام، الدعاية، التدفق الحر، البث المباشر، الجماهيرية، الاتصال الجماهيري، الثقافة الجماهيرية. إن مثل هذا المسرد الذي أماننا يشير إلى بنية العلم الغربي (المنظومة الرأسالية)، وعندما نجد تركيزاً على مفاهيم مثل: الهيمنة الاتصالية، والتضليل الإعلامي، والثقافة العمالية، والدعاية، فلن نشك في أن هذه المفاهيم ترد في سياق اشتراكي. أما الحديث عن الحياء، والموضوعية، والتدفق المتوازن للمعلومات، والتنمية، والحوار الحضاري؛ فينبهنا إلى نسق مختلف، ونحن هنا بصدد قراءة المفاهيم في سياقاتها الموضوعية، دون عزل لتلك المفاهيم من سياقاتها، أو تأطير لها وفق أي دوغما أو أيديولوجيا، دون أن نستبعد أن محاولة التخلص من الأثر الأيدلوجي قد يتضمن هو الآخر موقفاً أيديولوجياً.

(٢) المفهوم (علم الاتصال العام) مستعار من ريجيس دوبريه، ونقصد به: علم الاتصال غير المخصص في بيئة الاستخدام العربية الإسلامية.

الجارية في هذه المجتمعات؟

تحتاج الإجابة عن هذه الأسئلة إلى المقارنة بين المفاهيم الإعلامية المتداولة في كل من النسقين الغربي الذي نشأ فيه هذا العلم، والإسلامي الذي يحاول الاستفادة مما استورده من نظريات ومفاهيم، في مناظرة بين المفهوم العلمي المعتمد "غربي المنشأ" وما يناظره من واقع علمي في البيئة الإسلامية.

نظراً لحداثة العلم الاتصالي من ناحية، ونشوءه في بيئة مغايرة ساهم في اغتراب مفاهيم ومصطلحاته، كما أن ضعف الاهتمام بالبحث الاتصالي والإعلامي في البلاد العربية الإسلامية^(١) غيَّب المفاهيم التواصلية المتداولة إسلامياً عن ساحة البحث والنظر الاتصالي، الأمر الذي يُعَلِّي من أهمية التأصيل النظري للمفاهيم الإعلامية والاتصالية، دون أن نعزل المفهوم الاتصالي الإسلامي عن السجلات المعرفية الجارية حول الاتصال الإنساني وظواهره، ونحرمة من الظهور في سياق من التعددية الثقافية والحضارية والمنهجية. إن هذا العزل كفيل بإضعاف المفهوم وتقليص حدوده التداولية، وربما انتهى به إلى الإزاحة والتجاوز.

ولعل من المشروع في التعامل مع المفاهيم نقد المفهوم وتفكيكه، وتحديد الدواعي الأكاديمية والمنهجية والعملية لإعادة النظر فيه أو تجاوزه، وهو أمر لا يتعلّق بالمفاهيم الوافدة وحدها، وربما يكون شيئاً من ذلك قد حدث مع مفهوم الإعلام الإسلامي الذي كان مفهوماً انتقالياً، طوّر التفكير العلمي الإسلامي في قضايا الإعلام، وهياً الطريق لمفاهيم تخصصية أكثر تحديداً، وأدق تعبيراً عن جزئيات الظاهرة الاتصالية.

وذاً الأمر ينطبق على مفهوم غربي كمفهوم "الدعاية" الذي بدأ مفهوماً وصفيّاً محايداً خلال القرن الميلادي التاسع عشر، حتى أُلقت عليه فترة ما بين الحربين مجموعة من الظلال المعرفية والتاريخية والأيدلوجية، زاد عليها التمرکز العلماني في بيئات العلم

(١) العوض، محمد بابكر. "أصول الظاهرة الاتصالية في القرآن الكريم"، مجلة تفكّر، المجلد (٧)، العدد (١)، (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

الغربي، بما تبديه من حذرٍ في التعامل مع المفاهيم ذات الجذور الدينية والإثنية، مما انتهى بمفهوم الدعاية إلى هامش الاهتمامات العلمية، ولعل مفهوم الإعلام يمرُّ في وقته الراهن بظروف مماثلة، وهكذا يمكن فهم دورة حياة المفهوم، وأثر الظروف والعوامل المحيطة على استخداماته.

١ - الجدل حول مفهوم الاتصال:

في خضم هذا الاهتمام الذي شغل ما يقارب العقود الثلاثة التي مضت، تركّز الفهم في تعريف الاتصال للجوانب التكوينية للممارسة الاتصالية، وأعطيت الأولوية لها وقد انشغلت النماذج الاتصالية الأولى وركّزت جهدها في محاولة الإجابة عن سؤال: كيف تتم عملية الاتصال؟ ما هي المناحي التي يمكن التمييز بينها في هذه العملية؟ ما هي العلاقات التي يمكن أن تنشأ بين هذه العناصر في نهاية الأمر؟

ثم جاءت ثورة التطورات التقنية الاتصالية الحديثة، التي أدت إلى تركيز الاهتمام العلمي على مفاهيم الاتصال والمعلومات، كما مهّدت الثورة التقنية لحدوث التقاء جديد بين "الإعلام والاتصال والمعلوماتية"، وهو ما سنحاول تفحصه عبر ما يأتي من صفحات.

ومع تزايد الوعي بالجوانب التطبيقية لعملية الاتصال، واستجابة لتحولات حادثة بالفعل في اتجاهات تعميق البحث من مستوى لآخر اقتضتها رغبة القائمين على هذا الحقل في إكساب معالجتهم لهذا المشغل المزيد من إحكام التنسيق بين حدود المعرفة النظرية، وامتداداتها الميدانية في سائر الحقول المعنية بها.^(١) وعلى مدى التاريخ القريب لبحوث ودراسات الاتصال لا تبدو قضية أكثر أهمية وإلحاحاً من قضية الماهية والتعريف، وذلك لما يترتب عليها من انعكاسات على الأبعاد المختلفة للمسألة الاتصالية بدءاً من العناصر التكوينية، وانتهاء بالآثار المترتبات الاجتماعية والاقتصادية، ولا شك في أن التعريف بالمصطلح العلمي يُعدُّ أحد أهم أشكال التعامل الابتدائي مع المفاهيم،

(١) مونييه، بيير. مدخل إلى نظريات الاتصال، ترجمة: عبد القادر رحيم، سلسلة دراسات إعلامية رقم (٢٢) تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٩٧م، ص ٥.

وتمثل عملية التعريف في بحوث الاتصال ظاهرة قائمة بذاتها.

ويؤكد التطور المطرد في علوم وبحوث الإعلام والاتصال الحاجة إلى تعريف جامع ومانع لمفهوم الاتصال، وبذلك؛ فإن توليد تعريفات جديدة تضاف إلى التعريفات السابقة فتزيد من تفكيك المعنى، وتوضيحه تارة وتعقيده ومخاطلته تارة أخرى.

فحينما ننظر للمفهوم من منظور أوسع ضمن إطار شبكة المفاهيم المتداخلة في وصف ظاهرة الاتصال تزداد حالة التشتت والتعقيد حدة، وهذا ما يجعل تعريف المفهوم مفرد كالاتصال أو الدعوة أيسر من تعريف مفهوم مركب مثل: "الاتصال الدعوي"، ومع ذلك لا مندوحة من تعريف كلا المفهومين باعتبارهما الأساس الذي يقوم عليه المركب المفهومي؛ موضوع البحث والدراسة.

وقد نتفق مع من يقول: "إن عدم وجود تعريف مقبول بصورة عامة لاصطلاح "اتصال"؛ حتى وقت قريب كان أمراً يبعث على الدهشة" فقد مرت عملية التعريف بمراحل هامة، شكّلت بعضاً منها محطات أساسية في تطور العلم الاتصالي، بحيث لا يسع الدارس المختص في هذا العلم أو المهتم بمباحثه إلا الإلمام بها.

وهو ما حدا بالبروفسور علي محمد شمو بالوقوف على تلك الاعتراضات التي أبدأها بعض علماء الاتصال على مبدأ التعريف لمخالفته للطبيعة الدينامية للعملية الاتصالية، معتبراً أن التعريف يقتضي بالضرورة تجميد العملية الاتصالية والتوقف ولو للحظات، وهو أمر يتعارض ومفهوم الاتصال كعملية Process، ويرفض هذا الفريق تعريف الاتصال لهذه الأسباب، ولكنه لا يمانع في الوصف Description بدلاً من التعريف.^(١)

وهو اعتراض له وجاهته مع التسليم بحتمية تعريف الاتصال باعتباره عملية، ومن ثم يتم قبوله في سياق الحديث عن التعريف بمكونات العملية الاتصالية، وهي:

(١) شمو، أساسيات الاتصال ومهاراته، مرجع سابق، ص ١٨.

المصدر "المرسل"، والرسالة، والوسيلة، والمستقبل "المتلقي"، على اعتبار أن الاتصال هو عملية دائرية مستمرة، ومع استمرار العملية يتبادل المرسل والمستقبل الأدوار بصورة متوالية؛ فيصير المرسل مستقبلاً، والمستقبل مرسلًا، وهكذا، وبناء على ذلك؛ رفض الفريق المشار إليه وضع مكونات الاتصال بصورتها التقليدية؛ أي في هيئة نماذج تفسيرية مصورة اعتراضاً على أن عملية وضع النموذج تقتضي تجميد العملية، مما يخرج بها عن طبيعتها ويفقدها أهم عناصرها، وهو عنصر الدينامية.

وكما ذكرنا؛ فإن الاعتراض يتأسس في الأصل على تعريف معين للاتصال، مما يؤكد ضرورة عملية التعريف أكثر من أن ينفيها. ويبدو أن بروفيسور شمو قد اختاره فانطلق معرفاً الاتصال في بضع صفحات في معظم كتاباته الأكاديمية.

وبناء على ما تقرّر من أهمية عملية إعادة التعريف؛ ينبغي الانتباه إلى الصعوبات التي يمكن أن تواجهها هذه الإعادة، ففي حالة تعريف مصطلح ظاهر الحدود مثل: مفهوم "وسائل الاتصال". نجبرنا (ميرتن) عن ما يجاوز المائة وستين تعريفاً، والعدد يتزايد، وربما تضاعف إذا حاولنا رصد عمليات تعريف مفهوم الاتصال في معناه الواسع، وهو ما انعكس بدوره على بيئة العلم الاتصالي في الأقطار العربية والإسلامية التي تفشل في تأسيس رؤية مستقلة في التعامل مع قضية الاتصال.

تبرز الجهود الحثيثة والمتوالية الهادفة لصياغة تعريف جامع ومانع لمفهوم الاتصال والمفاهيم المرتبطة به إشكالية المفاهيم التي جرى الحديث حولها على أوضح ما يكون، حيث تثير كلمة اتصال -شيء في طبيعة استخداماتها- نوعاً من التداخل يصعب تجنّبه. وهو أمرٌ لا يتوقف على هذا العلم في صورته العربية فحسب، بل حتى ضمن علم الاتصال الغربي نفسه، وهو ما يعكسه التبع لمفهوم الاتصال في السياقين العربي والغربي، بالاستعراض والتحليل لأهم وأشهر التعريفات الواردة في السياقين معاً، وبيان المضامين الكامنة في تلك التعريفات، وأهم العوامل المؤثرة في بنائها.

٢- التأسيس لمفهوم الاتصال الدعوي:

يتمثل أول انعكاس لحالة اضطراب المفهوم الاتصالي القائم في التنازع بين الرغبة العميقة في العلوم الاجتماعية والإنسانية في اكتساب صلابة واستقرار العلم الطبيعي، وتغليب مقدار الثابت على المتغير، وهو أمر متعذر على الوجه النسبي من التفكير البشري، فاستمرار التجربة الإنسانية في اتجاه تقدمي تطوري مرتبط بمرونة العقل الإنساني في تعاطيه مع الواقع والوجود الذي يتكشف منه بقدر تطور المعرفة الإنسانية، أما الوجه الإطلاقي في التفكير البشري؛ فتحكمه بالكلية الأحكام والسنن الإلهية المبثوثة بين كتابي الوحي والكون، ولا يقرأ الأخير إلا بالأول، ما يعني أن تلازم مفاهيم الكتاب الأول بمخرجات التفكير في الكتاب الثاني هو أدعا لاستقرارها واستدامة دلالتها ما ارتبطت بالأصل الخالد.

إن الواقع يُعزّز أن الممارسة الدعوية بين التجربتين المسيحية والإسلامية تُظهر أن المفاهيم الدينية تتهاوى أمام الإرادة الجبارة لعلمانية العلم الغربي الذي يقف بمنجزاته ومشكلاته دليلاً على أن ذلك التلازم بين مفاهيم الوحي والعقل هو السبيل الأمثل لاستقرار المعرفة الإنسانية.

وقد يبدو أن هذه القناعات إيمانية أكثر من كونها نواتج خبرة معرفية، ومع إيماننا بأن المعرفة الإنسانية مزيج من المعرفي والحدسي والتجريبي والحسي، إلا أن منهجية العلم المنضبطة تدعونا لنفي ذلك، باستعراض مسيرة المفهوم الاتصالي والتحقق من مراحل تطوره، ومن ثم التنبؤ بما ينتظره من مآلات؛ لنعود من بعد ذلك لمفهوم الدعوة لنقيم المعادلة والتوازن بينه ومفهوم الاتصال لتفهم ظواهر الاتصال الإنساني على إثارة من العلم وهدى من الوحي.

والاتصال كمفردة لغوية قديم، والجديد هو توظيف هذه المفردة للدلالة على المعنى الاصطلاحي الذي يتجلى بممارسة مخصوصة.

٣- المفهوم الغربي للاتصال:

تعني كلمة "الاتصال" في اللغة العربية الربط بين شيئين، بينما كلمة "Communication" في اللغات الأوروبية تتضمن معاني الإشاعة والتعميم والاشتراك والتبادل، وهو ما نتحصّله عند رد المفهوم إلى أصوله اللغوية، واللجوء إلى المعنى القاموسي للمفهوم، وبالرجوع حيث نجد أن تعريف الاتصال Communication أن الكلمة تأتي للدلالة على فعل أو نشاط أو فكرة من التواصل، وهي تكتسب معناها من السياق الذي ترد فيه، ففي السياق الطبي يمكن أن تعني اكتساب العدوى (بالجدري مثلاً)، وفي سياق آخر قد تعني الإفشاء (لسرٍّ ما).

والاتصال تواصل عن طريق كلمات أو حروف أو رسائل؛ وتبادل الأفكار أو الآراء، عبر مؤتمر أو أي وسيلة أخرى؛ المؤتمر، والمراسلات. كما تحمل معنى الانتقال من مكان إلى آخر. ومعنى أبلغ أو تم نقله، أو التبليغ عنه؛ أو الإخبار به، شفهاً أو برسالة خطية. وقد تذهب للدلالة على معنى ديني مثل المشاركة في العشاء الرباني.

وقد ترجمت المفردة "Communication" في العربية إلى اتصال، مع أنها بالمعنى السابق أقرب إلى الإعلام والنشر منها إلى اتصال Linking.

ومن أقدم تعريفات الاتصال تعريف (ريتشاردز) عام ١٩٢٨م الذي لجأ في تعريفه إلى وصف الطريقة التي يتم بها الاتصال قائلاً: إن الاتصال يحدث حين يؤثر عقل في عقل آخر، فتحدث في عقل المتلقي خبرة مشابهة لتلك التي حدثت في عقل المرسل ونتجت جزئياً عنها.^(١)

وإلى جانب تعريف (ريتشاردز) السابق فإن تعريف عالم الاجتماع (تشارلز كولي Charles Cooley) الذي أطلقه في عام ١٩٠٦م يُعدُّ واحداً من أعرق وأشهر التعريفات الأكاديمية للاتصال، حيث نظر كولي للاتصال باعتباره ميكانيزماً اجتماعياً

(١) العبد، عاطف عدلي. مدخل إلى الاتصال والرأي العام، القاهرة: دار الفكر، ط ٢، ١٩٩٩م، ص ١٢.

فعرّفه بقوله: إن الاتصال هو "ذلك الميكانيزم الذي توجد عن طريقه العلاقات الإنسانية، وتنمو وتتطور الرموز العقلية، بواسطة وسائل نشر هذه الرموز عبر المكان واستمرارها عبر الزمان، وهي تتضمن تعبيرات الوجه والإيماءات والإشارات ونبرات الصوت والكلمات والطباعة والخطوط الحديدية والبرق والهاتف، وكل تلك التدابير التي تعمل بسرعة وكفاءة على قهر بعدي الزمان والمكان.^(١)

ويعلل (ميللر) ١٩٥١م حدوث الاتصال بوجود معلومات في مكان أو لدى شخص ما، ويريد توصيلها إلى مكان آخر أو شخص آخر.^(٢) وهو ما أكدته كل من (أميري) و(أولت وآجي) في عام ١٩٧١م حين عرّفوا الاتصال بأنه فن نقل المعلومات والأفكار والمواقف من فرد لآخر.

أما علماء الاتصال، ذوو المرجعيات الاجتماعية مثل: (ولبرشرام) و(ميلفن ديفلور)؛ فلهم منظورات مختلفة بشأن المفهوم، ففي عام ١٩٧٧م عرّف (ولبرشرام) الاتصال بأنه: "المشاركة في المعرفة" عن طريق استخدام رموز تحمل معلومات، في حين يرى أن عملية الاتصال هي وسيلة يُجرى بواسطتها التعبير عن القيم الجماعية وممارسة الرقابة الاجتماعية، وتوزيع الأدوار، وتنسيق الجهود والتعبير عن التطلعات ونقل العملية الاجتماعية.^(٣)

ومن رؤية مغايرة ومنظور مختلف كان طبيعياً أن يكون للقاموس الماركسي اللينيني الصادر في ألمانيا الديمقراطية -سابقاً- ١٩٦٩م مفهومه الخاص للاتصال، حيث عرفه بأنه: "خلق الروابط البشرية بفضل تبادل المعلومات الاجتماعية بواسطة العلاقات". مركزاً على الجانب التشاركي في العملية الاتصالية.^(٤) وهو ما علّق عليه

(١) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٣) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٤) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

خبير الإعلام البولندي (توماس كوبان كلاس Tomasz Goban Klass) بقوله: "إن تعريف القاموس الماركسي هو الأكثر توافقاً مع الأصل اللغوي لتعبير الاتصال الذي يأتي أصلاً من الكلمة اللاتينية "Communicate" بمعنى يوجد في علاقة، يشترك، يرتبط مع..."^(١)

وتكثر النماذج المعبرة عن التوجهات العلمية والثقافية والأيدلوجية المتباينة المواقف مفهوم الاتصال، ولا شك في أن تعدد وتباين المرجعيات يمكن أن يوفر قدراً أكبر من التعريفات المتباينة في نظرتها للمفهوم.

وحول شيوع المعنى الاصطلاحي الساري لمفهوم "الاتصال" يرى أصحاب كتاب يساري النزعة مثل: "ثورة الاتصال" أن كلمة "اتصال" نفسها -دون أن تتخذ معناً مخالفاً- بعد مرورها بسايرنيتيكية (وينر Wiener)^(٢) أصبحت مشحونة بثقل جديد، وكمية من الدلالات لم تكن لها حتى عام ١٩٤٨م، وهو التاريخ الذي نشر فيه (وينر) هذا العلم بين الناس، وإذا كنا نتكلم كثيراً عن الاتصال؛ فإن سبب ذلك كما يراه (بروتون)، هو: علم السايرنيتيك Cybernetic.

وإذا كانت الكلمة "اتصال" تبدو كما لو أنها تغطي حقائق متفرقة فهذا يرجع أيضاً لدراسات السايرنيتيك التي روجت لهذا المفهوم الجديد، دون أن يصحب ذلك تعريف دقيق أو موحد لمعناه، وربما كان ينبغي وضع مفهوم مرن كي يكون نجاحه شاملاً. وكان عدم التحديد الأساسي لكلمة "الاتصال" وراء الصورة الضبابية التي أحاطتها سريعاً بحدود دقيقة لـ "علم السايرنيتيك".^(٣)

(١) المرجع السابق، ص ٢٢.

(٢) نسبة إلى نوربرت وينر مؤسس علم السايرنيتيك (علم التحكم).

(٣) بروتون، فيليب. وبرو، سيرج. ثورة الاتصال: نشأة أيديولوجية جديدة، ترجمة: هالة عبد الرؤوف مراد، القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٩٣م، ص ١٨٩.

وقد جاء في قاموس الاتصال ودراسات الإعلام أنه وبينما كلمة اتصال وتعريفها يختلف تبعاً للإطار النظري للمرجع المستخدم، والأهمية التي تضيفها على ظواهر معينة ككل؛ فإن التعريفات جميعها تتضمن خمسة عوامل: ^(١)

- مرسل (مخبر) an imitator
- رسالة a message
- وسيلة أو أسلوب a mode
- مستقبل للرسالة receiver
- تأثير effect

كما تعني: نقل معلومات من أجل نشرها وذيوعها عن طريق المشاركة. ^(٢)

وتكتسب مدلولات متعددة بحسب الاختلاف في سياقات الاستخدام، فهي في صيغة المفرد Communication تشير إلى الاتصال كمفهوم أو نشاط أو سلوك أو عملية؛ بينما تشير في صيغة الجمع Communications إلى الوسائل الاتصالية. ^(٣)

ويلاحظ أن هناك تداخلاً بين مفهوم الاتصال وتقنيات الاتصال الشخصي والهواتف بأنواعها، فعندما أراد الناقد والفيلسوف الأمريكي (بورك Burke) طبع كتابه المعنون: "أطروحات عن الاتصال Treaties on Communication"، اضطر في النهاية لتغيير العنوان لتخوف الناشر من أن القراء سيعتبرونه دراسة عن التلفونات. ^(٤)

(١) عبد المجيد، شكري. الاتصال الجماهيري الواقع والمستقبل، القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، ١٩٩٦ م. نقلاً عن:

- Watson, James. & Hill, Anne. *A Dictionary of Communication and Media Studies*. London: Edward Arnold, 3rd ed., 1993.

(٢) عبد المجيد، شكري. الاتصال الإعلامي والتنمية، القاهرة: العربي للنشر، ط١، ١٩٩٥ م.

(٣) مكاي، عماد حسن. والسيد، ليلى حسين. الاتصال ونظرياته المعاصرة، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ط٤، ٢٠٠٣ م، ص ٢٥.

(٤) كاظم، فلاح. المحنة: علم الاتصال بالجماهير، عمان: مؤسسة الوراق، ٢٠٠١ م، ص ٢٢.

وقد كان مفهوم الاتصال في الثقافة الغربية يحمل مضموناً ميتافيزيقياً بارتباطه بمفهوم التخاطر Telepathy والذي يعني تبادل الأفكار دون وسيط.

وتشترك الحضارات الشرقية في إضفائها على الاتصال بُعداً جوانياً ومسحة روحية، وقد تطوّرت الأنشطة التواصلية في الشرق، بإزاء الرغبة في التواصل مع المطلق، فالاتصال في التراث الصوفي الإسلامي درجة من درجات الترقى الروحي في سلم الكمال، وهو أمر لا حضور له في معظم التعريفات العربية لمفهوم الاتصال، وليس ذلك فقط لعدم قدرتها على تمثيل روح الفكر الاتصالي الغربي القائم على مبادئ العقلنة Rationalizing والعلمانية، بل لفشلها أيضاً في تمثّل واستيعاب التراث العربي الإسلامي، الذي يحتوي على تحليلات عميقة لجوانب أساسية في عملية الاتصال، مثل: الإدراك، واكتساب المعاني، والإقناع، وتغيير الاتجاهات، والتي يمكن استقاؤها إلى جانب الوحي الكريم من أعمال ابن الطفيل وابن رشد والبيروني وابن الصانع وغيرهم.

كما أشرنا سابقاً؛ فإن أول ظاهرة مميزة تقابل من يقدم على محاولة تحليل المفاهيم الجوهرية للعملية الاتصالية، هي التداخل الحادث بين تلك المفاهيم، ويبدو هذا التداخل أكثر بروزاً في الدراسات العربية، حيث تقدم هذه الدراسات تعريفات عديدة للمفهوم الواحد لا يكاد يُشاكل بعضها بعضاً، هذا فضلاً عن عدم وجود اتفاق حول ما بين تلك المفاهيم من علاقات، وما إذا كانت علاقات ترادف أو تباين، ولعل مرجع هذا الاختلاف كما سبقّت الإشارة إليه؛ هو نشوء المفهوم الاتصالي في بيئة معرفية مغايرة من ناحية، وضعف عملية الاستيعاب والتمثل للعلم الاتصالي ومفاهيمه في البيئة المعرفية العلمية العربية، وربما تعلق الأمر بحدثة نشأة علوم الاتصال حتى في بيئتها الأصلية.

ومن الواضح أن المفهوم في الدراسات العربية واجه إشكالات مختلفة، تتعلق بالترجمة عن اللغة الأصل والتي هي في غالب الأحيان الإنجليزية أو الفرنسية، وسنلاحظ في الفقرات الآتية أن هذه الثنائية في المصدر قد زادت من تعقيد عملية تسكين المفهوم الاتصالي في الدراسات العربية.

والاتصال كما هو معلوم نظام عائد في ملكيته للمجموع، وهو نظام تم قبوله وتطبيقه عبر أفراد المجتمع، يقومون عن طريقه بنقل وتبادل الأفكار، والتشارك في الرؤى والتوجهات، وحفظ ومعالجة المعلومات، ولكن الملاحظ أن الممارسات الاتصالية السائدة في المجتمعات العربية -والتي لا تحفل بها بحوث الاتصال الغربية- تظل غائبة بمفاهيمها عن ساحات التداول العلمي، مما يعطي انطباعاً أن الفضاء المفاهيمي لعلوم الاتصال في الجامعات العربية يعبر عن مضامين الغربي أكثر من تعبيره عن واقع الاتصال في المجتمعات العربية نفسها، ويمكن التمثيل لذلك بمفهوم "الدعوة" الذي يشمل ممارسات اتصالية مستقرة ومستمرة في تلك المجتمعات؛ وهو مفهوم أبلغ في تعبيره عن تجليات الظاهرة الاتصالية من كثير من المفاهيم السائدة، فقد تأسس الوعي بأبعاد الفعل الاتصالي في وقت باكر من عمر التجربة الاجتماعية الإسلامية، وقد تمحور الاتصال الديني حول العملية الدعوية القائمة على ركني الدعوة من ناحية، والاستجابة من الناحية الأخرى، ومن المؤكد أن هذا الشكل أوفق في تمثيله لعملية التواصل الإنساني في المجتمعات الإسلامية من نموذج المثير والاستجابة الذي يستدعي في الذاكرة سلوك الحيوان أكثر من تعبيره عن السلوك البشري.

وقد هيأ لهذه الكلمة أن تعبر من اللاتينية إلى الثقافة العربية المعاصرة عن طريق معبرين رئيسيين، هما: اللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية، والتفريق بين المصدرين مهم لما له من انعكاسات لاحقة على شكل الترجمة ومضمونها. ففي المشرق العربي ترجمت كلمة Communication إلى المفردة العربية "اتصال" على اختلاف مجالات الاستخدام سواء في دائرة علم الاتصال أو العلوم التقنية أو الفلسفة.

وفي الأقطار ذات الاتصال بالثقافة الفرنسية كما هو الحال في دول المغرب العربي؛ فقد تم التفريق بين الاستخدامين فينحصر استخدام مفردة "اتصال" غالباً على مستوى العلوم التقنية. أما في نطاق دراسات الفلسفة والعلوم الإنسانية والإعلامية؛ فالتفضيل لاستخدام كلمة "تواصل"، ولكن هذا لا يمنع وجود لاستخدام كلمة "اتصال" في

سياق الدراسات الإنسانية لدى بعض ممن ترجموا كتابات إعلامية فرنسية إلى العربية.

ويجدر التنبيه هنا إلى أن بعض نظم الترجمة الآلية^(١) تضع مفردة "تواصل" العربية كترجمة لمعنى عبارة: Interpersonal Communication والتي تعرفها أدبيات الاتصال العربية بعبارة: "الاتصال بين فردين"، ولا شك في أن ثمة اختلاف واضح في الدلالة يفصل بين كلمتي: "اتصال" و"تواصل"، فالتواصل يتضمن عنصراً مضافاً إلى الاتصال وهو "التفاعل" والاستمرارية، لذلك جاء تعريفنا للتواصل على نحو ما سيظهر في موضعه متضمناً لهذا البعد؛ والملاحظ أنه لا اختلاف يذكر بين التعريفات السابقة وتعريفات الأكاديميين العرب للمفهوم.

يعرّف إبراهيم إمام ١٩٦٩م الاتصال بأنه: "حامل العملية الاجتماعية والوسيلة التي يستخدمها الإنسان لتنظيم واستقرار وتغيير حياته الاجتماعية، ونقل أشكالها ومعناها من جيل إلى جيل، عن طريق التعبير والتسجيل والتعليم."^(٢)

ويعرّفه خليل أبو أصبع بأنه: "عملية ديناميكية يقوم بها شخص ما، أو أشخاص، بنقل رسالة تحمل المعلومات أو الآراء أو الاتجاهات أو المشاعر إلى الآخرين، لتحقيق هدف ما، عن طريق الرموز، لتحقيق استجابة ما، في ظرف ما أو سياق أو بيئة اتصالية، بغض النظر عما قد يعترضها من تشويش."^(٣)

من جانبه يرى فلاح كاظم أن خير تعريف عربي جامع وشامل للإعلام هو ما أورده الدكتور إبراهيم الدافوقي أستاذ الإعلام في جامعة بغداد قسم الإعلام؛ إذ يقول: "الإعلام هو عملية تلقي المعلومات وكل ما يتصل بالفكر الإنساني في تفاعله مع المجتمع، وهضمها، مع إعادة إرسالها وفق متطلبات المجتمع القطري والقومي والعالمي بوسائل الإعلام المقروءة، أو السمعية، أو السمعية البصرية، كالتلفزيون في

(١) منها خدمة Translation ضمن خدمات Google.

(٢) إمام، إبراهيم. الإعلام والاتصال بالجهان، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٥م، ص ٢٨.

(٣) أبو أصبع، خليل. الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، ط ٤، عمان: دار مجدلاوي، ٢٠٠٤م، ص ١٤.

حركة أفقية ورأسية في آن واحد.^(١)

ويرى الأستاذ طلعت منصور أن مفهوم الاتصال ينبغي أن يقوم على تصور شمولي يضع في الاعتبار كل المحددات المتعلقة بالفرد والجماعة في عمل اتصالي معين، ويستلزم ذلك تناول الاتصال في إطار يتضمن جوانب متعددة الاتصال، كنظام للسلوك، وهو نشاط يقوم على ترجمة الرموز والاتصال، كعملية تفاعل، هو: وصال Linkage process بين المرسلين والمستقبلين للرسائل، وفي العملية تتضافر عوامل ومتغيرات كثيرة، أما السياق الاجتماعي Suet Context الذي يتوافر فيه الاتصال؛ فيشير إلى تلك القوى التي تؤثر في الاتصال في موقف معين والتي تحكم تدفق المعلومات ونماذج التأثير من جماعة مرجعية إلى جماعة أخرى، ومن ثقافة فرعية إلى ثقافة أخرى.^(٢)

٤ - نقد التعريفات العربية للاتصال:

كما لاحظنا سابقاً؛ فإن التعريفات العربية قد تأثرت هي الأخرى بثلاثة عوامل تُضاف إلى العوامل السابقة، هي: الخلفية التخصصية للقائم بالتعريف، والأصل اللغوي للمفهوم، والسياق التخصصي الذي تتم ضمنه عملية التعريف.

ويمكن وصف المحاولات العربية لتعريف الاتصال بأنها تصدر عن قراءة سكونية للمفهوم؛ إذ تنظر إلى مفهوم الاتصال من موضعه الإستمولوجي الذي اتخذ بعد عزله من سياقه الاجتماعي. وهي قراءة سكونية؛ لأنها عاجزة عن ربط المفهوم "الإستمولوجي" الفوقي بجذوره الاجتماعية الدنيا، وتقدمه في إطار القوانين الداخلية لعملية الإنجاز الفكري، وطبيعة القوانين العامة التي تحكم حركة الواقع الاجتماعي.^(٣)

(١) صالح، قاسم حسين، سايكولوجيا اللغة والاتصال، عمان: دار غيداء للنشر والتوزيع، ٢٠١٦م، ص ١٧.
(٢) منصور، طلعت. "سيكولوجية الاتصال"، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد (١١)، العدد (٢)، (يوليو، أغسطس، سبتمبر ١٩٨٠م)، ص ١٠٣.
(٣) أبو شوك، أحمد إبراهيم. "موت مؤرخ: محمد سعيد القدال (١٩٣٥-٢٠٠٨م)"، صحيفة الأحداث، الصادرة بتاريخ ١٠ / ١٠ / ٢٠٠٨م.

كما أن هذه القراءة العربية للمفهوم ظلت تؤكد عجزها عن صياغة تعريفات مستقلة قادرة على التعبير عن واقع الظاهرة الاتصالية في المجتمعات العربية، حيث يلعب الفصام القائم في العقل الأكاديمي العربي بين الأطر النظرية للعلم والتي تمت صياغتها وفق معطيات غربية، والواقع الاجتماعي المعاش الذي يفترض أنه يمثل المحيط الموضوعي لذلك العلم، يلعب دوراً كبيراً في إضعاف مستوى الأصالة في الأطروحات الاتصالية في العالمين العربي والإسلامي، وهي مشكلة جوهرية ترتبط بتكوين الباحث أكثر من ارتباطها بعملية التعريف في حد ذاتها.

٥- الفرق بين الاتصال والتواصل:

التواصل يُقصد به فيما نرى: السلوك الاتصالي الموجب بين أطراف العملية الاتصالية والنتائج عن تحقق القدر الضروري من الثقة والفهم المشترك، ويكون التواصل بهذا المعنى هدفاً رئيساً من أهداف العملية الاتصالية، ونحاول هنا تقديم تحليل معرفي لهذا المفهوم على نحو يضعه في سياقه، في الوقت الذي يجد فيه الأفراد أنفسهم في بيئة جديدة ليست لهم بها خبرة أو علاقات سابقة، تبدو الحاجة إلى الاتصال واضحة بأبعادها النفسية والاجتماعية؛ إذ إن الشعور بالعزلة والاغتراب يزيد من الوعي بتلك الحاجة التي تأتي كغيرها من الحاجات الإنسانية مصحوبة بقدر من التوتر النفسي الذي يزول بزوال المؤثر وتحقيق الإشباع لتلك الحاجة، وقد يكون التواصل مشتركاً في بعض دلالاته مع التقبل الاجتماعي، والتعارف والتفاهم، والتي تنتهي جميعها إلى إشاعة نوع من الطمأنينة والألفة بين أطراف عملية الاتصال، والمؤثر المقصود هنا هو: وعينا بوجود آخرين -زملاء، جيران، أقران-، وحالة الإشباع المستهدفة التي ينهي الوصول إليها التوتر؛ هي حالة التواصل الوجداني- الاجتماعي- الإنساني ... إننا وخلال ممارستنا ومشاركتنا في عمليات الاتصال المختلفة نسعى للتحقق من أننا قد وصلنا أو اقتربنا من حالة التواصل.

ويبدو أن حالة التواصل هي غاية العملية الاتصالية وهدفها الذي يبتغيه من يندفعون إلى المشاركة في النشاط الاتصالي الإنساني في الأحوال العادية، ومن ثم فإنه

وبمجرد بلوغ حالة التواصل بين أطراف العملية الاتصالية يتحقق الاستقرار، ويتهيأ ظرف أكثر إيجابية لإنجاح عملية الاتصال، ومن هنا يظهر وجه آخر من وجوه الاختلاف بين الإعلام والاتصال، فعملية الإعلام تنتهي بمجرد تغيير الحالة المعرفية للطرف المراد إعلامه أو مده بمعلومة ما. أما الاتصال؛ فهو عملية مستمرة تسعى باتجاه بناء علاقة (معرفية، اجتماعية، وجدانية) بين طرفين أو أكثر، تكون المعلومة فيه مجرد أداة أو عامل مساعد، وإذا كان واضحاً أن علم الإعلام يهتم بدراسة أنماط معينة من الاتصال، وتساعد المقارنة بين المواقف المتقابلة بين مفهومي الإعلام والاتصال تأكيد أن ما سعى إليه العلم الغربي من حسم الإشكال المفهومي لصالح الاتصال على حساب مفهوم الإعلام لا يزال أمراً بعيد المنال، وهو ما يجسده موقف كل من الفرنسي (ريچيس دوبرييه) والألماني (هابرماس Habermas) باعتبار أطروحتيهما الأحدث ظهوراً على المستوى الفلسفي تفضيلتهما بين مفردتي الاتصال والإعلام، فقد اختار الأول الاستناد لعبارة "علم الإعلام العام" فجعلها عنواناً تفسيرياً لأطروحته "الميديولوجيا" بينما اختار الفيلسوف الألماني (هابرماس Habermas) مفهوم "الفعل التواصل" وهو ما يزيد في بيان جوهرية الإشكال المفاهيمي في هذه العلوم.

والاتصال بطبيعته يُشكّل المقدمة الضرورية لحصول التواصل ولتحقيق ذلك، فمن الضروري أن يكون الاتصال نشاطاً قاصداً منذ البداية لتحقيق التواصل، أما إذا ظللنا نتعامل مع الاتصال كأداة تحكمية لتغيير الاتجاهات ووسيلة لتنميط الرأي العام؛ فإننا بذلك نكون قد عملنا على توسيع الشقة ووضع العراقيل في المسافة القائمة بيننا وبين تحقيق التواصل المنشود.

ولا يؤمل أن يوجد مثل هذا النوع من الرؤية والتفكير الاتصالي في وسط لا يؤمن بالمثل والمثالية، فالأنظمة الاجتماعية السياسية في المجتمعات المعاصرة تعتمد رؤيةً براجماتية، وفي بعض الأحيان ميكافيلية، وهو وسط لا يعير اهتماماً بالأبعاد الأخلاقية، كما أن العالم الذي تتحكم فيه فلسفة صراعية لا يركن إلى الثقة في البعد الإنساني

المجرد. ويبدو أن ذلك الفريق من المفكرين الذين لا يؤمنون بصورة طوباوية للعالم هم الأوفر حظاً في التاريخ الإنساني عامة والأكثر تنفذاً في واقعنا بشكل أخص.

وإذا انقلبنا إلى الواقع، ونظرنا في مفارقة ضعف التواصل مع ضخامة البنية التقنية للاتصال؛ ذلك الواقع الذي التفت إليه عدد من علماء وخبراء الاتصال والإعلام، الذين تحتوي أعمالهم تعبيرات بليغة في وصف الحالة منها: "وسائل الاتصال التي تركز العزلة" وعبارة "اتصال بلا تواصل" والتي انطلق منها البحث عن مقدار التشابه والاختلاف بين مفهومي الاتصال والتواصل، وانتهى بنا إلى ما نحن فيه الآن.

وفي البحوث الاستطلاعية حول المفهوم في سياقاته اللغوية والاجتماعية، تظهر القرائن لتي تربط المفهوم بأبعاد روحية ميتافيزيقية، ففي التراث العربي الإسلامي مثلاً ترتبط مفاهيم الاتصال والتواصل بالعلوم العرفانية.

وكما ذكرنا فإن تراث اللغات اللاتينية يحوي ربطاً لكلمة "Communication" بعلوم التخاطر Telepathy أما المفردات الدالة على التواصل كما نجدها في معجم ويبستر مثلاً؛ فهي تشير إلى قدر عال من الحميمية والروحانية.^(١)

يعرف قاموس ويبستر التواصل Mutual communication بأنه: اتصال مشترك؛ إذ يسعى الناس بطبيعة الحال لتحقيق التواصل والزمالة مع الآخرين، وهو عملية تقاسم واشتراك ومشاركة.

- الاتصال بين شخصين أو أكثر، والإدراك اللاشعوري، ورابطة حميمة كما يعني التعاطف والثقة، وتبادل الأفكار والأغراض، وما إلى ذلك؛ ويعني أيضاً الاتفاق، والزمالة، والتواصل مع أرواح القديسين.

(١) انظر الكلمات المفتاحية: Com`mun`ion: على موقع قاموس ويبستر:

- وهو في دلالة أخرى شيء من سرّ القربان المقدّس، وحفل العشاء الرباني.

ثانياً: تعريف عام للاتصال الإنساني

نخلص مما سبق للتعريف الآتي للاتصال، حيث يمكن تبعاً للدراسة السابقة تعريف الاتصال بسبعة عناصر:

- إننا عندما نطلق كلمة اتصال في وصف العلاقات الإنسانية، فإننا نقوم بوصف علاقة قائمة على نوع من الاستعداد الذهني.
- إن هذه العلاقة قائمة بين شخصين أو أكثر.
- قوام هذه العلاقة قدر من الاشتراك والتبادل والنقل للمدركات والمواقف الشعورية، أو الصور الذهنية.
- إن بنية الرسائل المتبادلة قد تكون رمزية، وقد تكون لفظية.
- إن هذا النقل يتم باستخدام الحواس، وامتداداتها التقنية من الوسائل الاتصالية المختلفة.
- إن الغاية من هذه العلاقة هو القضاء على العزلة وإزالة الجفوة، وتحقيق التعارف في أطار العملية التواصلية.
- إنه في حالة انقطاع التواصل يتعذر القيام بالوظائف الحيوية والاجتماعية والثقافية للحياة الإنسانية بطريقة سلسلة وعفوية.

ويشمل الاستعداد الذهني وجود إطار دلالي مشترك، أو إطار من الخبرة المشتركة بين أطراف العملية الاتصالية. كما يشمل استخدام مهارات الاتصال الأساسية والمكتسبة -السمع والكلام، القراءة والكتابة- ونحوها. ونعني بالاشتراك؛ إيجاد أو التحقق من مستوى المعرفة المشتركة بين أطراف العملية. أما التبادل؛ فنعني به الانتقال المتبادل للمعرفة بين أطراف العملية. ويشير النقل إلى انتقال المعرفة من طرف لآخر بقصد الإخبار والإعلام، أو التعليم والتدريب. وعليه؛ فالحياة الإنسانية في

صورتها المثالية هي حياةً مفعمةً بالاتصال والتواصل، والفعل الإنساني نادراً ما يخلو من بُعدٍ تواصليٍّ مع الذات أو الآخر، ويستكمل الإنسان دائرته التواصلية حينما يقيم علاقة موجبة مع إطاره البيئي والكوني، مما يحقق استدامة الحياة الطيبة، ويحقق مقاصد الوجود الإنساني.

وإجمالاً لما سبق؛ فإن الملاحظة تحيل إلى أن ثمة عوامل قد لعبت دوراً بارزاً في خلق نوع من الضبابية على الفضاء المفاهيمي لعلوم الاتصال عامة، من أهمها: الحداثة النسبية لظهور الاتصال كعلم قائم بذاته، وشدة التداخل بين مباحث علم الاتصال والعلوم الأخرى، وتسارع وتيرة التطور في مجال تقنيات ونظم الاتصال المعاصرة.

ولعل من أهم العوامل التي أسهمت في تكريس هذا الوضع في البيئات العربية:

- الاختلاف في لغة مصدر المعرفة العلمية الاتصالية بين اللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية.

- الاعتماد على جهود الأفراد في ترجمة المصطلحات، والكتب المرجعية في مجال الاتصال.

إلا أنه يتوقع مع تزايد الاهتمام بالحقل الاتصالي واتساع دائرة المشتغلين به، وسعي باحثيه ومؤسساته العلمية على تأكيد شخصيته كعلم قائم بذاته أن تتجه بنيتة المفاهيمية وقاموسه الاصطلاحي لاكتساب ملامح أوضح، والتعبير عن الظاهرة الاتصالية على أفق أوسع.

وفي تحليلنا السابق يمكن ملاحظة كيف تتجلى إشكالية المفهوم لتشمل في داخلها حتى المفهوم الجوهري لهذا العلم وهو مفهوم "الاتصال" فقد تأسست المنهجية المتبعة في دراسات الاتصال في بلادنا على نظره للمفهوم الاتصالي، تراه مفهوماً وظيفياً لا قيمياً، مما نتج عنه استيراد سلبي للمعرفة الاتصالية الغربية لمجرد كونها الأسبق ظهوراً، والأسبق في التعامل مع واقع تلك المجتمعات والتأثير فيه، وربما كانت تلك السلبية في استيراد المعرفة الاتصالية ناتجةً عن أن العقلية العاملة في هذا الجانب لم

تستصحب ثلاثة أنواع من الخصوصيات ذات الأثر المباشر في البيئات العربية الإسلامية، هي: الخصوصية العقدية الدينية، والخصوصية الأيدولوجية السياسية، والخصوصية الثقافية، تلك الخصوصيات التي تسندها محددات نفسية تستدعي نوعاً من الحساسية وردود الأفعال العنيفة أحياناً حيال أي موقف قيمى يمُسُّ هذه الخصوصيات الثلاث، فالمساس بالخصوصية الدينية يحفز بصورة لا إرادية المكونات الروحية والعقدية في شخصية متلقي الرسالة الإعلامية، كما أن المضامين التي تستهدف برسالتها أهدافاً ذات أبعاد أيدولوجية وسياسية تثير في نفوس المتلقين ردود أفعال أيدولوجية فكرية. أما في جانب الخصوصية الثقافية؛ فتبرز العادات والتقاليد والقيم الاجتماعية كمحددات أساسية لنمط السلوك المتوقع حيال الرسالة ذات الأهداف الثقافية صناعة وتفاعلاً.

وتتمثل أهم الإشكالات الناتجة عن هذا الوضع في العجز الذي تبديه دراسات وبحوث الاتصال المعاصرة حيال الواقع العربي الإسلامي، وضعف قدرتها على العمل بذات الفعالية التي عملت بها في بيئاتها الأصلية، ولقد اكتفينا في هذا الجزء بإعادة قراءة المفهوم الاتصالي والنظر في المفاهيم المشتركة والأساسية لدراسة الظاهرة الاتصالية، وأرجأنا المفاهيم ذات الارتباط بنظام الاتصال الإسلامي مثل: (مفهوم الدعوة والاستجابة) وفق منهجية في التحليل تجمع بين مناهج التحليل اللغوي، والتحليل الإبستمولوجي لمفاهيم الاتصال.

وقبل أن نتجه إلى التعريف الاتصالي للدعوة يجدر أن نُلقي نظرة على الخريطة المفاهيمية لعلوم الاتصال ونبدأ بالمفهوم الأسبق ظهوراً، والأكثر شيوعاً واستخداماً، وهو مفهوم الإعلام، لقد ظل مفهوم الاتصال يعد وإلى وقت قريب مفهوماً مدرسياً، منحصراً في حدود الاستخدامات العلمية والأكاديمية، حتى شاع استخدامه في المجال العام تبعاً لتطورات التقنية في مجال المعلوماتية والاتصال، وقد شاع استخدام مفهوم الإعلام باعتباره المقابل العربي لكلمة: "Information" السائد استخدامها في الغرب الذي تخرج في جامعاته معظم رواد الإعلام في العالم العربي، ولذلك نجد أن أستاذاً

رائداً كعبد اللطيف حمزة يعتبر تعريف الألماني (أوتوجروث Ouitogroth) تعريفاً معيارياً من حيث الوضوح، ويعرّف (أوتوجروث) الإعلام بـ "أنه التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها في نفس الوقت".^(١)

وقد نبّه عددٌ من علماء الاتصال العرب إلى وجود خلط بين مفهوم الاتصال والإعلام، حيث يتسع مفهوم الإعلام في العربية أحياناً ليشمل مفهوم "الاتصال" وينكمش في أحيان أخرى ليقصر على وسائل الاتصال أو أحد وظائفه، ويرى آخرون أن كلمة إعلام تقصر عن استيعاب ظاهرة الاتصال بأبعادها المختلفة، وذلك باعتبار الإعلام إدلاء من جانب واحد.^(٢) وهناك خلط آخر يمكن ملاحظته في بحوث الاتصال العربية بين مفهومي "الإعلام والمعلومات" تبعاً لاشتراك المفهومين المتباينين في العربية في أصل لاتيني واحد للكلمة "Information" والتي تعني شرح أو توضيح شيء ما. والرباط بين مفهوم الإعلام والمعلومات وثيق، والمفردة الدالة عليهما في اللغات اللاتينية واحدة، ويمكننا القول بأن المعلومات هي الشيء الذي يُغيّر من الحالة المعرفية للشخص في موضوع ما، وكذلك هي؛ أي معرفة تكتسب بالاتصال أو البحث أو التعليم أو الملاحظة^(٣) يعطي المعنى المعجمي للفظ معلومات Information كما يرى الفرنسي (جاك إيلول) إحساساً بالشكل form، إنه يقوم بتشكيل السلوك وفقاً لها.^(٤)

والمعلومات في علوم الكمبيوتر بيانات تُشكّل الحقائق والأفكار، بأسلوب يجعل بالإمكان توصيلها أو معالجتها بأساليب متنوعة.^(٥) وفي علوم الإدارة مثلاً فينظر

(١) سمو، أساسيات الاتصال ومهاراته، مرجع سابق، ص ١٦.

(٢) العبد، مدخل إلى الاتصال والرأي العام، مرجع سابق، ص ١٦.

(٣) كما قال عنها د. حشمت قاسم: إنها في مرحلة وسطية بين البيانات والمعرفة، فالبيانات هي حقائق متفرقة، وعندما تتجمع هذه الحقائق وترتبط معاً تصبح معلومات، وعندما تصبح المعلومات قادرة على التأثير في سلوك الفرد والمجتمع تتحول إلى معرفة.

(٤) إيلول، جاك. خدعة التكنولوجيا، ترجمة: فاطمة نصر؛ القاهرة: مكتبة الأسرة، ط ١، ٢٠٠٤م، ص ٣٩٢.

(٥) المرجع السابق. ص ٣٩٤.

للمعلومات على أنها ذلك الشيء الذي يغيّر الحالة المعرفية للشخص في موضوع ما.

وتبين هذه التعريفات مناطق التداخل بين مفهوم المعلومات ومفهوم الإعلام الذي يعبر عن أحد أهم وظائف الاتصال، والتي اكتسبت أهمية مضاعفة خلال حقبة ازدهار وسائل الاتصال الجماهيرية Mass Media، حيث تخلف شعور بأن وظيفة الإعلام تشكل جوهر العملية الاتصالية، فترتب على ذلك تسمية "علم الإعلام" وتعريف وسائل الاتصال باعتبارها وسائل للإعلام، وهو ما تم تداركه لاحقاً بعد التطورات الكبرى في مجال بحوث الاتصال. وقد تزامن شيوع هذا المفهوم للإعلام وازدهار المساقات الرئيسة الأربعة لهذا العلم، وهي: الدعاية، والرأي العام، ووكالات الأنباء ووسائل الاتصال الجماهيرية.

سنلاحظ في السياق الذي تتبعنا فيه المفاهيم الرئيسة المشكّلة للمنظور التواصلية أن مفهوماً تواصلياً يعبر عن الخصوصية الثقافية للمجتمعات المسلمة لم يظهر أو لم تُتَح له الفرصة للظهور، في حين فرضت مفاهيم لم يتم حولها الاتفاق، وظلت تثير إشكالات على مستوى بيئتها الأصلية، كمفهوم الرأي العام والدعاية، برزت باعتبارها مفاهيم علمية معيارية، قد لا يكون الأمر مستغرباً في النسخة الغربية لعلوم ودراسات الاتصال، أما أن يكون هذا هو الحال في البيئات والمجتمعات العربية والإسلامية؛ فإن ذلك مما يستدعي التوقف والمراجعة.

والاتصال كما هو معلوم نظام عائد في ملكيته للمجموع، وهو نظام تم قبوله وتطبيقه عبر أفراد المجتمع ليقوموا من خلاله بنقل وتبادل الأفكار، والتشارك في الرؤى والتوجهات، وحفظ ومعالجة المعلومات، ولكنّ الملاحظ أن الممارسات الاتصالية السائدة في المجتمعات العربية -والتي لا تحفل بها بحوث الاتصال الغربية- تظل غائبة بمفاهيمها عن ساحات التداول العلمي؛ مما يعطي انطباعاً أن الفضاء المفاهيمي لعلوم الاتصال في الجامعات العربية يعبر عن مضامين الاتصال الغربي أكثر من تعبيره عن واقع الاتصال في المجتمعات العربية نفسها، ويمكن التمثيل لذلك

بمفهوم "الدعوة" الذي يشمل ممارسات اتصالية مستقرة ومستمرة في تلك المجتمعات؛ وهو مفهوم أبلغ في تعبيره عن تجليات الظاهرة الاتصالية من كثير من المفاهيم السائدة، فقد تأسس الوعي بأبعاد الفعل الاتصالي في وقت باكر من عمر التجربة الاجتماعية الإسلامية، وقد تمحور الاتصال الديني حول العملية الدعوية القائمة على ركني الدعوة من ناحية والاستجابة من الناحية الأخرى، ومن المؤكد أن هذا الشكل أوفق في تمثيله لعملية التواصل الإنساني في المجتمعات الإسلامية من نموذج المثير والاستجابة، الذي يستدعي في الذاكرة سلوك الحيوان أكثر من تعبيره عن السلوك البشري.

ومع ما اتضح لنا فيما مضى من فقرات كيف أن قضية المفهوم تمثل موضعاً يتجلى فيه تباين الرؤى العلمية والمداخل المنهجية على أوضح ما يكون، ويلزمنا هنا أن نسير باتجاه التحقق من العلاقة بين مفهومي الدعوة والاتصال على نحو أكثر تفصيلاً مما فعلنا مع المفاهيم السابقة.

ثالثاً: العلاقة بين الدعوة والاتصال

مع وضوح معنى الدعوة في كتب اللغة، إلا أن ثمة إشكالات تعترض محاولة تحليل هذا المفهوم حال ارتباطه بمفاهيم الاتصال، مثل: مفاهيم الإعلام والدعاية والاتصال، ولأن الممارسات البحثية الاتصالية السائدة في المجتمعات العربية، تقوم في معظمها على مفاهيم وأدوات غربية، أمر لا يمكن إنكاره مما جعل التراث البحثي العربي الإسلامي يبدو معبراً عن مضامين الاتصال الغربي أكثر من تعبيره عن واقع الاتصال في المجتمعات العربية والإسلامية نفسها، وعليه؛ يغدو طبعياً غياب المفاهيم الاتصالية ذات الخصوصية في الإسلام كمفهوم الدعوة مثلاً، وفي هذا السياق جاء الفصل السابق باعتباره مقدمة ضرورية لموضوع هذا الفصل المخصص لدراسة العلاقة بين مفهومي الدعوة والاتصال، وتحديد موقع الدعوة من الخريطة المفاهيمية للدراسات الاتصالية ليتبلور من حصيلة ذلك التعريف الإجرائي للاتصال الدعوي، كما تقرر هذه الدراسة.

ونبدأ بالوقوف على أهم التعريفات التراثية لمفهوم الدعوة، فالدعوة في الكتابات الشرعية والدراسات الإسلامية تعرف باعتبارها الدعوة إلى الله، وتعني: "الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، وبتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا"، وهو ما عرّفها به شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى^(١) أو كما عرّفها الطبري بقوله: "هي دعوة الناس إلى الإسلام، بالقول والعمل".^(٢) أما باحثو الدراسات الإسلامية المعاصرين؛ فيعرفون الدعوة بأنها: "تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة"^(٣) ولمفردة دعوة في اللغة دلالات حديثة، أسهبت معاجم اللغة وقواميسها في عرضها والتعريف بها، فمفردة دعوة قد تعني في اللغة:

- الرغبة إلى الله عَزَّجَلَّ، فهي من الفعل دعا، ومصدره دعاء ودعوى، والاسم منه الدعوة والدعوة.^(٤)

- قد تفيد الاستغاثة، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَأَنذَرُكُمْ سُورَ مَثَلِهِ مُفْتَرِيكُمْ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: ١٣].

- دعاه واستدعاه؛ أي صاح به.

- تطلق كلمة دعوة ويراد منها النداء، وفيها قولك: دعوت زيدا؛ أي ناديته وطلبت إقباله.

(١) الحارثي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية. مجموع فتاوى ابن تيمية، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، بيروت: دار الوفاء، ط٣، (١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)، ج ١٥، ص ١٥٧.

(٢) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. جامع البيان في تأويل آي القرآن، بيروت: دار هجر، ط ١، (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ج ١٣، ص ٣٧٨.

(٣) البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، مرجع سابق، ص ١٧.

(٤) الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد. القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٨، (١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)، ص ١٦٥٥، باب: الواو فصل الدال، مادة: (دعو).

وهنا يجب ملاحظة الآتي أن التعريفات التراثية الاصطلاحية منها واللغوي قد جاءت مواكبة لتفسير قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥] ومن ثم تصبح التعريفات الواردة وافية بالمطلوب في حدود التفسير، ولكن الدعوة في السياق الاجتماعي تحتاج إلى تعريف أكثر شمولاً يستوعب في ثناياه وظائف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحسبة العامة ومناصحة ولاية الأمر، هذا بخلاف الوظائف التقليدية للدعوة، مثل: الأذان للصلاة والخطابة المسجدية والوعظ والإرشاد الاجتماعي، بهذا المعنى تصبح التعريفات السابقة غير وافية بالمطلوب على نحو تام.

والملاحظ أن كثيراً من الدراسات المتخصصة في "مبحث/ علم الدعوة" -الذي هو أحد مساقات الدراسات الإسلامية- قد أسست على ذلك التعريف التراثي متناسية التحولات الكبيرة التي طرأت على ممارسة الدعوة في المجتمعات الإسلامية المعاصرة.

والمعنى الجوهرى الذي يدور حوله المعنى اللغوي للدعوة هو نداء الناس وإمالتهم إلى الإسلام، وحثهم على الانتساب إليه والالتزام به، والاجتماع عليه، وهو ما جرت التعريفات الاصطلاحية تأكيده.

وقد ذهب محمد أبو الفتح البيانوني -أحد أشهر من كتبوا في الدعوة من المعاصرين- إلى أن الدعوة في اللغة تعني: "الطلب: يقال: دعا بالشيء: طلب احضاره، ودعاه إلى الشيء: حثَّ على قصده، يقال: دعاه إلى القتال، ودعاه إلى الصلاة: ودعاه إلى الدين، وإلى المذهب: حث على اعتقاده وساقه إليه."^(١)

وعرِّفت الدعوة اصطلاحاً بأنها: "ذلك الجهد المنهجي المنظم، والهادف إلى تعريف الناس بحقيقة الإسلام."^(٢) وأنها: "هي حركة علمية عملية لنشر الإسلام وتعليمه للناس وتعريفهم به على الوجهة الصحيح، وفق منهج علمي مدروس،

(١) البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، مرجع سابق، ص ١٦.

(٢) برغوث، الطيب. منهج النبي في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية، هرنند: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ١، ١٩٩٦م، ص ٦٧.

بوسائل وأساليب راقية ومتجددة، بواسطة دعاة مسلمين يقومون به في الناس على هدى وبصيرة.^(١)

والدعوة بالنسبة لداعية من المسلمين الجدد:^(٢) "دعوة الناس إلى الإسلام"، ويعني السعى لإبلاغ الإسلام لكافة الشرائح المستهدفة، وإذا أخذنا كلمة "To Call" يقصد بها المناداة، والتي بدورها تحتاج لمجهود من أساليب ووسائل لإيصال الرسالة من خلال ما يجب أن يبذل للوصول إلى الاتصال الدعوي، والملاحظ أن كلمة "To Call" دائماً تستخدم لدى المسيحيين الذين دخلوا الإسلام بمعنى الدعوة، ولكن الصحيح بالطبع المقابل لها في الدعوة الإسلامية هي الدعوة To Invite.

وقد تتضارب الآراء حول مفهوم الدعوة كالحال من جل المفاهيم الاجتماعية والإنسانية، إلا أن العاملين في كلا مجالي الدعوة والاتصال لا يكادون يختلفون في هذا مفهوم، حيث يشير إلى الممارسة الاتصالية الأهم والأكثر استقراراً في المجتمعات الإسلامية، ويشمل في دلالته إلى جانب البعد الديني الشعائري أبعاد أخرى اجتماعية وتنظيمية وثقافية منها البعد الاتصالي.

١ - الإعلام والدعوة والدعاية:

ينبغي الاعتراف أن عدم إشارة المراجع الدعوية لذلك النوع من الإشكالات المفاهيمية لا يعني عدم حضورها في متن تلك الدراسات، التي تعرض حساسية أقل تجاه الجوانب المنهجية المتعلقة ببناء المفاهيم، لميولها نحو الجوانب الوصفية ونزوعها العملية/ البراجماتية، ومن ثم عدم احتمال بروز هذا النوع من الإشكالات في متن تلك

(١) محمود، طه عبد الله. أساليب ووسائل ممارسة العلاقات العامة في المؤسسات الدعوية بالسودان، رسالة دكتوراه غير منشورة، ص ١٥٥. نقلاً عن:

- العرماني، محمد زين الهادي. الدعوة الإسلامية الشمول والاستيعاب، ط ١، الخرطوم: مطابع السودان للعلمة، ٢٠٠٥م، ص ١٠.

(٢) To Call People to Islam، وهو تعريف أورده الشيخ السوداني، محاضرة في مسجد منظمة الدعوة الإسلامية بالخرطوم حيث تحدث عن الطريقة التي أسلم بها، ٣٠/١٢/٢٠١٠م.

الدراسات. وفي المقابل كانت تلك الإشكالات من أهم ما جابه محاولات التأصيل الإسلامي للإعلام على نحو ما سترزه الفقرات القادمة.

في السياق المعاصر أسهبت بحوث الإعلام في محاولات للتمييز -على أساس الدلالة- بين كل من مفاهيم الدعوة والدعاية والإعلام، وبين محاولات التوفيق والتفريق توزعت المواقف العلمية، ما بين موقف يتجه إلى التوفيق بين الدعوة والإعلام والتفريق بين الدعوة والدعاية، وآخر يدعو لما هو أكبر من ذلك إلى التفريق والتمييز بين مفهومي الدعوة والإعلام، ويمثل الموقف الأول محيي الدين عبد الحليم الذي يرى "أن الإعلام يعني تزويد الجماهير بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة، باستخدام كافة الوسائل القديمة منها والحديثة"، والإعلام إذا صح أداؤه وحسن عمله، فإنه يحقق للدعوة الانتشار والفاعلية، ويحقق التأثير المستهدف، فالإعلام والدعوة يحملان المعنى نفسه على الصعيدين النظري والعملي، وإذا استعرضنا التعريف العلمي للإعلام نجد أنه يتطابق مع مفهوم الدعوة بمعناها الأصيل، فإنها إذن نشاط إعلامي، ولكنه إعلام من نوع خاص، إنها الإعلام بالرسالة، وعلاقة الإعلام بالدعوة تختلف عن علاقته بالعديد من العلوم والفنون الأخرى، حيث إن علاقته بالدعوة هي علاقة من نوع خاص، فالإعلام هو المحرك الرئيس الذي تدور به قافلة الدعوة، ومن خلاله تتحقق أغراضها، ومن ثم فإن الفصل بين النشاط الدعوي والنشاط الإعلامي يجافي الحقيقة، وبذلك فنحن نؤكد على وحدة النشاطين.

كما يرى أن الدعوة بمعناها الأصيل تختلف عن الدعاية بمفهومها الحديث، على الرغم من أن الأصل اللغوي لكل منهما واحد، لأن الدعاية كثيراً ما تستند إلى الخيال، وتعمل على فرض وجهة نظرها، مستهدفة من وراء ذلك إخفاء وجهة النظر الأخرى. وتستغل الدعاية سلبية الناس، وتعمل على تخديرهم، ولا تحفل بإيقاظ عقولهم أو إشراكهم في الأمر، وقد تشوه الحقائق أو تضخمها أو تبتريها، وليست الدعوة هكذا،

بل إنها تنأى بنفسها عن أن تنهج هذا النهج.^(١)

وكثيراً ما تلجأ الدعاية إلى الكذب والمبالغة في القول وبث الشائعات، معتمدة في ذلك على التعبيرات البراقة والصيغ المحفوظة، وقد ينهج العاملون بالدعاية نهجاً لا يتفق مع الأخلاق والمثل العليا، وقد اكتسبت الدعاية هذه المعاني والأوصاف بعد الحرب العالمية الثانية، حين شوّه (أدولف هتلر) معناها في حربه الدعائية ضد الحلفاء على يد وزير دعايته (جوبلز)، فتحت منحىً آخر خرج بها عن أهدافها النبيلة.

ويتجاوز الذين يربطون الدعوة بالدعاية الحقيقة، كما أن الخطط الإعلامية في المجتمعات الإسلامية لن يكتب لها النجاح المطلوب في غيبة دعم دعوي وتأيد روحي من رجال الدين، وبالمقابل لا فاعلية تُرجى لخطط الدعوة إذا لم يكن لها ظهير من رجال الإعلام؛ لأن الفريقين يمثلان قادة الرأي في هذه المجتمعات، وهم قادرون على تحقيق النجاح لهذه الخطط أو إفشال نشاطها، ويتميز النظام الإعلامي على نظيره الدعوي أنه يحتوي على قدر أكبر من التحكم عبر متابعة ومراقبة مباشرة ممن يطلق عليهم خبراء الإعلام، حراس البوابات الإعلامية؛ لأنهم هم الذين يسمحون بمرور ما يقنعون به، ويمنعون ما لا يتفق مع فكرهم ورؤاهم، وفي الوقت نفسه؛ فإن الخطط الدعوية لن يتحقق لها الانتشار المطلوب في غيبة وسائل الإعلام الحديثة؛ لأنها في حاجة إلى شبكات إذاعية، وقنوات فضائية، وصحف دولية، لنقلها وتعميمها.^(٢)

في ذات الوقت ذهبت بعض التحليلات إلى أن الدعوة إنما هي الاتصال الذي يهدف إلى الإقناع، و"أنها اتصال يستهدف تحقيق مهمته باستعمال أدوات المنطق والاحتجاج في سبيل الإقناع بالفكر، وبذلك فإنها لا تختلف عن أي اتصال غايته

(١) عبد الحليم، محيي الدين. إشكاليات العمل الإعلامي بين الثوابت والمعطيات العصرية، تقديم: عمر عبيد حسنة، سلسلة كتاب الأمة (٦٤)، الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (ربيع الأول ١٤١٩هـ/ يوليو ١٩٩٨م)، ص ٤١.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٣.

ومنتهاه هو الإقناع، سواء أكان ذلك اتصالاً سياسياً Political Communication أو تجارياً Business Communication أو إعلاناً Advertising. "وتركز هذه المعالجات على الأبعاد الدلالية متجاهلة البعد "التداولي" للمفهوم، والذي يعدّ أكثر أهمية في مجال الاتصال العلمي.

إلا أنه يتوقع مع تزايد الاهتمام بالحقل الاتصالي واتساع دائرة المشتغلين به، وسعي باحثيه ومؤسساته العلمية تأكيد شخصيته كعلم قائم بذاته، أن تتجه بنيته المفاهيمية وقاموسه الاصطلاحي لاكتساب ملامح أوضح، والتعبير عن الظاهرة الاتصالية على أفق أوسع.

إن ما تقرره المرجعيات المنهجية من اضطراب في حالة المفهوم الاتصالي في السياقين الغربي والإسلامي على حدّ سواء، يمثل حافزاً للباحث والدارس والممارس في مجالات الدعوة والاتصال للسير بخطى واثقة في إعادة بناء مباحث هذا العلم، بما يحقق الاستقرار ويبين الدلالات، ويثري المعرفة التواصلية، ويوجه الممارسة العملية، ولعل المساحة المتاحة للقيام بذلك في حدود هذا الكتاب تنحصر في حدود مفهوم الاتصال الدعوي، ويمكن من بعد تعميم منهجية المعالجة على مجمل مفاهيم العلم الاتصالي وحقوقه المعرفية الأخرى.

وعلىنا قبل ذلك النظر في إمكانية تخطي عقبة الاضطراب المفاهيمي المشار إليه آنفاً، والذي أشرنا إلى أسبابه وعيناها في:

- حادثة ظهور العلم الاتصالي المعاصر.
- النشأة الغربية لهذا العلم، وهي بيئة مغايرة للبيئة الإسلامية.
- قيامه على مفاهيم ومصطلحات يعزّ وجودها بمنطوقاتها في الأصول العربية والإسلامية.
- شدة التداخل بين مباحث علم الاتصال والعلوم الأخرى.

- تسارع وتيرة التطور في مجال تقنيات ونظم الاتصال المعاصرة.

- ضعف الاهتمام بالبحث الاتصالي والإعلامي في البلاد العربية الإسلامية.^(١)

مما ترتب عليه غياب المفاهيم التواصلية المتداولة إسلامياً عن ساحة البحث والنظر الاتصالي.

إن من أهم ما سيعمل عليه هذا الكتاب هو معالجة دواعي اضطراب المفهوم الاتصالي، بحيث نضمن عدم بروز هذا النوع من الإشكال ضمن التكييف المنشود لمساق الاتصال الدعوي.

ولعل التزام المنهج الاتصالي القائم على التتبع المعرفي للقضايا المثارة يعالج مشكلة حداثة ظهور العلم الاتصالي المعاصر، وتبيين قصور مناهجه ذات النزعة الوضعية والتجريبية غالباً، وذلك بإبراز الأصول المعرفية لكثير من المقولات المعروضة في سياق الجدل النظري، باعتبارها بنات لحظتها، وأنها بريئة من التعلقات باصول معرفية غير التي يشير إليها الحس والملاحظة، مما عرض المعرفة الاتصالية ودراسات الإعلام، وكأنها معارف كاملة الحداثة في حين يبرز التتبع أن كثير مما تعرضه تلك الدراسات هو مستقل عن الوقائع المدروسة، ويرجع في أصله إلى جذور بعيدة في التجربة الإنسانية في جوانبها العلمية والميتافيزيقية، وتتخذ حركة التتبع مسارين مسار تاريخي وآخر معياري، وكثيراً ما ينتهي المسار التاريخي بالتجربتين الغربية والإسلامية إلى نقاط التقاء؛ مما يتولد عنه أسئلة متعلقة بأسباب التباين والتنافر في الرؤيتين، ومبررات المفارقة لدى كل نقطة من تلك النقاط، وأما إذا كانت مسوغات علمية منهجية وهو أمر له بالغ الأثر على معيارية العلم من ناحية ومصداقية الباحث من ناحية أخرى.

أما المسار المعياري لحركة التاصيل المعرفي للاتصال؛ فهي بينة الوجهة، حيث تنقلب بالقضية المدروسة تلقاء آيات الوحي ومقتضى السنن وهي كفيلة في ظن الباحث بمعالجة

(١) العوض، "أصول الظاهرة الاتصالية في القرآن الكريم"، مرجع سابق.

أهم الإشكالات، وهو ذلك المتعلق بأشكال التعبير عن الظواهر العلمية، واصطفاء المفاهيم والمصطلحات الأكثر دلالة واستقراراً دون تحكم أو اعتساف؛ خاصة أن القرآن هو أساس الفصل في مختلفات المؤمنين، والشواهد الدالة على حسم المفهوم القرآني لمعارك الجدل الكلامي أكثر من أن تحصى، وإذا أردنا التمثيل، نجد أن تباين المفاهيم القرآنية المعبرة عن الظاهرة الواحدة مندوحة للدارس في أن يتوسع في اختياره في التعبير عن المشاهدات والمعلومات دون الحرج الذي تثيره نزوع العلم الغربي نحو التحكم المفهومي، والحصص الاصطلاحي الذي يريد أن يفرض على الاجتماعيات والإنسانيات قسراً نوعاً من التحقق بما لا يلائمها من صفات الظاهرة الطبيعية من الانضباط شكلاً ومضموناً، ومرجع ذلك أن النموذج المعرفي التوحيدي لا يشاكل في طبيعته أو رؤيته أو تعبيره عن الظاهرة الإنسانية المنظور الوضعي المادي، وإذا انقطع المنظور التوحيدي عن جذره القرآني افتقد إلى أهم ضوابطه المنهجية، تماماً مثلما يحدث للمنظور الوضعي الذي يفقد خصوصيته إذا انفتح في تعريفه للعلم، ليشمل ما هو فوق المحسوس من الظواهر.

وإذا تم التوافق على حقيقة أن علم الاتصال ودراساته الحالية -بدءاً من أصوله المنهجية وانتهاء بأجندته البحثية- هو علم غربي بامتياز، يصبح التساؤل عن معياريته ودلالته على البيئات غير الغربية ومنها البيئة الإسلامية أمراً مشروعاً.

ولعل من أهم صور التعبير عن ذلك النزوع الغربي هو خريطة مفاهيم ومصطلحات العلم، ولا يتوقف الأمر عند عجز علم الاتصال بصورته الحالية عن استيعاب المفاهيم المعبرة عن الظاهرة التواصلية الإسلامية، بل يتجاوز ذلك بتعدُّ وجود مفاهيم ذلك العلم بمنطوقاتها في أصول المعرفة التوحيدية، ما يؤكد أن الامتدادات الإنسانية لتلك الظاهرة وصور التعبير عنها غائبة عن من منظور علم الاتصال المعاصر.

وقد يذهب بعضهم أنه ليس من طبيعة العلم البشري الإحاطة والشمول بما يتجاوز إمكانيات افراد الباحثين وجماعات العلماء، والإجابة كامنة في أن تكامل المعرفة الإنسانية هو شرط شمولها ومعياريتها، وعليه؛ فإن اكتفاء أي منظور بمقرراته

ومسلماته دون اعتبار للمنظورات الأخرى يجعله يعمل في إطاره الخاص، ولا يمنحه القدرة على تعميم نتائجه على نطاقات تتجاوز حدود تلك المسلمات.

ويوحد المنظور التوحيدي بين مداخل المعرفة الإنسانية بحيث تستوعب الأبعاد الحسية مستقلة عن الأبعاد العرفانية والرؤى الوضعية إلى جانب الرؤى المعيارية والجوانب الحسية مكاملة للجوانب الحدسية.

ويربي القرآن الكريم بما يسوقه من براهين عقلية وشواهد عملية ومشاهد تاريخية في ذات العالم المؤمن هذا النزوع التكاملي. وعندما يتوفر نموذج تكاملي نشط قادر على قراءة الظاهرة الواحدة في أبعادها المتباينة، دون أن يعتريه التشتت أو يضطر إلى تفكيك الظاهرة المدروسة، عندما يتوفر ذلك النموذج يصبح التعدد والتداخل في الباحث الدارسة للظاهرة الاجتماعية داخل العلم الواحد، وبينه وبين العلوم الأخرى مجرد مقارنة تنظيمية للبيان والشرح، مع الحضور التام لحقيقة التركيبية والتعقيد والتداخل الحاكم على الظواهر الإنسانية.

ومما يجب أن نذكر طرفاً منه هنا أن مما يميز الاتصال الدعوي عن نظم الاتصال المعاصرة ما يتضمنه من تغليب للغايات والمقاصد على التقنيات والوسائل.

فالدعوة في سلم أولويات المجتمع التوحيدي مقصد كلي تتفرع عنه مقاصد جزئية، كما أنها في ذات الوقت وظيفة إنسانية ذات أبعاد فردية واجتماعية وأمية ووجودية.^(١)

٢- تعريف الاتصال الدعوي:

وبما أن الدعوة كظاهرة اجتماعية وسلوك إنساني هي موضوع ذو وجوه متعددة وأبعاد متداخلة؛ تستدعي الدراسة الشاملة لها نوعاً من التكامل بين العلوم المتخصصة في كل بُعد من هذه الأبعاد، حيث تحتوي ظاهرة الدعوة إلى جانب البعد الديني والعقائدي بُعداً اجتماعياً تواصلياً، يفرض على بحوث الاتصال السعي لدراسة

(١) المرجع السابق.

الأنشطة والممارسات التواصلية في المجتمع، ومن بينها "الدعوة" النشاط الاتصالي الأهم في المجتمعات الإسلامية.

ومما تقرره الأصول الإسلامية، وتعززه بحوث الاتصال محاولة البحث عن تعريف يتجنب الوقوع في حصر الاتصال الدعوي في وظيفة نمطية من وظائف الاتصال. ويقلل من حدة التداخل المفاهيمي بين الدعوة والمفاهيم الاتصالية الأخرى، ويتجنب اختزال الإعلام الإسلامي برمته في الاتصال الدعوي؛ مما قاد لتعريف الاتصال الدعوي بأنه: "مبحث تخصصي من مباحث الإعلام والاتصال - في البيئات الإسلامية - يهتم بدراسة الدعوة كظاهرة اجتماعية ووظيفة تنظيمية، لها ما يقابلها من مواقع التوظيف ضمن هيكل الدولة الحديثة، ضمن منظور تكامليّ تعمل فيه مناهج البحث الاتصالي جنباً إلى جنب مع مناهج البحث الشرعي ومداخل الدراسات الإسلامية، لإثراء وتقويم وتعزيز الممارسة الدعوية، وإخضاعها لنوع من التقويم العلمي المستمر، ورفدها وتعزيزها بنواتج البحوث والدراسات العلمية الرصينة."^(١)

ويعد التعريف أولى الخطوات في طريق تسكين الدراسات الدعوية في صلب بحوث الإعلام ودراسات الاتصال في العالم الإسلامي، مما يعني عدم الاكتفاء بما هو حادث من وجود هذه الدراسات في إطار البحوث والدراسات الإسلامية وحسب، وسقدم الفصل التالي شرحاً أوفى لمبررات الدعوة إلى التكامل بين مناهج العلوم الإسلامية ومناهج علوم الاتصال لدراسة الدعوة، ونقول بين يدي ذلك أن دراسة الدعوة في إطار مناهج علوم الاتصال سيكفل:

- تسليط أضواء كاشفة على الجوانب الاتصالية للأنشطة والممارسات الدعوية، ومن ثم زيادة فعالية وتأثير النشاط الدعوي من خلال استكشاف الإشكالات الحادثة في هذا الجانب، وتفهمها والسعي لمعالجتها.

(١) وهو اجتهاد في التعريف بما يناسب أغراض الكتاب.

- المساهمة في زيادة فاعلية الممارسة الدعوية بتزويدها بالأبعاد المنهجية والمعارف المتعلقة بفنون وتقنيات الإقناع والتأثير التي تحفل بها دراسات الاتصال.
- العمل على تطوير الممارسة الدعوية بتمليك الدارسين المعرفة الضرورية لتوظيف تقنيات الإعلام والاتصال في مجال الدعوة.

الفصل الثاني:

التكامل المنهجي بين الدعوة والاتصال

لا شك في أن مقارنة الاتصال في علاقته بالدعوة تعد مطلباً أولاً لهذا الكتاب، كما أن الاستفادة من القدرات المنهجية لكل من دراسات الاتصال وعلوم الشريعة هي الناظم المشترك لأجزائه، ذلك أن دراسات الاتصال الحديثة هي البيئة الحاضنة التي سيتم فيها تسكين الحقل المراد التأصيل له. والأصول المعرفية الإسلامية هي الأساس الذي تقوم عليه عملية التأصيل نفسها. وبين طبيعة الحقل المراد تأصيله، والعملية المسماة تأصيلاً، يأتي مدار هذا الفصل، وتتوزع مباحثه على أساس من تكامل المبادئ المنهجية، بين كل من علم الدعوة بوصفه أهم علوم الاتصال الإسلامي وعلوم الاتصال في صورتها التي تُدرّس بها في المجتمعات الإسلامية المعاصرة.

لقد ظهر لنا في الفصل السابق كيف أن المفهوم الاتصالي تولد في بيئة مفعمة بالتعددية في الجذور المعرفية، وأن مباحث العلوم المتداخلة في دراسة وتحليل الظاهرة الاتصالية هي من الكثرة والتنوع بمكان، فما أثر ذلك وانعكاسه على حيوية العلم وفاعليته في المناخ العام وسرعة تطوره؟ وما التأثيرات المحتملة لذلك على الاتصال الدعوي؟

وتبعاً لذلك، فلا بد لمباحث الاتصال الدعوي أن يكون ملماً بالجوانب المنهجية المتعلقة بمجال دراسته، والمبادئ المنهجية الحاكمة على علاقة الاتصال الدعوي بفروع العلم الأخرى، وموقعه من البنية الكلية للعلم الإنساني.

ولأن مبدأ التكامل المعرفي يعدُّ هو المبدأ الأهم في إطار العلاقات والاتصالات المتبادلة بين العلوم، وأحد المداخل الضرورية للإبداع العلمي، فلا غنى للمباحث في مجال الاتصال الدعوي من معرفة بطبيعة تلك الروابط والعلاقات المنهجية المتولدة عن تفعيل ذلك المبدأ بين علم الاتصال والعلوم الأخرى، واكتشاف الأسس التي

تقوم عليها أصول هذا العلم بالتحقق من البعد التأصيلي اللازم لإعادة توظيف كل من المعارف الدعوية والاتصالية، والتوليف بينها في تأسيس حقل الاتصال الدعوي.

أولاً: مبدأ التكامل في مناهج العلوم الاجتماعية والإنسانية

إن من طبيعة العلوم أن تتداخل، وأن تمتزج معطياتها حدّ التوحد أحياناً، وذلك بأن يفيد فرع من الفروع مما توصل إليه فرع آخر، بغض النظر عن اشتراك هذين الفرعين في الحقل المعرفي من عدمه،^(١) ولعله من الصعب -كما ذُكر في المقدمة- إيجاد مجال تتقاطع فيه التخصصات وتتداخل المناهج العلمية في دراسة جوانبه المختلفة مثل الاتصال.

وقد شبّه عالم الاتصال الأميركي الشهير (ولبر شرام) حقل الاتصال بـ "مفترق طرق (أكاديمي) يمر عبره الكثيرون، وأن القليل فقط هم من يبقون في هذا الحقل"، وهو أمر متحقق فيما يتعلق بالدراسات الدعوية التي لم تتبلور عن علم مستقل، وتخصص قائم بذاته مما جعلها تجذب إليها كل المهتمين والممارسين من الأكاديميين والناشطين الاجتماعيين لتتراكم تجاربهم وتتعاقد إسهاماتهم للتوسل لتأسيس العلم الدعوي مبتدئين بالبناء والتأسيس لفقه الدعوة في جوانبها الأصولية ومبادئها العملية، ولكننا لا نزال عاجزين عن القول بوجود علم للدعوة، وإذا كان اثنان من تلاميذ شرام (بيرقر) و(تشافي) قد لاحظا لاحقاً أن مفترق الطرق القديم لم يعد على ما كان عليه، بل تحول إلى مركز حضري كبير، بكامل الأقسام العلمية، والتقاليد البحثية، والمجلات العلمية. وبهذه المعايير، قرروا أن الاتصال غدا تخصصاً علمياً مؤهلاً تماماً لبداية جديدة لقرن جديد، مشبهين حيويته بحيوية مطار دولي حافل بخليط من الثقافات واللغات، ومراكز التسوق، والنشاط المحموم، وبقدر عالٍ من الحماس يقرر (بيرقر) و(تشافي) أنه "إذا كان هناك من شيء، هو مجال أكثر نجاحاً من

(١) البريكي، فاطمة. مدخل إلى الأدب التفاعلي، بيروت: المركز الثقافي العربي، ط ١، ٢٠٠٦م، ص ٢٩.

أي وقت مضى، فهي أقسام ومدارس، بل وحتى كليات الاتصال.⁽¹⁾

لا بد لمسارات الاتصال الدعوي أن تستوعب منطق التطور العلمي والمنهجي، وبنية الثورات العلمية، وحقيقة التحيزات العلمية حتى تستعين بها في التأسيس للاتصال الدعوي كحقل معرفي يحفل بكل ما تحفل به فروع المعرفة الإنسانية والإسلامي من مقومات.

وقد أفادت علوم الاتصال نفسها منذ تشكلها الأول من فروع علمية تشاركها في الحقل المعرفي ذاته مثل اللغة والاجتماع والسياسة وعلم النفس، حيث تم توظيف معطيات هذه الفروع التي تشترك مع علوم الاتصال انتماؤها لحقل الإنسانية في إثراء وتطوير دراسات علوم الاتصال، مما يعني قابليتها للوفاء بمطالب التكامل المنشود بين علوم الاتصال ودراسات الدعوة.

وبقدر ما يعترى مفهوم الاتصال من تحولات عند ظهور في أطر العلوم المختلفة تستبين هذه الخاصية، فمعنى الاتصال في دائرة العلوم السلوكية وعلم الإنسان تُظهر أن هنالك فرقاً في الدلالة يحدث نتيجة لتغير الأطر التخصصية فعند الحديث عن الاتصال الدولي، يبدو وكأن الكلام يقع في دائرة العلوم السياسية. أما عند الحديث عن الاتصال عبر الثقافي، فيسيظهر وكأن الحديث قد خرج إلى دائرة علوم الاجتماع والأنثربولوجيا. وعند القول: إعلام العولمة Communication Global أو الإعلام المعولم فسيبدو مفهوماً أن منطلق الحديث هو قاعدة علم الاقتصاد.

لقد أفاد علم الاتصال من جملة من العلوم الأخرى ذات المنحى التطبيقي والعلوم ذات الطابع الإنساني فقد كانت التحولات الكبرى في بنية هذا العلم على

(1) Stevenson, Robert L. "Problems and Pitfalls of Comparative Research in Political Communication", in F. Esser & B. Pfetsch (eds), *Political Communication in Comparative Perspective*, New York: Cambridge University Press, 2003, see:

- www.unc.edu/~rlstev/Text/Mainz%20chapter.pdf

الدوام رهينة بتعاطيه مع ثورة التكنولوجيا والعلوم الهندسية، وساهم المهتمون بدراسة العلوم الهندسية والرياضية في تطوير مجال الدراسات الإعلامية بتقديمهم لنظرية التحكم الآلي ويعد (نوربرت وينر Winer) هو المؤسس الرائد لها ونظرية المعلومات التي صاغها كل من (شانون) و(ويفر) والتي رسمت أول النماذج التفسيرية لظاهرة الاتصال ونظرية النظم العامة.

وهناك ارتباطات شديدة الخصوصية بين علوم الاتصال وعلوم أخرى مساعدة ومحددة الاهتمامات مثل: "علم السيبرنيتيكا Cybernetics". لقد كشف (وينر Winer) باختراعه لهذا العلم عن بصيرة ثاقبة حين مزج في دراسته بين نظم السيطرة الآلية والاتصال في الجهاز العصبي والكهربائية وبين ذاك الجهاز وتلك الآلات.^(١) وهو التحدي الأكبر الذي يواجه علم الاتصال المعاصر، أما علم البرمجة اللغوية العصبية كما يجب أن يطلق عليه رواده ومؤسسه (ريتشارد باندلر) و(جون جريندر)؛ فهو واحد من نتائج امتزاج الخبرة الإنسانية في مجال اللغة وعلم النفس بالخبرة العملية في مجال طريقة عمل الحاسبات الآلية، ولا يستبعد أن تتولد من داخل بنية العلم الاتصالي فروع جديدة للمعرفة، وأن تتوسع وتتطور بحيث تستقل كعلوم قائمة بذاتها، ولعل في تبلور علم البرمجة اللغوية إرهاباً لمثل هذا النزاع من التطور، وبين إدماجية (نوربرت وينر) وتكاملية (لويس رويترز) يتولد سؤال: ما هو الاختيار الأرشد في تكييف علاقة علوم الاتصال ومنها "الاتصال الدعوي" بالعلوم الأخرى؟

في نهاية السبعينيات اعتُبر تقرير "اللجنة الدولية لدراسة قضايا الاتصال" الشهير بـ "تقرير ماكبرايد" الاتصال تخصصاً معروفاً ومهماً للنهضة العالمية في مجال الإعلام السياسي والاقتصادي والاجتماعي والدولي، ويدرس هذا التخصص في الولايات المتحدة تحت عنوان: "فنون الاتصال Communication Art". أما في أوروبا؛ فقد التفت المفكرون إلى أهمية الاتصال في معاهد الإدارة العامة والمحاكم والمؤسسات

(١) البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، مرجع سابق، ص ٢٩.

التربوية، حيث يعد علماً اجتماعياً جديداً، وتنبهت المنظمات الدولية الإنسانية كاليونسكو إلى فن الاتصال بصفته حقاً إنسانياً مشروعاً للفرد في كل مكان في العالم.^(١) وفي تاريخ العلم الاجتماعي نلاحظ عملية انقسام العلوم الأساسية، ومن ناحية أخرى نشاهد عملية اندماج بين التخصصات الناجمة عن عملية الانقسام السابقة، وربما يصبح الحقل المهجن الجديد مستقلاً استقلالاً تاماً كما حدث لعلم النفس الاجتماعي والمعلوماتية، وتنطبق هذه الحقيقة على علم الاتصال وعلى البحوث البيئية وعلى علم تخطيط المدن، وهناك ثمانية علوم تنتشر مباحثها في كل من العلوم الطبيعية، وهذه العلوم، هي: علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، والجغرافيا، وعلم النفس، وعلم اللغة، وعلم الديموجرافيا، وعلم الآثار، وعلم الاتصال، وعلم المعلوماتية.^(٢) وهو ما يعني أن علم الاتصال لم يعد من العلوم الضيقة، أو ذات الاهتمامات المحدودة، فهو لا ينصب على مجال واحد على الإطلاق، بل أصبحت موضوعات الاتصال البشري محوراً مهماً للدراسات والأبحاث والنظريات، وربما كان ذلك أحد أسباب إحساس الباحثين بصعوبة وضع حدود دقيقة لهذا العلم، وهو الأمر الضروري الذي يواجهه أي باحث يتعمق في دراسة أي علم من العلوم.^(٣)

و"إذا رجعنا بالزمن إلى الوراء ربما كنا أميل إلى الاقتناع بأن المفهوم التكاملي الذي حقق أكبر قدر من النجاح بين الباحثين الحريصين على إقامة الجسور بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية لم يكن مفهوم الاتصال، وإنما مفهوم التنظيم. وعلى أي حال من المحال تجاهل التاريخ عندما يتعلق الأمر بفهم وإيضاح مشكلات الاتصال الاجتماعي؛ إذ إن المعالجة التماثلية والعرضية لعمليات الاتصال في أنواع ومستويات النظم المختلفة

(١) عيسى، راشد علي. مهارات الاتصال، تقديم: عمر عبيد حسنة، سلسلة كتاب الأمة (١٠٣)، الدوحة:

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (رمضان ١٤٢٥ هـ/ تشرين الثاني ٢٠٠٤ م).

(٢) عبد الرحمن، عواطف. قضايا التبعية الإعلانية والثقافية في العالم الثالث، سلسلة عالم المعرفة (٧٨)،

الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٤ م، ص ٤٣-٤٤.

(٣) رشتي، جيهان أحمد. الأسس العلمية لنظريات الاتصال، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٨ م، ص ٣٠.

-الطبيعية والميكانيكية والحية- توشك أن تؤدي إلى إهمال العنصر التاريخي في دراسة بعض الظواهر برغم أهمية هذا العنصر في إلقاء الضوء عليها، وتلك إحدى نقاط الضعف المزمنة في معظم الأعمال التي سارت على هدى (وينر) والتي ادعت أنها تمتلك رؤية توجيهية للمجتمع، ومن ثم يكون من الصعب بالنسبة لعلوم الاتصال أن تؤسس شرعيتها على هذا المشروع الذي يعتمد على توحيد المعارف الإنسانية.

وتؤكد الدراسات أن الأبحاث العلمية التي تتناول الاتصال البشري قد زادت بشكل كبير خلال الربع الأخير من القرن العشرين، نتيجة لازدياد الاهتمام بالاتصال في مجالات علمية كثيرة، وقد وجدت الأكاديمية المصرية جيهان رشتي في السبعينيات من القرن الميلادي المنصرم؛ أن دراسة التفاعل البشري أصبح محوراً لاهتمام أكثر من عشرين مجالاً من المجالات الأكاديمية؛ لدخول ذلك التفاعل في نطاق تخصصها.^(١)

وفي الأربعينات بدأ يدخل الاتصال في مجاله وعلاوة على الأنظمة التقليدية التي تطرقت إلى دراسة الاتصالات، مثل: اللغويات، وهندسة الاتصالات اللاسلكية، والرياضيات، والفيزياء، والبحوث التطبيقية على الإلكترونيات علم السيبرناتيك، والأنثروبولوجيا، وعلم الاجتماع، والفلسفة، والقانون، والاقتصاد، وعلم نفس العلاقات الشخصية، وعلم النفس الاجتماعي، والعلوم السياسية. فقد انضمت إليها مؤخراً أنظمة جديدة، مثل: المنطق، وعلم نفس التعلم، وعلوم الأعصاب، والعلوم المعرفية. فهل ثمة مفاهيم موحدة تسمح بالتكامل النظري والعلمي لمجالات مختلفة، كما هو حال دراسات وسائل الإعلام والاتصالات اللاسلكية والذكاء الاصطناعي؟ إنه سؤال لا يزال مطروحاً، ويبدو أنه ليس هناك إجابة شافية.^(٢)

ولعل في تبلور دراسات البرمجة اللغوية العصبية كعلم ناشئ، خلاصة لمثل هذا التداخل، فالبرمجة اللغوية العصبية كما قال منظروها: "هي ملتقى العديد من طرق

(١) رشتي، الأسس العلمية لنظريات الاتصال، مرجع سابق، ص ٣٠.

(٢) بروتون، ثورة الاتصال: نشأة أيديولوجية جديدة، مرجع سابق، ص ٢٣٧-٢٣٨.

إدراك الاتصال والتغير" لقد أوجدت "البرمجة اللغوية العصبية" البيئة الملائمة لمساعدة الناس على تحسين الاتصال بأنفسهم والتخلص من المخاوف المرضية، والتحكم في الانفعالات العصبية.^(١)

ومن المقولات الأساسية في البرمجة اللغوية العصبية ذات العلاقة بالاتصال:

- القول بأن معنى الاتصال يكمن في الاستجابة.

- الاتصال الإنساني يتم على مستويين الواعي واللاواعي.^(٢)

- العلوم الحديثة النشأة التي وجدت نفسها في بيئة مفعمة بالاتصال تحمل تقديراً متفوقاً للمسألة الاتصالية إذا ما قورنت بالعلوم الإنسانية التقليدية، ومن هذه العلوم الناشئة علم البرمجة اللغوية العصبية، وهو واحد من تلك العلوم التي يعمل الاتصال بعمق في بنيتها الأصلية.

ورغم أن مصطلح التكامل المعرفي أو التداخل بين فروع العلم الاجتماعي قد بدأ في الظهور منذ عام ١٩٣٨م على يد عالم الاجتماع (لويس رويترز)، كما طالب معهد الدراسات الإنسانية بجامعة (ييل) الأمريكية بإزالة الحواجز التي تفصل بين العلوم المختلفة منذ نهاية العشرينيات، إلا أن قضية الجمع بين التخصصات العلمية لم تحظ إلا بإشارة طفيفة في العمل الكبير الذي نشرته اليونسكو تحت عنوان: "اتجاهات البحث الرئيسية في العلوم الاجتماعية والإنسانية" الصادر عام ١٩٧٠م؛ إذ تناول بعض العلماء المشكلات الرئيسية للبحث القائم على التكامل المعرفي وآلياته المشتركة، وأشاروا إلى خطورة العزلة العلمية مع تأكيد صعوبة أن يجمع الباحث الفرد بين تخصصات متعددة، ولذلك نادوا بنوع من العمل الجماعي المشترك الذي

(١) الفقي، إبراهيم. البرمجة اللغوية العصبية وفن الاتصال اللامحدود، مراجعة: آمال الفقي، ترجمة: بدير ناشو، مونتريال: المركز الكندي للبرمجة اللغوية العصبية، ٢٠٠١م، ص ١٥.

(٢) المرجع السابق، ص ١.

يعمل فيه العلماء كفريق متعاون، مشيرين إلى نجاح العمل الجماعي في حقل العلوم الاجتماعية، فقد رأوا أن العمل الجماعي لم يحقق القدر نفسه من النجاح، إلا في مجال إنتاج المعلومات وتجميعها، وقلما يوجد في مجال التفسير الحقائق والتأليف بينها في وحدة فكرية جامعة، ورغم ذلك فإن المشروعات البحثية الكبرى والتي تقوم بها الهيئات الدولية أو القومية، إنما تقوم على تعزيز وتنسيق البحث الجماعي، وهو الأمر الذي أدركت هذه المنظمات أهميته القصوى، لذلك فإن ما تنشره هذه الهيئات من أبحاث عادة ما تحمل توقيعين أو ثلاثة توقيعات، وقلما تتجاوز ذلك.^(١)

إلا أنه ومع ظهور هذا القدر من التعدد والاختلاف تبعاً لتنوع المنظورات والمداخل لا يعكس تناقضاً بالضرورة، ومن ثم لا يكون البحث عن التوفيق والاتفاق حول مفهوم واحد وتعريفات مجمعاً عليها هو الغاية المناسبة للبحث العلمي.

إن هذا التنوع في النظر إلى الظاهرة الاتصالية هو الذي يؤلّد نوعاً جديداً من الوعي بالاتصال ويطور من فهمنا له، ويعكس هذا التنوع من ناحية أخرى تقديراً متزايداً لأهمية الاتصال لدى معظم المتخصصين وتأكيدهم للحاجة إلى فهم الاتصال، من حيث هو، وفهم تأثيراته الحادثة والمتوقعة في نطاق كل مساق معرفي وتخصص علمي، "إن أبحاثي جعلتني متنبهاً بنوع خاص لعواقب غياب الإعلام، لقد كنت سعيداً إذ لاحظت كم شُدّد على أهمية الشفافية إبان أزمة (١٩٩٧-١٩٩٨م) المالية لكنني كنت حزيناً إزاء نفاق المؤسسات "صندوق النقد الدولي" و"وزارة الخزانة في الولايات المتحدة" التي كانت تطالب بها في آسيا، بينما هي بالذات من بين المؤسسات الأقل شفافية التي عرفتها في الحياة العامة."^(٢)

(١) عبد الرحمن، عواطف. النظرية النقدية في بحوث الاتصال، القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠٠١م، ص ٤١-٤٢.

(٢) ستيغليتز، جوزيف إ. خيبات العولمة، بيروت: دار الفارابي، ط ١، ٢٠٠٣م.

وهذا فإن التداخل والتزاوج بين فروع العلم الاجتماعي والإنساني يبرز خطأ الرؤية التي تدعو للدمج الكامل بين العلوم ويتضح أيضاً خطأ الرؤية الأخرى التي تصر على وضع فواصل عازلة بين العلوم متجاهلة نقاط التقاطع والتداخل بين التخصصات العلمية.

إن الوعي بهذا التداخل المنهجي بين علوم الاتصال والحقول المعرفية المحيطة يمثل قاعدة أساسية لاستيعاب علم الاتصال، ذلك المجال الذي يتداخل فيه النظري والتطبيقي، ويمتزج فيه الاجتماعي بالاقتصادي، والتقني بالسياسي الإداري، وتشكل حالات الإغراق في التواصل الفردي وإدمان التكنولوجيا الاتصالية مجالات جديدة للبحوث النفسية التطبيقية، كما أن ظهور تقنيات النص الفائق "التشعبي Hypertext"، والأبجدية الرقمية جعل علوم اللغة واللسانيات في حاجة إلى إعادة تقويم لأوضاعها ومواجهة التحديات التي تفرضها التكنولوجيا.

ويعرض تاريخ الاتصال كيف أن هذا الحقل ظل إطاراً مفتوحاً للحركة البحثية حول الاتصال، ومن ثم يظل الخيار المنهجي الذي تميل إليه الدراسة هو فتح الأبواب لاستمرار التواصل القائم بين التخصصات المهمة بدراسة الظاهرة الاتصالية، والحرص على العمل المشترك فيما بينها، كل وفق منهجيات وأدوات الفرع المعرفي، الذي ينتمي له مع مراعاة الوضوح في الخطاب العلمي، والأخذ في الاعتبار لوجود مستفيدين من خارج التخصص، وأفضل الصيغ لتحقيق ذلك؛ هو تشجيع المشروعات متعددة التخصصات في هذا الحقل، منها: ما نحن فيه من مقارنة بين مفهومي الدعوة والاتصال، والتي تمت جذورها إلى عمق الممارسة المنهجية العريقة التي تولدت عنها علوم الشريعة والطبيعة في ديار المسلمين، وما يتمحور حولها من عقليات، ولا سبيل إلى نهضة هذه الأمة دون حدوث تكامل بين هذه العقول والحقول والطاقات المتمحورة حوله.

ثانياً: واقع العلاقة بين علم الاتصال والعلوم الأخرى

يلتقي الاتصال الدعوي موضوع الدراسة بالعلوم الشرعية التي سبقت في اهتمامها بالظاهر الدعوية مما يستدعي التوقف على طبيعة العلاقة بين العلوم الشرعية وغيرها من العلوم، وهي بالتأكيد ليست جديدة مبتدعة، فقد جاءت مصادر الشريعة الإسلامية لهداية الناس، وجاءت أحكامها التكليفية لتحقيق مصالح الناس أيضاً. وهذه الأحكام تدور مع المصالح وجوداً وعدماً. ومن هنا كان الارتباط بين الدين والواقع.^(١) وقد أصبح شائعاً الاجتهاد في الربط بين العلوم الاجتماعية والإنسانية ومحاولة تسكينها ضمن البنية الكلية للعلم الإسلامي، من بعد أن تحقق نوع من الوعي بالآثار الناتجة عن إهمال المقاصد وعدم اعتبارها محددات منهجية في العلوم على الواقع الإسلامي.

وأصبحت فروع العلم الإسلامي المعاصر تضم، إلى جانب العلوم العقلية والشرعية التقليدية، العلوم الاجتماعية والإنسانية الحديثة. وقد تميزت هذه العلوم "العصرية" بأنها نشأت وتأسست في بيئات غير إسلامية، واستُجلبت ووطنت في البيئات الإسلامية في ظل ظروف حضارية وثقافية لم تتح فيها لتلك العلوم الوضعية أن تمر بذات ما مرت به العلوم العقلية "الفلسفة والمنطق والكلام" من تكيف ومواءمة، بحيث تسهل عملية توطينها واكتساب مشروعيتها المعرفية ومن ثم قابليتها للتفاعل مع بيئاتها الجديدة، وقد نشطت في سبيل تحقيق التكامل بين علوم الشريعة والإسلاميات وعلوم الاجتماع والإنسانيات حركة دؤوبة واتجاهات متسابقة قدمت المسوغات المنطقية والمبررات الفكرية، لذلك التكامل عبر مسميات الأسلمة والتأصيل والتوجيه الإسلامية للمعرفة العلمية.

١ - الاتصال وعلم اللغة:

يصف علماء اللغويات علمهم المتصل ببناء اللغة بأنه جزء من علم الاتصال، ونجد أن العلوم الإنسانية وبشكل خاص البلاغة والفلسفة والجغرافيا يقدم كل منها

(١) عطية، جمال الدين. سيمتار بعنوان: "الاستفادة من مناهج العلوم الشرعية في العلوم الإنسانية"، وزارة التربية، الدوحة، قطر، ٢٩ / ١١ / ١٩٨٨ م، طبعة محدودة خاصة بالمعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص ١.

لباحثي الاتصال تركة ثمينة من التقاليد والمذاهب عن التفاعل البشري.^(١)

"وقد شهد القرن العشرين إعادة تأسيس علم اللغة على أسس ومناهج، وُضعت بصورة خاصة لدراسة الظواهر اللغوية، وشهدت بدايات هذا القرن ظهور مدارس اللغة مثل: المدرسة السلوكية والمدرسة الاجتماعية التركيبية وعلى رأسها (دو سوسير)."^(٢) وأصبحت قضايا الاتصال اللفظي وفنون التخاطب موضوعات لدراسات متعمقة في كل من المجالين اللغوي والاتصالي؛ لتستعير دراسات الاتصال جملة من نظرياتها الأساسية من حقول دراسة اللغة، ولعل المدرسة الفرنسية تبدو أكثر تميزاً بهذا النوع من الاستعارة، وما بحوث قراءة المراثيات وتحليل الصور إلا نتاج لتأثر متبادل بين اللغويات ودراسات الاتصال.

٢- الاتصال وعلم السياسية:

تبدو العلاقة الوثيقة التي تربط وسائل الاتصال الحديثة من حيث النشأة والملكية والتقنيات والأنظمة السياسية والسلطات المركزية جلية جداً عند الرجوع إلى تاريخ وسائل الاتصال، فشخصيات مثل: (تيوفراست رينودو) في فرنسا، و(التر ليبمان) في إنجلترا، و(ماركوني) في رحلته من إيطاليا إلى الولايات المتحدة، ظلت تمارس أنشطتها الإعلامية -صحفية وإذاعية- تحت ظل السلطات الحكومية، وتعي أن ما تقوم به من إنجازات تنعكس بصورة مباشرة على الحياة السياسية، هذا فضلاً عن ما تكفلت به حكومات تلك البلاد من توفير المستلزمات المادية والمعنوية في سبيل قيام ما كانوا يقفون عليه من مشروعات إعلامية.

وتتجلى الظواهر المشتركة التي يدرسها كلا العلمين في السياسات الإعلامية والنظم السياسية إلى جانب الأنظمة الإعلامية والسياسية، والرأي العام ودراسات الجمهور، وإدارة الأزمات، والعلاقات العامة والإعلام. من جانب آخر ترى النظرية

(١) رشتي، الأسس العلمية لنظريات الاتصال، مرجع سابق، ص ٣٠.

(٢) عبد الرحمن، النظرية النقدية في بحوث الاتصال، مرجع سابق، ص ٥٥.

النقدية في جهود (والتر ليبمان) العلمية بتأسيس "مفهوم الرأي العام" نوعاً من التوجيه السياسي، ومبادرة عملية لصالح السلطات المتنفذة، كما أن بحوث كل من (هوفلاند) و(لازر سفيلد)، وأخيراً (جالوب) حول استطلاعات الرأي العام وضعت الأساس لمباحث تلقى اهتماماً مشتركاً من كل دارسي السياسة والاتصال.

ومن أوجه الشبه بين علمي السياسة والاتصال في اعتمادهما على الاستعارة والاقتراض من سائر العلوم، ويتميز هذان العلمان بالطابع الانتقائي، خاصة وأن تاريخ نشأتها وتطورهما يؤكد علاقة التواصل المستمر والتفاعل الدائم مع سائر العلوم الاجتماعية والإنسانية.^(١) كما أن الوظيفة الاتصالية هي إحدى وظائف النظام السياسي، ذلك أن النظام يعهد إلى الاتصال مهمة التعبير عن المصالح وتجميعها.

على المستوى الأكاديمي ظلت العلوم السياسية تهتم بالاتصال كمدخل رئيس لدراسة الظاهرة السياسية، وعنصر هام من عناصر التحليل السياسي، وأداة من أدوات التنشئة السياسية، كما أخذ الاتصال السياسي يشكل بدوره فرعاً رئيسياً من فروع علوم الاتصال.

٣- الاتصال وعلم النفس:

من جانبها فقد لجأت بحوث الاتصال التي فضلت التعامل مع الاتصال كسلوك إنساني إلى المدخل السلوكي باعتباره المدخل الأفضل والأعمق تفسيراً للاتصال الإنساني، ومن الكشوف الهامة التي قدمها علم النفس في مجال "اتصال الجماعات الصغيرة" الأقيسة السسيومترية والبناءات الاتصالية داخل الجماعات الصغيرة، كما ساعد في تفسير الظاهرة الجماهيرية التي وسمت الحياة الإنسانية إلى وقت قريب، ويأتي كتاب "سيكولوجية الجماهير" لـ(جوستاف لوبون) كعلامة في هذا الاتجاه. ويهتم المختصون في علم النفس الاجتماعي بأوجه نشاط الجماعة والعلاقة بينها والأفراد من حيث هي انساق تواصلية هذا فضلاً عن اهتمام مداخل علم النفس الاجتماعي

(١) المرجع السابق، ص ٥١.

بالاتجاهات وتأثرها بوسائل الإعلام والرأي العام والدعاية والحرب النفسية.

يسعى الاتصال في معناه اليسير، إلى الإقناع بتغيير أو تقويم، أو تدعيم المواقف والآراء والاتجاهات، وهو ما تسعى وسائل الاتصال المختلفة إلى إحداثه في جمهورها، وتعد المعرفة بفن الإقناع والتمكن من استراتيجياته والمعرفة بسبل بناء وتغيير الآراء والاتجاهات ملكةً ضرورية للقائم بالاتصال الناجح، ويتطلب تكوين هذه الملكة معرفة بحد أدنى من علم النفس وأساليبه؛ لذا تحرص كليات الإعلام والاتصال على أن تدرس طلابها مقررات في علم النفس أو بعض مباحثه كمتطلبات أساسية للحصول على درجة علمية في الاتصال.

وعند دراسة العلاقة بين علم الإعلام وعلم النفس كعلمين اجتماعيين، يجب أن نركز على علم النفس الاجتماعي، وهو الفرع من علم النفس الذي يهتم بدراسة عملية الاتصال بدراسة مختلف العمليات الاجتماعية التي تهدف إلى السيطرة والتحكم في العقل الإنساني، وتوجيهه للتكيف مع السياسة الاجتماعية القائمة، وعلم النفس في تحقيق هدف الاقتناع.^(١)

٤ - الاتصال وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا:

يعرّف الأنثروبولوجي "الثقافة" على أنها "اتصال" وإذا كان موضوع علم الاجتماع هو المجتمع في حالة سكونه وحركته، فإن علم الاتصال يدرس المجتمع أفراداً وجماعاته في حالة تفاعل فيما بينهم أو مع الآخر، وقد اهتمت العلوم الاجتماعية -الأنثروبولوجيا، الاجتماع- بدراسة الاتصال، فوسائل الاتصال تعمل في وسط اجتماعي عادة. وقد أفلح علم الاتصال في اجتذاب منظرين من ذوي المرجعيات الاجتماعية وتشمل القائمة منظرين أساسيين (ويلبر شرام) و(ملفن دفلور) وغيرهم فينبغي ألا ننسى أن سوسيولوجيا الاتصال، أو علم الاجتماع الإعلامي يأخذ موقعه

(١) المرجع السابق، ص ٥٠.

كحقل مشترك، يجتذب إليه عدداً كبيراً من الباحثين الاجتماعيين.

إن شواهد العلاقة بين هذين العلمين كثيرة بحيث يصعب حصرها والسؤال هو كيف يمكن أن يُسهّم هذا التوافق بين العلمين في زيادة القدرة على تحليل الظاهرة الاتصالية. وبصورة عامة يمكن تلخيص التطورات ذات الأثر المباشر على الاتصال في مجالي علم النفس وعلم الاجتماع في كل من مدخل الفروق الفردية ومدخل العلاقات الاجتماعية.

وينظر الاتصاليون بتقدير كبير للتفاعلية والرمزية باعتبارها نموذجاً تفسيرياً حقق تطوراً تجاوز مستوى الفروض البسيطة والعامة، وقدمت منظوراً يمتلك قدرة تفسيرية شاملة.

البَابُ الثَّانِي

التأصيل النظري للاتصال الدعوي

مقدمة:

يأتي هذا الباب لمعالجة واقع الاحتياج الفعلي عن طريق إطار نظري يتناسب وطبيعة الاتصال الدعوي، بوصفه نمطاً اتصالياً له خصوصيته ودلالته في المجتمعات الإسلامية، ويناسب طبيعة العقل الإسلامي، ويفي بمتطلبات التجربة التواصلية الإسلامية، ويعزز خصوصياتها الدينية والحضارية والثقافية. ويحاول استكمال ما تم التأسيس له منهجياً في الباب السابق عبر التأصيل نظرياً للاتصال الدعوي، ببيان الأسس المعرفية التي يمكن أن يستند إليها التأصيل النظري لقضايا الاتصال الدعوي.

تشكّل الرؤية القرآنية قاعدة التأسيس للتصور الإسلامي للكون والحياة، الذي تتفرع عنه الرؤية التواصلية للإنسان المسلم، تلك الرؤية التي تحتوي وتشكّل معالم نمط تواصل، له من الخصائص ما يميزه عن أنماط التواصل الأخرى، وإذا كانت معظم المدارس والمذاهب الإسلامية قد تعاملت مع القرآن باعتباره وثيقة لاكتساب المشروعية، فإن أول التزام منهجي يقع على باحث "الاتصال الدعوي" هو التعامل مع القرآن كأساس منهجي للاتصال الدعوي، ونظام معياري للحكم على واقع الظاهرة الدعوية، والتنقيب في ثناياه بحثاً عن هادي للمسيرة الدعوية باعتباره إطاراً مرجعياً للخبرة الدعوية الكلية.

وتأتي وظيفة السنة في بنية النظام المعرفي الإسلامي مقررة ومؤكدة لما ورد في القرآن الكريم، ومفصلة لما أُجمل فيه، وقد تخصص عام القرآن أحياناً، أو تقيد مطلقه، كما قد نجد أن السنة النبوية تشرّع أحكاماً وتشريعات لم ترد في القرآن الكريم، وقد جعل الفصل الثاني من هذا الباب موضوعه؛ النظر في الهدى النبوي المتعلق بالاتصال الدعوي من ناحية، ودراسات السنة والاتصال من ناحية أخرى.

وتتحدد أولويات الاتصال الدعوي على ضوء معطيات التفاعل الرشيد بين الأساس القرآني، والنموذج السنّي والممارسة الواقعية والغاية المتوخاة من هذا التفاعل

هي الوصول إلى رؤية اتصالية، رشدها العمق المعرفي والتداول الفكري، وتبها لها من التأسيس المنهجي، والتمهيد الروحي والثقافي ما قد ترك أثره في طائفة من الكفاءات الاتصالية الفاعلة.

ووعي مقدماته الضرورية لوضع قاعدة علمية للتخطيط الاتصالي في محيط من المنافسة والمدافعة الإعلامية، قائم على جدل وصراع الرؤى، ومدافعة الثقافات والحضارات وصدامها.

إن الموازنة في القراءة بين كل من معطيات الوحي الكريم ومقررات الخبرة والمعرفة الإنسانية، وشواهد الواقع يبرز السعي إلى الهيمنة الثقافية والاقتصادية كمعطى مستدام في المجال الاتصالي، مما يمنح الجمع بين ثقافة الحوار والمجادلة من ناحية، وثقافة المدافعة المنازلة الفكرية العلمية من ناحية أخرى، أولوية قصوى.

وأول ما يترتب على ذلك التوصيف للمشهد التواصلي الدولي هو تجسيد المنظور الاتصالي الإسلامي في هيئة نظام اتصالي شاهد، وقادر على التعبير عن طموحات وتطلعات الأمة الإسلامية، والإعلان عن تحفظاتها وتخوفاتها على المستوى الدولي، وهو ما نهض بتقريره الفصل الأخير في هذا الباب.

الفصل الأول:

الأسس القرآنية للاتصال الدعوي

عادة ما يبدو السياق القرآني في عرضه للظواهر الإنسانية وعناصرها كآلة متناسقة الحركة، منتظمة الإيقاع، يتناغم فيها الداخلي والخارجي والشكل والمضمون، فتتطابق في بنيتها المنطقية مع قوانين العقل، وتلائم في تركيبها البياني فطرة الإنسان وذائقته السليمة، وقد شدَّ هذا التناغم انتباه عدد من الباحثين في العلم قديماً وحديثاً.^(١) كما أحدث التلاحق المائل بين الفكر الغربي الذي فرض نفسه على البيئات الإسلامية الحديثة انتباهنا إلى مكان من للقوة في النص القرآني لم يكن الانتباه إليها متاحاً في ظل غلبة وانتشار ثقافة التسليم العاطفي على الوعي الإسلامي.

إن ثقافة الواقع وعلاقتها بمناهج علوم القرآن في عصر ما تعكس الآفاق المعرفية التي عاشها المسلمون في ذلك العصر، ولا شك في أن الاتصال وثورته والمعارف والتجارب المتعلقة به يأتي في مقدمة الاهتمامات الحديثة للعقل الإسلامي، فبرزت بالاهتمام المزدوج بالاتصال والقرآن جملة من الأدبيات والمقاربات القرآنية للاتصال؛ ظواهره ووسائله والموضوعات المتعلقة به في القرآن، مثل موضوعات الحوار، وأساليب الاقتناع، والاتصال عبر اللفظي، ومفهوم والمنبر والنبأ، واعتمدت في مقارباتها غالباً على حصاد معرفي لبدايات انفتاح العقل العربي على الفكر الاتصالي قوامها في الغالب ترجمات ميسرة للكتب المرجعية التي درس عليها رواد الأكاديميين الاتصاليين العرب في الجامعات الغربية.

من ناحية أخرى اعتمدت مقارباتهم على التراث التفسيري للقرآن الكريم، ويمكن وصف مبادئ الرجوع إلى التراث التي تراوحت بين القبول المطلق والانتقاء

(١) تمثل دراسات الإعجاز مجالاً واضحاً لهذا المعنى، فقد ظل التساؤل عن مظان الإعجاز في النص القرآني: "هل هو في المعنى أم المبنى؟" أمراً يشغل أذهان الباحثين إلى وقتنا الحاضر.

العشوائي، حتى تلك الاختراقات المتعلقة بتأصيل الخطابة، ودراسة الحوار القرآني وتحليل أساليب الجدل والحجاج في القرآن الكريم جاءت في الغالب من خارج مختصي الإعلام والاتصال، ونلاحظ أن تلك المقاربات القرآنية جاءت إما تحت عناوين مثل أصول الإعلام الإسلامي، والإعلام، والإسلامي المرحلة الشفهية الإعلام في صدر الإسلام والسيرة النبوية والإعلام الإسلامي، ومدخل للإعلام الإسلامي، ودور الإعلام الإسلامي في بناء الإنسان المثالي، وغير ذلك من العناوين التي مثلت بدايات التنظير الإعلامي الإسلامي، أو عناوين مخصصة بالقرآن مثل: الإعلام في القرآن الكريم، من قضايا الإعلام في القرآن، أو بتخصيص أكثر من مثل: الوظائف الإعلامية في آفاق القصة القرآنية، ووظيفة الإخبار في سور القرآن. الجانب الإعلامي في خطب الرسول ﷺ، منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية، أو عناوين أشارت إلى البعد الإسلامي في الوسائل والأشكال الإعلامية من قبيل التلفزيون الإسلامي، الخبر الصحفي وضوابطه الإسلامية.

كان مما لفت المحدثين من علماء المسلمين من تقنيات الخطاب القرآني -مضمونه المنطقي-، وقدرة النص القرآني العالية على سوق الحجج وتنظيمها، بحيث تكون سبيلاً ميسوراً إلى الوصول بالمتلقي إلى حالة من الرضا والإقناع المفضي إلى التسليم بالحقيقة القرآنية.

وقد استخدم بعض العلماء المناهج المحدثّة في سبر النص القرآني للوصول إلى مواقع القوة المنطقية في بنائه، خاصة من جانب ما ينطوي عليه النص القرآني من قدرة عالية على الإقناع، ويمكن القول: إن الإقناع تمت معالجته باعتباره أحد أهم قضايا التأثير في الاتصال الإسلامي، وتراكت في هذا المجال دراسات يمكن تصنيفها إلى قسم أول اهتم بدراسة أساليب الحجاج القرآني استناداً على منهج فلسفي منطقي، وقسم آخر لجأ إلى استخدام منهج دراسات الإقناع في علوم الاتصال في تتبع أساليب الإقناع في القرآن الكريم.

وكان ناتج عمل الفريقين إضافات مقدرة لمناهج التعامل مع القرآن الكريم، وساعد في السير بهذا الاتجاه تطورات متعلقة بتطور المعرفة الإنسانية والتساؤلات المستجدة للإنسان المعاصر وظروف الواقع المتجددة، وأثر ذلك في دراسة أساليب الإقناع في القرآن الكريم، حيث تم تقسيم تلك الأساليب إلى عقلية وعاطفية، وقسم الأساليب العقلية إلى قولية وعملية، والأساليب العاطفية، أيضاً إلى قولية وعملية بالقابل تم تصنيف المتأثرين بالخطاب الإقناعي القرآني بحسب السمات العقلية والنفسية، من ناحية والسمات العقدية والاتصالية من ناحية أخرى، وأثر سمات المستقبلين في حدوث الإقناع.^(١)

وفي الوقت الذي ركزت فيه بعض الدراسات على مادة وموضوع الإقناع في القرآن الكريم، والذي حددته في العقيدة، وأبرزت أن عنايته بالأساليب الإقناعية تابعة لعناية القرآن بالعقيدة. نظرت دراسات أخرى لأساليب الإقناع والتأثير على الجمهور، باعتبارها سمات وملكات تتعلق بكل من المتحدث والجمهور.^(٢)

ومع كل ما سبق يبقى البحث في إطار فاعلية الرسالة القرآنية سواء من حيث البناء التقني، أو قوة المضمون مضماراً مفتوحاً للتنافس البحثي، ويعطي تطور الدراسات القرآنية بهذا الاتجاه دلالة على اهتمام الأمة بالقيام بواجبات الشهود، وفي الوقت ذاته فإن إهمالها يعدُّ شكلاً من أشكال هجران الأمة لدستورها، وإهمالها لكتابها، ومن ثم فلا بد للباحث في الظاهرة الاتصالية ومتعلقاتها في القرآن الكريم من تحديد مدخل دراسته وتحديد موقعه من موقفين منهجيين، إما أن ينظر إلى الاتصال باعتباره مفهوماً مجرداً، أو ينظر إليه باعتباره سلوكاً إنسانياً.

(١) عبد الرحمن، النظرية النقدية في بحوث الاتصال، مرجع سابق، ص ٥٠.

(٢) مصطفى، معصم بابكر. من أساليب الإقناع في القرآن الكريم، تقديم: عمر عبيد حسنة، سلسلة كتاب الأمة (٩٥)، الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، جمادى الأولى ١٤٢٤هـ.

منطلقاً من بعد ذلك لتحديد المفاهيم المحيطة بالظاهرة، وتحديد مواطن ورودها في القرآن الكريم؛ واستخراج الدلالات الكامنة فيها؛ باتجاه بيان الإطار العام للاتصال كظاهرة وسلوك في القرآن الكريم.

وكما جاء القرآن هادفاً لبناء رؤية كونية خاصة، فقد جاء لإخراج نموذج بشري مميز؛ رؤية كونية تزدرى الجهل والخرافة المتمظهرة في النموذج "الوثني" عبر ذات بشرية تسعى بمعانيه في عالم الشهادة دون أن تنكر الغيب، وتعول على العلم والسنن والقوانين دون أن تهمل القدر، وترفض الظلم والعدوان دون أن يستهويها التمرد وتمتحن الخروج.

فما هي طبيعة ذلك النموذج البشري؟ وما هي تلك الخصائص التي أوجدها فيه القرآن؟ وما علاقة ذلك بالنمط التواصل السائد في البيئات الإسلامية؟

أولاً: الأسس القرآنية للمعرفة الاتصالية:

يشكل الوحي قرآناً وسنةً موضوعاً رئيساً للمعرفة الإسلامية واهتماماً جوهرياً لثقافة المسلمين وموجهاً قوياً لحركة الأمة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

١ - مقدمة حول القرآن والإنسان والعلم:

لقد جاء القرآن ليجعل من الدين والعقيدة أساساً لتوحيد الكدح البشري باتجاه غايات عليا، وفي إطار مشروع وجودي متكامل. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ الدُّنْيَا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٧٠]. ويتعين الوحي بناء على تلك الموجهات القرآنية سبيلاً وحيداً للمعرفة القطعية، والتي تعد ضرورية لفهم وإدراك الكليات والتعامل الجاد مع اليقينيات

والعقائد والغيبات وما وراء ذلك، مما لا سبيل إلى إدراكه بالحواس المجردة، والوحي ذاته سبيل للتعامل مع المعرفة الظرفية الحسية الضرورية للجوانب العملية من الحياة الإنسانية؛ ليبقى التنسيق والتوفيق بين تلك المتقابلات الغيبي والشهودي، المطلق والظرفي، المعنوي والحسي موضوعات لا ابتلاء العقل البشري، ومحددات في تقويم الفعل الإنساني ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

وتبقى المعرفة المتحصلة بغير طريق الوحي ومنها المعرفة العقلية عاجزة عن النفاذ إلى جوهر الحياة محتبسة في حدود السطح والظواهر مهما تعمقت بها المناهج، وتعددت المداخل، كما تظل المعرفة غير المعززة بسلطان الوحي معرفة ظنية، وإن ادعت الاقتراب من حدود اليقين، وهي نقطة جوهرية للخلاف بين بين الرؤية الإسلامية للعلم والعالم والرؤى الأخرى.

والقرآن هو الأساس التكويني لهذه الرؤية كونه رباني في مصدره، وليس لأحد في تكوينه من دور، اللهم إلا مهمة الإبلاغ، وهو تعريف مهم للتمييز بين مستويات الوحي، فمن الوحي ما يلهم الله معناه للعبد الذي يصوغ تلك المعاني بكلمات من عنده "كالحديث القدسي". أما القرآن؛ فهو إلهي في لفظه ومعناه.

ويتميز الوحي القرآني بانعقاد إجماع الأمة على اختلاف طوائفها وفرقها ومذاهبها حوله، من حيث حجيته التشريعية وطبيعته في حين تختلف بها المذاهب فيما يتعلق (بالسنة) من جوانب عدة.^(١) ومن هنا يأخذ الوحي القرآني أهميته المعرفية وموقعه في مركز الوعي الإسلامي، ممثلاً عنصراً الثبات والأساس المعرفي المشترك بين المسلمين،

(١) ولسنا هنا بصدد طرح المواقف الكلامية من قضية حجية السنة التي تعتبر الأصل الثاني من أصول الإسلام لدى عامة المسلمين، وواحدة من محاور التمييز بين الفرق والمذاهب الإسلامية، فإذا كان الاتفاق قائماً تقريباً حول الآيات الدالة على معنى السنة، من مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَطِّقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ - ٤]؛ فإن مورد الخلاف نابع من تباين الآراء حول ما يعد من السنة، ومن مصادرها ومرجعياتها، والموقف من الحديث النبوي وطرقه في الرواية والدراية، ونحو ذلك من خلاف لا نجد ما يباثله فيها يتعلق بالنص القرآني.

وتأتي السنة بحكم التصاقها بالواقع البشري وتقلباته ممثلة لعنصر النسبية والتغير.

وفي ظل سيطرة الاعتقاد بأن "المعرفة العقلية" هي مكتسب إنساني خالص لا يتحفظ الإنسان المتعالى عن التصريح بأن العلم هو أعظم إنجاز بشري، وأن العقل وحده هو الأداة الجبارة لتسخير الكون والتحكم فيه، إلا أنه يبدو أكثر تواضعاً حيال حقيقة "الخلق"، وأكثر ميلاً إلى الاعتقاد بأن قوة أعلى هي وحدها صاحبة الإنجاز والقدرة فيما يتعلق بـ "الخلق"، ومع ذلك فقد يتطور إحساسه بكسبه المعرفي، وتتضخم ثقته في إمكاناته العلمية والإدراكية لدرجة من الطغيان تنتهي به إلى إنكار بدهية الخلق وإنكار وجود الخالق نفسه في بعض الأحيان.

من جانبه جاء القرآن ليقدم حكماً جازماً بأيلولة كل من "الخلق" و"المعرفة" إلى الله. فيقول: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَىٰ أَيْلَ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

هو إيجاد الأشياء المادية من العدم ومن أهمها الإنسان والكون يقول تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧]، و(الأمر) هو إيجاد الأشياء المعنوية من العدم ومن أهم هذه الأشياء الوحي والعلم. يقول تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]. ويقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢].

وقد شكلت مفاهيم "المعرفة" و"الخلق" و"الأمر" موضوعات رئيسة في الوحي القرآني، ويستخدم الخطاب القرآني حال حديثه عن المعرفة المكتسبة أسلوب المقاربة والمقارنة بين ثنائيات "الخلق والعلم" و"الخلق والمعرفة"، أما عند الحديث عن المعرفة المطلقة المتمثلة في الوحي؛ فنجد أنه يناظر مباشرة بين "الخلق والأمر"، وهو بذلك يؤكد

على بديهية هامة مفادها أنه، كما أن المخلوقات هي نتاج الفعل الإلهي، فإن المعنويات والمفاهيمات والمدرجات، هي كذلك نتاج الأمر الإلهي. وأن أمر الله ووحيه يستمر في التنزل ورغد المعرفة الإنسانية، سواء عن طريق الوحي المباشر، كما يحدث مع الأنبياء والرسل، أو عبر طرائق أخرى كالإلهام الغريزي للحيوان. يقول تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: ٦٨]، والتعليم، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ إِذًا خِفَتْ عَلَيْهِ ۚ فَأَلْقَيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا رَاودُهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧] ويقول أيضاً: ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٣ - ٥] .

وبالنظر إلى أول ما نزل من القرآن يمكن أن نتبين المعاني المشار إليها آنفاً، فمن خلال المناظرة بين مفهومي الخلق والعلم قدمت سورة القلم (إقرأ) دعوة إلى التسليم بربانية المعرفة جنباً إلى جنب مع التسليم بربانية الخلق. قال تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] في ثلاث عبارات مختصرة استطردت السورة في شرحها بعد ذلك، مؤكدة حقيقة التدخل الإلهي في إيجاد المعرفة، لتحسم بذلك تساؤلاً بشرياً هاماً حول أصل المعرفة الإنسانية حين ربطتها منذ الوهلة الأولى بمسألة الخلق، قاضية بأن المحرك الأول هو ذاته المعلم الأول؛ هو الإله الأزلي الخالد الذي خلق الخلق الأول وأنشأ النشأة الأولى واستمر برعايته ولطفه في هداية الإنسان وتوجيهه في صيرورته الدنيوية.

ويمثل العلم الصورة الظاهرية للمعرفة وهو في التصور الإسلامي ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: "علم مطلق" وهو علم شامل يستوعب في داخله الكليات والجزئيات والغيوب والظواهر، وما حدث وما لم يحدث، وهو نوع من العلم لا يجوز في المعتقد الإسلامي نسبته إلا لله، ولأهمية هذا العلم للإنسان في مسيرته الوجودية فقد تعين الوحي طريقاً وحيداً للتوصل إليه، وأعلى مصادره درجة هو "القرآن" الذي يتطلب للاستفادة من مضامينه ذهنية مستوعبة لحقيقة استناد الظواهر إلى عناصر

منظورة (مشاهدة) وأخرى غير منظورة (غيبية)، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ۝﴾ [البقرة: ٢ - ٣]. وتلي القرآن في الدرجة "السنة" التي تمثل آخر مراتب العلم المطلق (بما تتضمنه من الوحي) وأول مراتب العلم النسبي (بما تحتويه من اجتهاد بشري معزز بالوحي).

القسم الثاني "علم نسبي": هو علم ظرفي مكتسب يتولد خلال تفاعل الإنسان والوجود الكوني والبشري في إطار الحياة الدنيا وأعلى درجاته السنة النبوية، تليه في الدرجة اجتهادات الأمة ممثلة في إنتاج علمائها وإجماع أفرادها، وهو ما يعني أن السنة تحتوي في داخلها نوعين من المعارف، بعضها يتسم بالإطلاقية كونه وحياً، والآخر بالنسبية كونه صادراً عن النبي ﷺ بصفته البشرية المحضة، أو ما أقرّه من أفعال وأقوال الآخرين مما يمنح السنة موقعاً وسطاً بين العلم الإلهي المطلق الذي تمثل موضع الطريق الأوحى للوصول إليه؛ والعلم الإنساني النسبي الذي تسعى باتجاه إعادة تشكيله وفق معطيات العلم الإلهي.

إن بناء صورة حقيقية للإنسان والعالم يتطلب إماماً كلياً بمجمل التجربة البشرية منذ لحظة الوجود الأول إلى اللحظة الراهنة واستيعابها وفق عقلية حكيمة، وبصيرة نافذة، قادرة على تجاوز محددات الواقع ومعوقاته وتصور النتائج المترتبة على معطيات الحاضر ومآلاته، واستكشاف قطاع أوسع من أفق المستقبل، وهو أمر متعذر على إنسان مفرد محكوم بمحددات الزمان والمكان، ومحدودية التجربة الإنسانية الظرفية، وهنا يكمن تميز التصور الإسلامي للوجود المبني على الوعي بنسبية المعرفة الإنسانية وظرفية التجربة البشرية، مما استدعى تزويد هذا الإنسان بضوء كاشف ونافذة منفتحة على أفق المعرفة المطلقة؛ ومده بملكات تؤهله لمواجهة مصيره في محيط يكتنفه من الغيب أضعاف ما تظهره المشهودات، وذلك من طريق مركزية الوحي كمحدد رئيس من محددات الرؤية الإسلامية للكون، وتعين العقل كأداة ضرورية للتعامل مع الوحي، وتأكيد مبدأ التسخير القاضي بقابلية الكون للتحكم الإنساني.

٢- القرآن والاتصال:

الإنسان في القرآن هو ذلك الكائن المكرّم المستهدف بهدايات الله عن طريق الوحي وعبر رسالات الأنبياء. والقرآن رسالة من الله عزّ وجلّ لذلك الكائن المكرّم (الإنسان)، وتكريمه يمنحه الذي له الخلق بإطلاق فكل ما صنع الإنسان هو خلق الله، وله الأمر بإطلاق، وأعظم أمره الوحي الكريم، المنزل على نبيه بواسطة أمين الوحي جبريل. قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

فما هو موقف الوحي مما نحن بصددده من حديث حول الاتصال وظواهره؟

وللإجابة لا بد من الوقوف على المتاح من الدراسات العربية في مجال الاتصال الإسلامي والتي ازدهرت مع تطوّر أقسام وكليات الإعلام والاتصال في الجامعات العربية والإسلامية، وذلك في النصف الثاني من القرن، حيث سنلاحظ أن تلك المؤسسات الأكاديمية وفي سبيل الوصول إلى مداخل للتأصيل باستقراؤها لأصول المعرفة الإسلامية وطرحها للأسئلة المنهجية لدراسات الإعلام والاتصال على أصول المعرفة الإسلامية قد اتخذت منحاً معيارياً، وقد كان القرآن بما هو مادة تواصلية مسموعة ومكتوبة موضع الاهتمام الأول لتلك الدراسات، وحلاً للدراسة والتحليل من قبل رواد البحث الاتصالي الإسلامي، فتناولت في هذا الإطار موضوعات المضامين الإعلامية في القرآن الكريم والتفسير الإعلامي للقرآن واستدعت ظواهر، مثل: تنزلات القرآن، وتلقي جمهور المسلمين له بالحفظ والمدارس، وأثر القرآن على الثقافات الإسلامية، ومظاهر الإعجاز الإعلامي في القرآن الكريم، وغير ذلك من القضايا التي وثقت لرحلة بحث الاتصاليين عن موطئ قدم ومنطق قرآني للرؤية الإعلامية، ومع أننا لا نستطيع أن نقول أن تلك الدراسات قد أفضت إلى تلك الرؤية، ولكنها اكتسبت قيمتها كمرجعيات تاريخية يصعب إغفالها في مثل ما نحن بإزائه من عمل.

أ- الدعوة باعتبارها مفهوماً قرآنياً:

إن الدعوة مفهوم شامل لكل طلب ونداء، وهي مأخوذة من الدعاء ومن معانيها النداء والصيحة والحث. وقد جاءت هذه المعاني في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥]؛ أي يحث الناس على اتباع الطريق الموصل إلى الجنة. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]؛ أي لا أحد أحسن قولاً من الداعي إلى الله وطاعته. وهذه الآية: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ أصل في هذا الباب، وتشمل كل من دعا إلى الله تعالى فأمر بمعروف أو نهى عن منكر، سواء أكان بالأذان إعلاماً بدخول وقت الصلاة، أو علّم الناس القرآن والحديث والفقه، أو أرشد إلى الدين والأخلاق الإسلامية بأي وسيلة من الوسائل الشرعية المتاحة، كاللقاء المحاضرات والكلمات، وإقامة الندوات والمهرجانات والمليقات، بهدف نشر الفضيلة والتحذير من طرق الزيغ والضلال وسوء الأخلاق وغيرها مما يغضب الله تعالى ويضر العبد في دنياه وآخرته. ويعد القرآن الكريم هو المرجع الأول والأساسي للدعوة والدعاة؛ فقد حوى موضوعات الدعوة ومناهجها وقضاياها، ومن آيات القرآن الكريم يستمد الدعاة زادهم، وعلى هداه يرسمون مناهجهم، ومنه يأخذون أساليبهم، وعلى ضوءه يرومون هداية الناس بما يلائم طبائعهم ونفسياتهم، ويعالجون مرضهم، وبه يصفقون أفكارهم، ويشحذون عزائمهم، ويزيلون غبار الإثم والفواحش عن قلوبهم وبصائرهم. ^(١) وفي عمله الرائع "موازين الإعلام في القرآن الكريم" وجد عز الدين بليق أن في القرآن ١٧٠٠ آية في الدعوة. ^(٢)

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣] دليل على أن الدعوة قيمة معيارية وسمة مميزة للإنسان المسلم

(١) المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوجيه الجاليات في الخبر. مفهوم الدعوة إلى الله في القرآن والسنة، موقع هداية الإلكتروني، تاريخ الاسترداد: (١٥ ربيع الآخر ١٤٣٤ هـ / ٢٥ فبراير ٢٠١٣ م).

(٢) بليق، عز الدين. موازين الإعلام في القرآن الكريم، بيروت: دار الفتح للطباعة والنشر، ١٤٠٣ هـ.

الفرد والجماعة فقد قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤] والأمة لقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

والدعوة إلى الله من الناحية العملية وظيفية الأنبياء والرسل يخلفهم فيها اتباعهم بشهادة الأولين على الآخرين ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، وشهادة الأمة الإسلامية على بقية الأمم ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

والدعوة كما هي مسؤولية الفرد فهي مسؤولية الدولة وولاء الأمر المستخلفون على مصالح الخلق ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الحج: ٤١].

وموضوعات الدعوة كما يبينها القرآن تتمحور حول معاني الخير باعتباره صفة عامة لما تتم الدعوة له، وصفة تفضيلية لمن يقومون على أمر الدعوة. والمعروف بما هو معيار على الأعمال والسلوكيات التي تستهدفها الدعوة والإصلاح بما هو مشروع مجتمع التوحيد وذلك مما عملت موضوعات هذا الفصل على تجليله وتوضيحه.

ب- هل الاتصال مفهوم قرآني؟

القرآن كتاب هداية كانت (الهداية) هي المفهوم الذي جعله القرآن مداراً لرسالته ومقصداً جوهرياً من مقاصده، فكانت هداية ذلك الإنسان الأنموذج إلى النهج الذي يتيح له فهم الحياة وتقديرها كمشروع جاد، ويؤمله ليؤمن بالله غاية عليا لكدحه الدنيوي، ويؤمن بالإنسان ممثلاً في الرسل والأنبياء كهداة له في مسيرته ودعاة إلى طريق الهداية ومنهجها "صراط الله".

إنه كتاب هداية إلى الحق والحقيقة، ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

إن الرسل والأنبياء يمثلون النموذج والقُدوة للكائن البشري في مثاله القرآني.

إن العبادة هي سبيل الهدى وطريق الرشاد ﴿وَلَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾

[يس: ٦١].

إن الدعوة إلى الهدى الإلهي هي أحسن القول، وهي المهمة العليا والوظيفة الأهم بين وظائف البشر ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]. ومن ثم فهي تمثل جوهر المشروع التواصلية الإسلامي.

وفي سبيل بيان معالم نمط التواصل القرآني لا بد من الإجابة على سؤال المفهوم. وكيف يمكننا التأكد من وجود الاتصال كمفهوم حاضر في بنية النص القرآني.

من البديهي أن نعلم -وبسبب من حداثة علم الاتصال، ومن ثم حداثة مفاهيمه الأساسية من شاكلة "إعلام واتصال وصحافة"- أن الاكتفاء بمدخل مفاهيمي مجرد سيصبح عملاً ضعيف الجدوى، أما إذا اخترنا النظر إلى الاتصال باعتباره نشاطاً إنسانياً؛ فمن اليسير أن نقف على تمثيلات العملية الاتصالية في المضمون القرآني؛ فالإنسان -كما هو معلوم- هو موضوع الكتاب العزيز، وبهذا المعنى تصبح كل صور العملية الاتصالية في القرآن الكريم مظاناً للبحث ومصادر للمادة الهادية في تكوين تصور نظري للرؤية الإسلامية للظاهرة الاتصالية، أو على الأقل استخراج محددات الرؤية الإسلامية للظاهرة الاتصالية، ويتطلب تحديد تلك التجليات التي هي مظان للمادة الاتصالية سبراً أعمق في الأصول الإسلامية بتتبع ورود المحتوى التواصلية في القرآن الكريم، وبناء خريطة من التفاصيل المتعلقة بالاتصال كما تعرضه الآيات ومصادقة ناتج هذه العملية باستنباط القواعد الكلية للرؤية التواصلية القرآنية، من جملة البدهيات الكونية التي يؤسس لها الوحي القرآني باعتباره المصدر الوحيد للمعرفة اليقينية والمعياري النهائي للعقلية الإسلامية، وهو ما سيجتهد هذا الجزء من الكتاب في بيانه.

وتشير الدراسات الجارية في مجال تحديد المفهوم الحواري والتواصلي في القرآن الكريم إلى أن هنالك أكثر من مدخل للإجابة، فبالنظرة الخارجية الحسية يمكن تحقيق ذلك بتتبع الورود النصي للمفاهيم الاتصالية من خلال اللفظ ومرادفاته وكذلك المعنى، وقد أشرنا فيما سبق إلى أن حداثة نشأة العلم التواصلي يجعل من المتعذر أن نصل إلى مفاهيم تلك العلوم بمطوقاتها، ولكن دلالات المفهوم التواصلي تبقى حاضرة حضور مظاهر السلوك البشري وظواهر الاجتماعي الإنساني في النص القرآني باعتباره كتاباً موجهاً للإنسان وموجهٌ له.

وهذا المعنى نجد أن الظاهرة التواصلية يمكن التماسها من المفردات الدالة على التواصل والتفاعل من قبيل التواصل اللفظي الذي تشير إليه المفردات المتعلقة بمادة "قول" كما أشار بعض الباحثين باعتبارها دلالة على وجود المحتوى التواصلي في القرآن الكريم فالقول يقتضي الاستماع ووجود قائل ومقول، ومستمع ومادة للقول، وهو ما يشتمل عناصر العملية الاتصالية جميعها.

كما يمكن توسيع أفق البحث في المفهوم بالاستناد إلى مبدأ التفاعلية كمؤشر إضافي على وجود المحتوى التواصلي^(١) في جملة النص القرآن.

وللتمثيل سنقف على بعض نتائج استخدام المبدأ الأول القائم على تتبع المفاهيم الاتصالية يمكن النظر في مواطن وجود مادة "حوار" والعلامات الدالة عليه في المصحف، بحسبانه المظهر الاتصالي المعبر عنه بكثافة في القرآن الكريم بغية استخراج بعض الموجهات الأساسية للفكر الاتصالي الإسلامي، كما أن في تأسيس الحوار وتأسيسه تأسيساً للاتصال بحسبانه الصورة الأولية له، ففي دراسة الحوار دراسة لصور التعبير الإعلامي وموجهاته ومستوياته.

(١) للوصول إلى نتائج استخدام هذه المؤشرات. انظر:

- العوض، "أصول الظاهرة الاتصالية في القرآن الكريم"، مرجع سابق.

ويعرّف المفسرون الحوار مثلاً بأنه مراجعة الكلام عند القرطبي^(١) والمجادلة والمحاورة والمراجعة والتجاوب عند ابن كثير،^(٢) ومعنى قوله: ﴿تَجِدُكَ﴾؛ أي تخاصمك وتحاورك وتراجعك، ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ مراجعتكما الكلام. وتثير هذه التعريفات تساؤلاً هاماً: هل المقصود بالحوار ذلك الذي يتم عبر المحادثة الكلامية؟ إذ وردت كلمة الحوار بلفظها ثلاث مرات، مرتين في سورة الكهف، ومرة واحدة في سورة المجادلة؛ واصفة للحالات الثلاث من الحوار اللفظي بين طرفين.^(٣) ويلاحظ في آتي الكهف استخدام لفظ يحاوره في موقفين اتصاليين متقابلين بلفظ واحد، أما في سورة المجادلة؛ فيلاحظ استخدام لفظين مختلفين "جادل وحاور" لموقف اتصاليين واحد، وربما يساعدنا الرجوع إلى أسباب النزول في مقارنة المعنى المراد^(٤) كما يلاحظ

(١) مجمع اللغة العربية. معجم ألفاظ القرآن، القاهرة: مجمع اللغة العربية، ١٩٨٩م، مج ١، ص ١٣٥.

(٢) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي. تفسير القرآن العظيم، بيروت: دار المعرفة، ١٩٦٩م، مج ٣، ص ٨٤.

(٣) انظر سورة الكهف الآية (٣٤)، وسورة المجادلة الآية (١).

(٤) يرجّح المفسرون أن فواتح سورة المجادلة قد نزلت في خولة بنت ثعلبة، وكانت تحت أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت، وكانت حسنة الجسم وكان به لم؛ فأرادها فأبت فقال لها: أنت عليّ كظهر أمي، ثم ندم علي ما قال، وكان الظهار والإيلاء من طلاق أهل الجاهلية. فقال: لها ما أظنك إلا قد حرمت عليّ؛ فقالت: والله ما ذاك طلاق، وأنت رسول الله ﷺ وعائشة رضي الله عنها تغسل شق رأسه فقالت: يا رسول الله إن زوجي أوس بن الصامت تزوجني وأنا شابة غنية ذات مال وأهل، حتى إذا أكل مالي وأفنى شبابي وتفرّق أهلي وكبر سني ظاهر مني، وقد ندم، فهل من شيء يجمعني وإياه تنعشني به؛ فقال رسول الله ﷺ: حرمت عليه؛ فقالت: يا رسول الله والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقاً، وإنه أبو ولدي وأحب الناس إليّ؛ فقال رسول الله ﷺ: حرمت عليه؛ فقالت: أشكو إلى الله فاقتي ووحدتي قد طالت صحبتي ونفضت له بطني؛ فقال رسول الله ﷺ: ما أراك إلا قد حرمت عليه ولم أؤمر في شأنك بشيء، فجعلت تراجع رسول الله ﷺ، وإذا قال لها رسول الله ﷺ: حرمت عليه هتفت، وقالت: أشكو إلى الله فاقتي وشدة حالي، وإن لي صبية صغار إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إليّ جاعوا، وجعلت ترفع رأسها إلى السماء وتقول: اللهم إني أشكو إليك الهم، فأنزل على لسان نبيك فرجي، وكان هذا أول ظهار في الإسلام، فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر؛ فقالت: انظر في أمري جعلني الله فداك يا نبي الله؛ فقالت عائشة: قصري حديثك ومجادلتك أما ترين وجه رسول الله ﷺ، فلما قضى الوحي قال لها: ادعي زوجك فدعته فتلا عليه رسول الله ﷺ ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]. تقول أم المؤمنين عائشة: وأنا في ناحية البيت أسمع بعض كلامها ويخفى علي بعضه؛ إذ أنزل الله ﷻ ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾.

في هذه الاستخدامات الثلاثة اشتراكها في الآتي:

- إن العملية المسماة حواراً، هي عبارة عن محادثة كلامية يشترك فيها طرفان أو أكثر.
- إن هناك تداولاً للرسائل بين المشتركين في الحوار.
- يستلزم الحوار - في أيسر صوره - متكلماً ومخاطباً، ولا بد فيه من مراجعة الكلام وتبادله وتداوله.^(١)

وباستعراض التعريفات السابقة والنظر في سبب نزول الآية، ننبه إلى أن القرآن لم ينزل استجابة لوقائع ظرفية مخصوصة ببيئة التنزيل وحدها؛ وبذلك فهو لا يحتبس في إطار المدلولات التاريخية المحصورة فحسب؛ بل إن مرونة القرآن الشاملة للمعنى والمبنى هي التي تمنحه الهيمنة وتجعله قابلاً للتنزيل على مختلف البيئات والظروف والتعاطي مع الواقع الإنساني بتبايناته المختلفة وتطوراته المطردة، وهو معنى كامن في هذه الحوارية المتضمنة فيه.

كما أن استخدام القرآن لكثير من الألفاظ المتباينة في أصولها جاء تعاطياً مع البيئة الحضارية وتقريباً للمعاني؛ وبذلك إذا انحصر الحوار لدى المفسرين واللغويين في نطاق العملية التي يتم فيها مراجعة الكلام وتبادله بين طرفين أو أكثر - جرياً على تلك الاستخدامات الثلاثة للمفردة في السياق القرآني - فإننا وللوصول لما نبتغيه من دلالات اتصالية يمكننا التعامل مع الحوار بمعناه الأشمل المستفاد من النظر في مجمل المادة الحوارية المبثوثة في سائر النص القرآني؛ وعليه فالحوار هنا يعني أي عملية يتم فيها تبادل الرسائل بين طرفين أو أكثر يجمع بينهم إطار دلالي مشترك سواء أكانت هذه الرسائل لفظية أو غير لفظية.

(١) قبلان، عبد الأمير. "الإسلام مسؤول أيضاً عن فشل الحوار أو نجاحه"، ورقة مقدمة ضمن مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الثاني عشر، القاهرة، الأزهر الشريف، بين ١٦ و ١٨ / ٤ / ٢٠٠٢م، تحت عنوان "هذا هو الإسلام"، موجود على الرابط التالي:

وبهذا المعنى يمكننا أن نتحصل على مادة واسعة وغنية بأشكال التفاعل الاتصالي حواها القرآن الكريم، وهي قابلة لأن تشكل مؤشراً هاماً على المحتوى التواصل في القرآن الكريم.

ونخلص من ذلك إلى أن الرؤية التواصلية في القرآن الكريم تقوم على عوامل عدة، أهمها:

- التعبير عن حقيقة وطبيعة الاجتماع الإسلامي الذي انطوى منذ تأسيسه الأول على قدر هائل من: التنوع والتعددية في المكونات البشرية والثقافية، والإطلاقة والشمول في الرؤية الحضارية.

- تأكيد أهمية الاتصال والتواصل: يؤكد القرآن على أهمية الاتصال كحقيقة وجودية كونية وضرورة اجتماعية إنسانية، وضرورة شرعية دينية. وهذا هو سر تميز الرؤية القرآنية في نظرتها للاتصال وتقديرها لأهميته.

- توظيف الاتصال والتواصل في التأسيس لمنهج كلي للحياة الإنسانية؛ لا لملة محصورة الهم في حدود التكاليف الفردية والشرائع والأحكام والعبادات؛ ولا في نطاق الأمة المحدودة التي يجمعها الجنس والمكان أو اللغة واللسان.

ثانياً: الأبعاد الوجودية والحضارية للاتصال في القرآن

إن أول قصة يوردها القرآن هي قصة إيجاد الإنسان التي يعرضها القرآن في قالب حوار تدور تفاصيله في الملأ الأعلى بين مستويات معرفية شديدة التفاوت بين المعرفة المطلقة لله عَزَّوَجَلَّ، والمعرفة الفائقة لملائكته الكرام، والمعرفة النسبية للإنسان. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]. ويستمر الحوار لنسج شبكة من التواصل بين تلك المستويات ويكفي لبيان ذلك ان نتذكر أن أطراف ذلك الحوار كما تظهرهم الآيات هم: "الله جَلَّ جَلَالُهُ"، ثم الملائكة، فالإنسان، فالشيطان. وبهذه الصورة يقدم القرآن تعبيراً عن حقيقة الوجود الإنساني؛ إذ تجعلنا

الإشارات القرآنية نلامس الخطوط الواصلة بين الوجود الإنساني ومفاهيم الحوار والتواصل؛ لنستشعر التلازم في هذا النموذج بين مبدأ الخلق للبشر ومبدأ المشاركة الأصيلة في هذا الوجود عبر التواصل المباشر الذي يظهر في المستوى الأعلى بحوار الله تعالى لآدم بحضور الملائكة.

وإذا تقرر التواصل كحقيقة وجودية بالنسبة للإنسان بإزاء الوجود بمعنييه النسبي والمطلق، فهو - إلى جانب ذلك - ضرورة إنسانية لا يتصور قيام اجتماع إنساني بدونها، وهو ما يشير إليه القرآن بدعوته إلى حفظ الصلات ورعاية العلاقات القائمة بين البشر أفراداً كانوا أو جماعات. قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢]. ولا يمكننا تصور وجود عالم بلا حوار؛ لأنه بذلك سيكون عالماً صامتاً ساكناً، وإن كنا نتوق إلى عالم بلا صراع، والحق أن الحديث عن العلاقة بين حضارات العالم وأممه ودياناته والتواصل فيما بينها لم يعد مجرد ترف فكري أو علاقات اجتماعية يمكن الاستغناء عنها، ولكنه أصبح ضرورة عالمية؛ فالصراعات الدينية تتنامى والدعوات إلى نسخ التجربة الإنسانية وإنكار وجود الآخر تغطي سماء العلاقة بين الحضارات والأمم، وأصبح دعاة الحوار الديني يرددون - في الأعوام الأخيرة - مقولة العالم اللاهوتي الألماني (هانس يونغ) "لن يكون هناك سلام بين الأمم، ما لم يكن هناك سلام بين الأديان، ولن يكون هناك سلام بين الأديان، ما لم يكن هناك حوار بين الأديان".^(١) وتتصاعد الصيحات من هنا وهناك مؤيدة ضرورة الحوار، ولا شك في أن الواقع الذي خلص إليه إنسان الحضارة الغالبة واقع بئيس، حيث بدأ الدعاة الدينيون من كل ملة يجأرون بالشكوى من "إحصاءات مرعبة عن حوادث الطلاق وتفكيك الأسرة والإجهاض وجنوح الناشئة والفوضى الجنسية، وتعاطي المخدرات وجرائم القتل، إنني أشاهد حطام الإنسان والأرواح المهذرة بأكداس تفوق الإحصاءات، إن أمريكا في حاجة سريعة إلى الإنقاذ الروحي والأخلاقي إذا كانت تريد أن لا تهلك في

(١) جورافسكي، أليسكي. الإسلام والمسيحية، ترجمة: محمد خلف الجراد، سلسلة عالم المعرفة (٢١٥)، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٦م، ص ٨.

هذا القرن،" (١) وهذا الواقع يتطلب حواراً دينياً يعرض فيه أبناء الأمة الشاهدة والنموذج الرسالي معالجاتهم لمثل هذه الوقائع. وقد يبدو لنا -نحن المسلمين- أن هذه الدعوة إلى الحوار الآن تأتي دفاعاً عن الذات في واقع محاصر بالهيمنة على وسائل الإعلام والاتصال والخطاب الشفوي والكتابي المحيط، وكل ذلك معزز بقوة العلم وآليات الحرب، وقد نعلم أن الآخرين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم وأقلامهم ومادياتهم وخططهم، ولكننا نبقي مع ذلك ملزمين بمقتضى الشرع وإملاء الوضع بصيغة نموذج اتصالي فاعل، قادر على تحرير ساحة الحوار الإنساني من أي قناعات تملأ عليها من علٍ وقدّر قبل ذلك على حمل رسالة الإسلام إلى أطراف المجتمع الإنساني جميعها.

والاتصال إلى جانب كونه حقيقة وجودية فهو كذلك سمة حضارية يؤسس لمشروعية وجود الأمة والملة الإسلامية، حيث يعتبر الانكفاء والانعزال عن عملية التفاعل مع الواقع والقيام بمهام الإصلاح خطراً يعرض المجتمع للفساد المفضي إلى السخط الإلهي، فغاية القرآن لحياة متماسكة البناءات تكون نموذجاً شاهداً على الدوام للحياة الصالحة، ومعيار الصلاحية هنا هو توفر إرادة الإصلاح لا الصلاح الذاتي للفرد أو الجماعة، ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]، فالمعلوم أن توفر إرادة الإصلاح هو سبيل النجاة من الظلم؛ لأن هذه الإرادة تقطع الطريق على الطغيان. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧]، وهذا الصلاح المتعدي هو مناط خيرية هذه الأمة. قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ولا شك في أن القيام بمقتضيات هذا التكليف يتطلب علاقة من التواصل والتفاعل الطبيعي مع الواقع، كما أن المشاركة هي سمة مميزة لهذا الدين في شعائره وشرائعه؛ فالعبادة في كل صورها حتى الفردية منها تؤدي إلى خطاب جماعي، ففي سورة الفاتحة -أول القرآن وشرط قبول الصلاة-

(1) falwel, Jery. *Listen America*. New york: Bantam Book, 1981.

يردد المسلم "نعبد، نستعين" بلسان الجماعة، وقد اشترط -لتسيير أمر الجماعة- الشورى فقال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال في شأن المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الشورى: ٣٨]، فهي المبدأ الذي عليه يتأسس نظام الدولة والمجتمع، ولا قوام لهذه الشورى دون فتح قنوات الاتصال السياسي بين الرعاة والرعية.

ثالثاً: بعض مبادئ ومركزات التواصل الإنساني في القرآن:

لا يتصور تحقق الاتصال الإنساني بمعناه المنشود إلا بوجود قواعد ومركزات أساسية يؤدي غياب أيٍّ منها لغياب معنى التواصل الذي يشكل القاعدة الأساسية للتفاعل الإيجابي بين الجهات المختلفة ووجهات النظر المتباينة والرؤى والعقائد والثقافات المتقابلة، وتعتبر هذه المركزات شرطاً لتحقيق معنى التواصل ممارسة وواقعاً؛ فعلى المستوى المفاهيمي يبني القرآن القواعد الأساسية للاتصال الإنساني على مفاهيم متلازمة، ومعاني جوهرية حاكمة لفهم المسلم للواقع ومنظمة لتعامله معه، إلا أنها تكتسب دلالتها في إطار الابتلاء الإنساني فالإنسان هو الموكول بتنزيل تلك المفاهيم أو تعطيلها، وأول هذه المباني هي الحرية، ويلازمها مفهوم اللا-إكراه، ثم الإيمان بحتمية الاختلاف والإقرار بواقع التنوع، الذي يتأسس عليه مفهوم حتمية وجود الآخر، أما المفهوم الذي يبدو في ظاهره غير متجانس مع مفهوم الحوار؛ فهو مفهوم قيام الحجة المستفاد من قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦] وسنقوم فيما يأتي بتحليل تلك المركزات بشيء من التفصيل.

١ - حرية الاختيار:

تتأسس الرؤية الاتصالية القرآنية على مفهوم للإنسان يعرفه باعتباره كائناً مختاراً؛ يتمتع بالحرية التامة في اختياراته المختلفة، مستعيناً بذلك بمنطق العقل وهداية الشرع،

وهما مناط التكليف القائم على وجود الحكم ووجود الرشد العقلي المؤهل للتمييز بين الاختيارات المختلفة، ووجود الحرية في الاختيار كمقدمة لتحمل المسؤولية. ويترب على ما سبق النظر في التعريف القرآني للحرية، قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البعد: ١٠]، وقال أيضاً: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣] ولفظة "إما" هنا أداة تخيير، وهو ما يقتضي انتفاء الجبر وانعدام الإكراه وتقرير الحرية هنا مكفول بقاعدة وشعار "اللاإكراه" التي تأخذ مكاناً بارزاً في المنظور القرآني؛ فالقرآن ينفي تحقق الدين وقيامه مع وجود الإكراه في الدين، حيث يقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] نافية؛ أي أن الحكم بدينية سلوك أو مظهر وإضفاء الشرعية الدينية على أي سلوك أو نشاط يقتضي تحقق الاختيار وانتفاء الجبر؛ فلا يحاسب الإنسان على السلوك الذي يفعله مقهوراً ومجبوراً. قال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦]؛ فلا يؤاخذ مكره على الكفر بكفره كذلك لا ينبغي اتخاذ الإكراه سبيلاً للدعوة فقد خطاب الله نبيه قائلاً: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ الْآرِضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]. وتؤمن السنة على هذا المعنى بالحديث الجامع: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرئ ما نوى"^(١) وللقاعدة متربات تشريعية بيتها السنة وأسهمت الدراسات الفقهية في تقريرها، وتتجلى هذه المعاني في الأثر النبوي: "رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما

(١) رواه أبو داود، وابن حبان، والبيهقي. انظر:

- المسجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث. سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: دار الفكر، (د.ت.)، ج ٢، ص ٢٦٣، حديث رقم: (٢٢٠١).
- البستي، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي، صحيح ابن حبان "بترتيب ابن بلبان"، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢، ط (١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ج ٢، ص ١٢٣، حديث رقم: (٣٨٨).
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين. سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكة المكرمة: مكتبة دار الباز، (١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ج ١، ص ٤١، حديث رقم: (١٨٢).

استكروها عليه.^(١) ومن الغريب أن تكون المرأة التي نزلت فيها الآية: ﴿وَلَيْسَ تَعْفَى﴾ الذين لا يجدون نكاحاً حتى يُغَيِّمَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ تَخَصُّصًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْنَهَا فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِنَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٣٣] هي جدة خولة بنت ثعلبة التي نزلت فيها آيات المجادلة التي رسمت الملامح الأساسية للحوار القرآني.

٢- حتمية الاختلاف:

وبروز مفهوم الآخر. قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩] وقال أيضاً: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا ءَاتَاكُمْ فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨] يقرر القرآن أن الاختلاف سنة من سنن الخلق؛ فالتشابه اليسير بين الكائنات يصعب عملية التمييز بينها؛ كما يصعب التعرف عليها، ولذلك يصبح لهذا الاختلاف قيمة كبرى على مستوى المعرفة؛ إذ لا يتصور وجود "الآخر" بين البشر إذا انتفى التباين والاختلاف بينهم، وأن الأنا لا تأخذ تمام معانيها إلا عبر تناظرها مع "آخر". ويقرر الإسلام الاختلاف كحقيقة إنسانية طبيعية، ويؤكد القرآن أن التعارف هو علة التباين بين المخلوقات البشرية، ويتعامل معها على هذا الأساس، ويترتب على حقيقة الاختلاف حرية الاختيار التي تبرز على نحو معجز في النص القرآني

(١) رواه الدارقطني، والبيهقي، وابن حبان. انظر:

- الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر البغدادي. سنن الدارقطني، تحقيق: السيد عبد الله هاشم ياني المدني، بيروت: دار المعرفة، (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م)، ج٤، ص١٧٠، حديث رقم: (٣٣).
- البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، مرجع سابق، ج٦، ص٨٤، حديث رقم: (١١٣٦).
- البستي، صحيح ابن حبان، مرجع سابق، ج١٦، ص٢٠٣، حديث رقم (٧٢١٩).

الذي يقدمها كأساس بني عليه الكون؛ فإذا كان هذا على مستوى الأشياء فهي على مستوى الأفراد أوكد. ويدعو القرآن لتوظيف واقع الاختلاف إيجابياً بتحويله إلى مقدمة ضرورية للتعارف القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

٣- تحقق الرشد ونفي الوصاية:

المستفاد من قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦] أن الآية جاءت لتقرر تنافي تحقق صفة الدينية في فعل أو سلوك مع وجود عنصر الإكراه، ليقضي بعدم الحاجة إليه ابتداءً؛ بعلّة أن الغي والرشد أصبحا واضحين، إذا كان الأمر كذلك فقد أصبح من حق الإنسان الاختيار بين سبيلي الرشد والغي بكامل الحرية، وفي حالة التباس الرشد بالغي فرضاً، أو انتفاء القدرة على التمييز بينهما جاز الإكراه؛ بناءً على جواز وصاية الراشد على القاصر، وجواز قيادة المبصر للأعمى، ولكن القرآن يؤكد دائماً الحرية بكل أنواعها؛ لأن أحداً لا يستطيع بالقوة أن يبدل قناعات الناس أو يغير معتقداتهم؛ بل إن أقصى ما يستطيع أن يكرههم عليه هو أن ينافقوا من يكرههم حتى يتجنبوا أذاه، بينما تبقى قناعاتهم في عقولهم وعقائدهم في قلوبهم، ويزخر المصحف بالآيات الدالة على هذا المعنى.

رابعاً: من خصائص الرؤية القرآنية للاتصال:

ينتهي بنا التتبع لتجليات الظاهرة الاتصالية في القرآن الكريم والتي استعرضنا بعضاً من ملاحظاتها في الفصول السابقة إلى جملة مما يمكن اعتباره خصائص للرؤية القرآنية للاتصال، منها:

إنها رؤية توحيدية تبنى منظورها على وحدة الأصل والمنبت ووحدة المشروع الوجودي للجنس البشري. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ووحدة الغاية والمنتهى. قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الْإِنْسُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا

فَمَلِكِيهِ ﴿[الانشقاق: ٦].

جعل أواصر القربى الإنسانية والحفاظ على بقاء الأسرة الإنسانية؛ هي الأساس الأول للتواصل البشري وتؤكد الرؤية القرآنية للتواصل تعزيز معاني وقيم التواصل وما يجمع الأسرة الإنسانية من رباط وثيق وصلة عميقة أحال فيها القرآن دائماً إلى الطبيعة الواحدة التي تخلق منها أصل ذلك الكائن المكرم والتي نبتت من عناصر الأرض فهو من الناحية المادية ابن هذه البيئة الأرضية، وهي موطن سكناه وموضوع ابتلائه، وقد صوره الله شكلاً في هيئة نفس بشرية خلق الله منها زوجها وبث منها توالداً بقية البشر. قال تعالى: ﴿يَتَّيْنَاهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

حرر القرآن هذه العلاقة من أي ادعاء للتمايز والتفضيل على أساس العرق. قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْتَهُمُ اللَّهُ أَذًى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠] أو الدين وقال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُمْ﴾ [المائدة: ١٨] مما يمنح الإرادة الإنسانية قدراً أوسع من الحرية حين تقرر استحالة حدوث الإكراه فيما يتعلق بالعقائد والأفكار.^(١)

- يؤسس القرآن رؤيته للاتصال الإنساني على قاعدة من المنطق المستند على شواهد الواقع ومعطيات العلم لا على رؤى طوبأوية أو ميتافيزيقية سرعان ما

(١) القرآن ينفي تحقق الدين وقيامه مع وجود الإكراه في الدين، حيث يقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] ولفظه "لا" هنا ليست ناهية كما قد يتصور بعضهم، بل هي نافية؛ أي: إن الحكم بدنية سلوك أو مظهر وإضفاء الشرعية الدينية على أي سلوك، أو نشاط يقتضي تحقق الاختيار، وانتفاء الجبر؛ فلا يحاسب الإنسان على السلوك الذي يفعله مقهوراً ومجبوراً. قال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَكَلِمَاتُهُمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦] وتؤمن السنة على هذا المعنى بالحديث الجامع: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرئ ما نوى" وللقاعدة متربات تشريعية بينتها السنة، وأسهمت الدراسات الفقهيّة في تقريرها، وتجلّى هذه المعاني في الأثر النبوي: "رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه."

يتجاوزها الوعي البشري باكتشافاته.

ويبرز كل من الدين والمعرفة وفق هذا المنظور -القرآني- كقوى موحدة للعالم بتحقيقها للمعيار المشترك، قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

- هي رؤية تقوم على الاعتراف بحقيقة التنوع والاختلاف دون إلغاء لوحدة الأصل والتأكيد في نظرتها للعالم على إقرار حتمية الاختلاف الإنساني كسنة من سنن الخلق قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: ١١٨] ويرفضها العقل الإنساني بتراكم خبراته وتطور أدواته كما حدث مع التصورات السابقة.

وينتهي بنا التتبع والمراجعة لما ورد حول الاتصال الإنساني في نصوص الوحي وتفسيرات الدارسين له على نحو ما شُرح إلى جملة من المؤشرات المنهجية الداعية إلى الاهتمام بالتأسيس لمنهجية في النظر في أصول الظاهرة الاتصالية تتسم بالعمق من خلال اهتمامها بدراسة الظواهر في سياقاتها الكلية الوجودية والتاريخية لعلها تساعد في تقديم بدائل على مستوى الرؤى الكلية الضرورية للتأسيس لجزئيات العلوم، والمقصد من هذه الدراسات أن تسهم في تخليص العقل الإسلامي المعاصر من الارتباك للتصور الأحادي للمعرفة المتمثل في التصور المادي للاتصال الإنساني، خاصة إذا علمنا المفارقة البائنة بينه وبين التصور الإسلامي.

وقيمة التأسيس السابق لدارس الاتصال أنه يقوم بتقديم الإجابة العقدية لجملة التساؤلات الوجودية التي عادة ما تمثل منطلقات التنظير للظاهرة الاتصالية في معظم الأدبيات المقررة على دارسي الإعلام والاتصال في نسخته المعاصرة.

والميزة هنا أن وضع الأساس القرآني لأصول الظاهرة الاتصالية كمعطى أولي هو أجدى وأنفع وأوقع لدى الدارس المسلم من استخدام ذلك الأساس باعتباره إجابة على الأسئلة الوجودية لنظرية النشوء والارتقاء وفرضيات الدارونية الجديد التي لا تزال تحكم المنظور الاتصالي المعاصر.

ويعتبر التأسيس القرآني للإرادة الإصلاحية لدى الإنسان حين يستمد السلطات المعنوية والمادية للوجود بإزاء القيم المعيارية من الحق والخير والفضيلة باعتبارها الأساس الذي أنبنى عليه الوجود الكوني والبشري. ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [التغابن: ٣]، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۖ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٢ - ٧٣].

ونذكر في خاتمة هذا الفصل أن ما حواه هو مجرد مقدمة تأسيسية، بينما تلتزم الفصول اللاحقة بالمرجعية القرآنية في تقرير محتوياتها وإثبات شواهد ما متى استلزم السياق ذلك.

الفصل الثاني:

الهدى النبوي في الاتصال الدعوي

النبوة مرتبة دينية ودرجة وجودية لها خصوصياتها، فهي اصطفاء إلهي وليس مقام كسبي، وهي على تحيز تجلياتها بين ظرفي الزمان والمكان، وفواعل الجغرافيا والتاريخ لها دلالتها الوجودية وأبعادها الإطلاقية، فقد لازمت هذه الظاهرة الدينية حياة البشر في كل مراحلها، فذكر القرآن إن الله اصطفى أول البشر آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ كما اصطفى من ذريته غيره من الأنبياء. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣]، وظل الإخبار عنها ونقل آثارها من جيل إلى جيل أمر تشترك فيه الأمم والشعوب جميعها، ويجزم القرآن ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤] وهي بهذا المعنى تخالف الظواهر التاريخية والاجتماعية في أنها لم تتطور عن وضع سابق أو ظاهرة مولدة لها مما يترتب عليه توقع اضمحلالها وتلاشيها في رحم التاريخ أو إعادة توليدها إذا توفرت ظروف مماثلة للظروف التي انتجتها أول مرة.

أولاً: وقفة مع مقام النبوة ودعوة الرسل

يكاد القرآن يغدو كتاباً للحديث عن ظاهرة النبوة والأنبياء، ولا غرو فالإنسان هو موضوع ذلك الكتاب وهو قضيته وهو هدفه، والإنسان في حالة كماله في أعلى سُلَّم الوجود البشري كما صورته ابن خلدون ليس سوى النبي ﷺ، والإنسان السادر في خطوه في الحياة وفعله في الوجود هو محط نظر الأنبياء الذين يمثلون عنصر التوازن بين مراد الله من خلق الإنسان والجنوح المتأصل في طبيعة هذا الإنسان ناحية الخطيئة والإثم والفساد، وهو ما يعززه منطوق القرآن حينما تحدث عن بعث الأنبياء، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]، ويحدثوا عبر رسالاتهم ذلك التوازن المنشود عبر أداتي: الكتاب (العلم/ المعرفة) والميزان (العدل/ العقل والمنطق)، وهنا تظهر صفتان للأنبياء، هما:

العلم والحكمة، ومع وجودهما في سواهم من العلماء والحكماء، ولكنها أكثر تأكيداً في حق النبي ﷺ؛ إذ يعذر المتلقي إذا أعرض عن الاستماع والاستجابة لمن صفته الجهل ومن تعوزه الحكمة في معالجة الأمور والحكم على الأشياء وإمكانية أن يوصف الأنبياء من قبل أعدائهم أو الجاهلين من أوليائهم بما لا يتفق مع مقامهم المثالي، وقد وجدنا كيف وصفت بعض الآثار والنصوص الدينية الأنبياء بأوصاف ونسبت إليهم أعمال لا تتصور من عوام الناس. وصدق تعالى حين قال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَشْرِائِهِمْ أَلَّهُ إِلَّا وَحِيدًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١].

وقد ذكرنا في الفصل السابق أن الوحي عيّن طريقاً وحيداً للتوصل إلى العلم المطلق، وأن القرآن هو أعلى مصادره درجة وأن الهداية هي الغاية المتوخاة من التعامل الإنساني مع القرآن باعتباره الوحي الإلهي الوحيد الذي يلتف حوله ملايين من المؤمنين به خطاباً إلهياً للإنسان الخاتم. قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٢ - ٣] وقلنا أن "السنة" تلي القرآن في الدرجة من حيث تمثيلها آخر مراتب العلم المطلق (بما تتضمنه من الوحي)، وأول مراتب العلم النسبي (بما تحويه من اجتهاد بشري معزز بالوحي)، وهي في ذلك تابعة للقرآن لا تتقدمه ولا تستقل عنه، وهذا لا يمنع أن للسنة نوعين من المعارف، بعضها يتسم بالإطلاقية كونه وحياً، والآخر بالنسبية لكونه صادراً عن النبي ﷺ بصفته البشرية المحضه مما يمنح السنة موقعاً وسطاً بين العلم الإلهي المطلق الذي تمثل موضع الطريق الأوحى للوصول إليه، والعلم الإنساني النسبي الذي تسعى باتجاه إعادة تشكيله وفق معطيات العلم الإلهي.

يستدعي النظر في تاريخ الدعوة النبوية استشعاراً واستحضاراً لمقام النبوة وموقعه في سلم الوجود، وهو أمر متعلق بالرؤية الكلية والنظرة الوجودية لدى المؤمن والداعية، أكثر من تعلقه بالجوانب المعرفية والمواقف العلمية، فالمعرفة بدعوة الرسل تتأسس على الإيمان برسالتهم، وهو أمر سابق للنظر العقلي وموجه له، لقد سبق في حكمته تعالى أن يكون الأنبياء هم الدعاة الأوائل في تاريخ البشرية، وأن يتم انتشار هذا الدين بالدعوة إليه، وتبليغه للناس عبر صفوة من البشر هم الرسل

والأنبياء، فكانت المهمة التي انتدب إليها الأنبياء والمرسلون هي إبلاغ الدعوة، وهداية الناس إلى رب العالمين. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥ - ٤٦]، وحدد له دستور الدعوة ومنهجها وأسلوبها بقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].^(١)

وإذا كان الياباني (توشيهيكو ايزوتسو) قد أشار إلى ما في القرآن من دلالة على التواصل بين الله والإنسان، فهذه الحقيقة التواصلية أكثر جلاء عندما نلتمسها في موقع النبي ﷺ وسننه القولية والفعلية والتقريبية، وذلك هو مبتدأ تأثير السنة في تكوين الرؤية التواصلية للإنسان المسلم، ومنطلق الدور المنوط بالنبي ﷺ، والأثر المنتظر لرسالته كما قرر القرآن في بضع مواضع، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

وذلك توسيع لما تم تقريره في الفصل الماضي، أما ما يعنينا في هذا الفصل؛ فهو الجانب التواصلية في دعوة النبي ﷺ ليس إهمالاً لما عدها من الجوانب، وإنما تأكيداً لأهميتها بإزاء جوانب كلية مهمة تتعلق بالأبعاد التشريعية والمسائل الفقهية المتعلقة، بالدعوة ونحن إذ نغفلها هنا نقدر أن كتباً أكثر اختصاصاً قد أوفت تلك الجوانب بالبحث والدراسة، وسنسير هنا على نحو قريب مما فعلنا مع الأصل الأول مبتدئين بتعزيز جوانب الرؤية التواصلية المميزة للعقل المسلم وعلاقتها بأصول الإسلام التي أولها: القرآن، وثانيها: السنة النبوية مما يلزم^(٢) هذه المقدمة التأسيسية لتلك الرؤية المتوخاة الوقوف بدارس الاتصال الدعوي على الأدوات اللازمة للتعاطي مع الهدي النبوي في مجال الدعوة والاتصال.

(١) نوفل، أحمد. مفهوم الدعوة الفردية، موقع إسلام أونلاين، منشور بتاريخ ١٠/١٠/٢٠٠٣ م.

(٢) رشتي، الأسس العلمية لنظريات الاتصال، مرجع سابق، ص ٣٠.

ولا بد -والحال ما ذكرنا- من استعراض الأبعاد الوجودية المتعلقة برسالة النبي ﷺ باعتبارها ظاهرة عميقة الجذر في التجربة الإنسانية أولاً، وذلك بالدعوة لاستكمال الموقف الإيماني التقليدي بوقفه تفكّر على مقام النبوة باعتباره مقاماً وجودياً له مقتضياته المؤثرة على الدعوة مضموناً وممارسة.

ثانياً: تكيف العلاقة بين الوحيين وبيان موقع السنة من الكتاب، وهي^(١) مسألة تتنازعها الآراء منذ القدم، فمن رافض للاعتماد عليها والاحتجاج، مكتفياً بالكتاب، كالدكتور محمد توفيق صدقي، إلى القائلين فيما نشره في مجلة المنار تحت عنوان "الإسلام هو القرآن وحده" بتأخر رتبة السنة عن الكتاب في الاعتبار، كالإمام الشاطبي في الموافقات، وبعض المتأخرين كالشيخ عبد العزيز الخولي في كتابه مفتاح السنة (ص ٦، ١٠، ١١) إلى من قال بجعل السنة قاضية على الكتاب وناسخة لأحكامه، كقول الأوزاعي رَحِمَهُ اللهُ: "إن القرآن أحوج إلى السنة، من السنة إلى الكتاب" كما روي عن مكحول. وقد وقع كثير من المعاصرين في إشكال في التعامل مع السنة في بعدها الوجودي، ودلالاتها المعرفية، وتأثيرها في بناء الرؤية الوجودية للإنسان المسلم.

ولا شك في أن السنة النبوية بجانب حاكميتها التشريعية ومكانتها الوجودية هي مصدر ثري للمعرفة الإعلامية من حيث إسهامها في بناء القيم الموجهة للإعلامي والقائم بالاتصال المسلم، ومهيئة له لتولي مهامه الدعوية والتوجيهية بمسؤولية تامة، وأخلاقية عالية، وتظل الحاجة إلى المثال والنموذج عاملاً حاسماً في هذا الأمر، وقد كان انتقال قيم الدعوة من النبي ﷺ إلى بقية أجيال المسلمين يتم باستقائها بالمعايشة والمتابعة والاقتداء والتقليد له ﷺ من معاصريه من الصحابة، وتوخي أثره عبر علوم السنة ومرويات الأحاديث ممن جاءوا بعدهم، وجاءت المعارف المستحدثة لتؤكد أن ذلك أوقع وأنفع في فهم القيم والمعاني وتمثلها من أساليب التلقي التقليدي، أو

(١) سعيد، عبد الجبار. "منهجية التعامل مع السنة النبوية"، مجلة إسلامية المعرفة، السنة (٦)، العدد (١٨)، خريف ١٩٩٩م، ص ٥٤.

لتدريبي المقتن، وبالنظر إلى الموجهات القرآنية للدعوة مثل قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١٠]. ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَظِيمِ﴾ [الكهف: ٢٨] مقروناً بواقع الأحداث الجسام التي واجهت النبي ﷺ في قيادته لمسيرة الدعوة نجد تكافؤاً واضحاً وأن النبي ﷺ كان يتلقى من القرآن جرعات قوية ومتوالية في التدريب والتوجيه الدعوي، تتناسب وحجم المهام التبليغية الملقاة على عاتقه، وهو ما يتجانس مع النتائج المذهلة التي حققها الرسول ﷺ في مجال التأثير الدعوي، وإذا كان من نقص هنا فهو التراث المعرفي والإنتاج البحثي الموثق والدراس والمحلل للدعوة النبوية بأدوات تقود إلى استدامة هذا المد من التوجيه والتدريب، ومن ثم استدامة فاعلية الجهد الدعوي بعد وفاته ﷺ.

ثانياً: أهمية دراسات السنة والاتصال

لئن كان الغالب في خطاب المعاصرين ممن راقبوا مسار الدعوة الإسلامية من المسلمين وغيرهم هو ميلهم للنقد؛ فإن غالب من كتب وراجع مسيرة الدعوة الإسلامية وقفوا باحترام وتقدير أمام دعوة النبي ﷺ، وما أحدثته من أثر في حياة متلقيها خاصة والإنسانية عامة، يستثنى من ذلك طائفة من المستشرقين، الذين كانت لهم دوافعهم في اتخاذ مواقف ابتدائية من السنة.

وقد كان للتحويلات التي حدثت في بنية المؤسسة العلمية الإسلامية جرّاء تأثر مجتمعات المسلمين بظهور الإعلام والاتصال، كعلوم تمس الحاجة إليها، هي التي ساعدت في تسليط أضواء كاشفة على هذه الناحية من سيرته ﷺ.

وللطبيعة الثقافية لدراسات الإعلام والاتصال، فقد كانت إسلامية الإعلام حاضرة في أجندة المؤسسات الأكاديمية وأقسام الإعلام الرائدة في الجامعات العربية والإسلامية، كذلك كان رواد المدرسة الأكاديمية الإعلامية العربية على موقف إيجابي منذ تأسيس أول قسم لدراسات الصحافة والإعلام بجامعة القاهرة، وتطور الشعور بالمسؤولية تجاه الأبعاد الإعلامية للإسلام عندما أقدمت جامعات إسلامية مثل:

جامعة الأزهر في السبعينيات، وجامعة الإمام محمد بن سعود والجامعة الإسلامية العالمية في باكستان، في ثمانينيات القرن الماضي على افتتاح أقسام للدراسات الإعلامية.

وقد سعى عدد من الباحثين إلى التعامل مع السنة وفق رؤية منهجية هادفة إلى تجاوز الدلالات الوصفية التي تحصر السنة في وظيفتها التشريعية المتعلقة بالأحكام متجهين إلى النظر في الأبعاد المعرفية للسنة النبوية، ومن ذلك السعي إلى استخلاص الهدى النبوي المفضي إلى تأصيل الممارسة الإعلامية، ورد الأداء الإعلامي إلى الأصول الإسلامية، وإعادة قراءة السيرة بحيث تصبح مورداً للأسس الفكرية والمسلّمات المنهجية والمصطلحات الإعلامية التي أثبتتها علماء الإعلام في العصر الحديث، لأن السيرة هي الأسبق تاريخاً، والأعمق دلالة وتتبع الجوانب الإعلامية والتواصلية في حياته ﷺ، والوقوف على الخطط والمسارات الإعلامية التي اتخذها لتحقيق عالمية الرسالة في زمن قياسي مقارنة بالتواريخ السابقة لظهور الإسلام، وبيان الدور الذي قام به الرسول وصحبه الكرام في هذا الجانب والقيم التي حكمت حركتهم، والوسائل والأساليب التي تحقق لهم بها هذا الكم من الفتوحات في مجالات الدعوة والاتصال.^(١)

صحيح أن القرآن لم يدخل في تعقيدات التحولات التي أحدثها الأنبياء في محيطهم، واكتفى بالإشارة إلى مواضع الاعتبار، إلا أن الاستقصاء المطلوب من الباحث والعالم يدعوه إلى النظر في تفاصيل تلك التحولات، والتوسع في المعرفة بتاريخ تلك الدعوات، وقد يتطلب ذلك معرفة بالتاريخ الحضاري والسياسي، لتعرف على سبيل المثال على العناصر التاريخية التي صعدت بداوود من سلك الجنديّة إلى سدة الحكم، والسمات التاريخية المميزة للحقبة التي عاشها إبراهيم في تاريخ العراق، ومعرفة بالجغرافيا لتتبع مسيرة نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يقود بني إسرائيل في صحراء التيه.

(١) صالح، ناهد حمزه محمد. القيم الإعلامية في حياة الرسول: دراسة وصفية تحليلية للعهد النبوي. الخرطوم: دار السداد للطباعة، ٢٠٠٥م، ص ٦.

ومعرفة بعلم النفس لتفسير حالة اليأس التي اجتازها يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ وقادته إلى القرار الذي يعرض القرآن حيثياته ومتربته.

إن ظاهرة الدعوة بديناميتها وانطلاقها وإنسانيتها تفتح أفقاً لتجربة معرفية بالغة التشويق والإثارة، وعميقة الأثر والإفادة، في ظل واقع إنساني يفترق إلى المثال، ويعاني من العدمية والانعزال والتشوّه.

ويعدّ منهج الأنبياء في الدعوة حاكماً على ما جاء بعده من المناهج وسيرتهم حجة على من تلاهم من الدعاة وهادية لهم في التجارب والوسائل؛ ليصبح مبحث دعوات الرسل مدخلاً يلزم دارس الاتصال الدعوي أن يستوعبه ويحسن التعامل معه، وهو أمر انتبه إليه باحثوا الاتصال المسلمون ممن رقدوا المكتبة العلمية بالعشرات من البحوث الاتصالية التي اتخذت من دعوات الأنبياء موضوعاً لها، أو لبعض فصولها، وحوى هنا الباب كتابات مميزة أوحى لدارسي الاتصال بإجراء دراساتهم في الاتصال كما أظهرته تجارب ودعوات الأنبياء، وهو ما لا يتسع المجال لرصده وعرضه باستقصاء تام، دون أن نستغني عن الإحالة والاقتباس من ذلك المعين؛ إذ إن دراسة الظاهرة الاتصالية والتعامل معها يتطلب معرفة واسعة بجملته من العلوم والمعارف، لقد حاول مالك بن نبي في كتابه "الظاهرة القرآنية" أن يفعل شيئاً من ذلك بتحليل البنية النفسية للنبي (أرميا)، وحاولت دراسات أخرى النظر إلى النبوة من منظور الثقافي وتحليل علاقة النبي ﷺ بسياقه الحضاري والثقافي، وتعامل آخرون مع النبوة كظاهرة تاريخية، ويندرج ضمن هذا الاتجاه كتاب مالك بن نبي الظاهرة القرآنية.

إن القيمة المنهجية والثقافية والإنسانية المترتبة على إعادة قراءة ظاهرة النبوة وتاريخ الأنبياء كتجارب إنسانية متسامية يقف حافزاً آخر على أهمية إعادة بناء ذلك العلم، والتفكير المتبصر في مآلات تلك الظاهرة الوجودية، ظاهرة النبوة. بالمقابل فإن الإخفاقات البينة لدراسات عجزت عن الخروج عن النسق الشكلي لبحوث الدراسات الإسلامية وافترضت أن الدعوة ومنها دعوة الأنبياء لا خصوصية لها

تحميها من الخطأ، حتى في استخدام المنهجيات العلمية التقليدية، مما أسفر عن نتائج مثيرة أحياناً، فهذا دارس يبدأ بحثه عن دعوة سيدنا عيسى بالتعريف بنسب عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو معذور في ذلك؛ إذ أدّى تتابع النمط البحثي أمام ناظره أن يطبقه على كل الظواهر ما تناسب منها مع ذلك النمط أو لم يتناسب.^(١)

إن إغفال البعد التواصل في الخبرة النبوية في مجالات الدعوة والإقناع يفقدنا تجربة من أثمرت تجارب الاتصال التي عرفتها البشرية، وأكثرها إثارة للجدل والتساؤل العلمي في مختلف العصور التالية لعهد المبعث النبوي. وخلاصة الأمر: أن النشاط الاتصالي المصاحب للتجربة النبوية يأتي خطوة مكمل للخطوة السابقة، ومأسسة عليها، فالقرآن وما سبقه من الكتب لم يصل إلى الناس من الله مباشرة، ولكن عبر وسيط بشري، قام بعدد من الأدوار، وتحلّى بجملة من القيم، وتمتع بمهارات في التلقي والمعالجة والإرسال، أهّلته لتحمل الرسالة والقيام بأعبائها، وقدمته نموذجاً بشرياً ذا قدرات فائقة، ومثال تتجلى فيه المضامين القرآنية، وقد أدّى النبي محمد ﷺ تلك الأدوار وعبر على أكمل الوجوه بأنه على ظروف زمانية ومكانية غاية في التعقيد، مبلّغاً للرسالة وناصحاً للأمة حتى تركها على المحجة البيضاء.

١ - النبوة باعتبارها نموذجاً معيارياً في الدعوة إلى الله:

لا شك في أن الأنبياء والرسل هم المثل العليا للدعاة، حيث تبرز ظاهرة النبي الداعية في سياقها الشامل، ففي سورة الأنبياء مثال نطبق عليه هذا الافتراض، يكفينا دليلاً على وحدة الدعوة النبوية من نوح إلى محمد صلى الله عليه وسلم. يقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فما الذي حدث مع من ذكروا في سورة الأنبياء - وهم: موسى، وهارون، وإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ولوط، ونوح، وإسماعيل، وأيوب، وإدريس، وذا

(١) العيد، سليمان بن قاسم. دعوة عيسى عَلَيْهِ السَّلَام. الرياض: جامعة الملك سعود/ كلية التربية/ قسم الثقافة الإسلامية، ١٤٢١هـ.

الكفل، وذا النون، وزكريا، ويحيى، وسليمان، وداود عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أجمعين - وما علاقة ذلك بالاتصال الدعوي؟ سنلاحظ أن الستة عشر نبياً المذكورين في هذه السورة ذُكروا مقرونين بالقيمة المعنوية التي ارتبط بها كل منهم، فوصف إبراهيم بالرشد وإسحاق ويعقوب بالصلاح، ونوح بالدعاء ووصف لوط مفرداً بأنه من الصالحين، ووصف مع داود وسليمان بالحكم والعلم، وأيوب بالصبر، كذلك جاء وصف إسماعيل وإدريس وذا الكفل بأنهم من الصّابرين، وأنهم من الصّالحين، فالقيمة المعنوية أمر لازم لذات الداعية، ولعل في جملة القيم المذكورة من رشد وصلاح ودعاء وحكم وعلم وصبر دليل إرشادي لما ينبغي أن يتحلّى به الداعية من الصفات، أما صنوف الابتلاءات التي مرّ بها ذلك الجمع من الأنبياء، من ابتلاء بالنعمة والسلطة، والابتلاء بمكر الأعداء وكيدهم بالحرق والاغتيال والتهجير والاستضعاف، أو الابتلاء من الله بالكروب كالمرض أو التقام الحوت. وغير ذلك من عظيم البلايا؛ فسيأتي ذكر أوجه النصر والفتح التي نصر الله بها أنبياءه وأعلى كلمته.

وتختتم السورة ذلك العرض للمحنة التوحيد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ١٢ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ١٣ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيدٍ وَإِنَّا لَهُو كَاشِبُونَ ١٤ وَحَرَامٌ عَلَى قَرْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ١٥﴾ [الأنبياء: ٩٢-٩٥].

وكان النبي ﷺ تجسيداً حياً لكل تلك القيم والمعاني الموجبة، وكان مثلاً للصبر على ألوان من الأذى والإهانات والمصابرة على أشكال الابتلاءات بالخير والشر، دون أن يشغله ذلك عن مهمته الأساسية ورسالته المقدسة وهي القيام بواجب البلاغ والدعوة إلى الله، على نحو لا نظير له في حياة البشر، فبعد أن كان الأنبياء يبعثون لقومهم خاصة، بُعث النبي ﷺ إلى الناس عامة، وجاء الأنبياء يعززون ويؤكدون صدقية من سبقوهم من الرسل والأنبياء، وجاء النبي ﷺ كما ذكر والساعة كهاتين، متلازمين لا تفصل بينه وبينها نبوة أخرى.

ومن الصفات اللازمة للأنبياء الرشد والعلم والحكمة، وهي صفات لازمة لصاحبها، أما الرشد؛ فصفة لتصرفات النبي ﷺ وحركته في الحياة وعلاقته بدعوته وقومه ومحيطه الكوني، وقد بدأت سورة الأنبياء حديثها بعد ذكر موسى وهارون بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥١]. وإذا كان الرشد فيها هو شائع يعني حسن التصرف على أساس من العقل فلعله كما تعرضه التجربة الإبراهيمية الموفقة بين أحكام العقل وتوجهات الروح وأفعال الإنسان، والرشد ضروري في التعامل مع خيارات الدعوة في الوسائل والأساليب، واتخاذ القرارات فيها يتعلق بمصير الدعوة والتخطيط لها.

والصلة "بمقام النبوة"، باعتبارها علاقة حيّة ديناميكية، يرسم أمام ناظرينا خريطة معرفية جديدة تضع "السيرة النبوية" مرجعاً في قراءة الفكر والفعل في "عصر السعادة"، وبؤرة الإحاطة بفقہ التنزيل، وتجعلها ثالث مصدر في التشريع.^(١)

إن تجديد "منهج فقہ السيرة" وتفعيلها في العقول والقلوب، يكمن في "ما قبل" قراءة السيرة و"ما بعدها"، فالصلة بسيدنا محمد ﷺ والصلاة والسلام ما لم تتحول من علاقة تاريخية ميّنة إلى صلة حيّة ديناميكية؛ فإن "السيرة النبوية" ستغدو ركائماً من الحوادث والأحداث، وسيستحيل هؤلاء الصحابة الكرام، في عقل المسلم وقلبه اليوم، أطلاقاً بشرية باهتة باردة لا تتجاوز كونها كومة من المعلومات التي يتم تداولها.

٢- إنسانية الداعية وربانية الدعوة:

هما معنيان متلازمان، فاصطفاء الله للإنسان لا يخرج به من طبيعته قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤]، وإن توهم الاتباع خلاف ذلك قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة: ١١٦] ويلاحظ أن كثيراً ممن كتبوا عن الدعوة كان تركيزهم على ربانية المصدر أكثر من تركيزهم البعد

(1) Ramadan, Tariq. *Mon Intime Conviction*. Paris: Archipoche Editions, 2011, p. 19.

الثاني وهو إنسانية الداعية، وليس أدل على ربانية المصدر في دعوة النبي ﷺ من ذلك النوع من المفارقات المتعلقة بالجانب التواصل، فهو الأمي الذي جاء ليعلم قومه الكتاب والحكمة، وهو المحلي "سكنى ولغة" الذي جاء رحمة للعالمين، وهو اليتيم الضعيف الذي بعثه الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، فخاطب الجابرة من الملوك والرؤساء وأرعب القياصرة، واستولى على ملك الأكاسرة. والدعوة في ذلك خلاف العبادة، حيث يفضي الإكثار من العبادة إلى جعل الإنسان ربانياً في فكره وحركته، أما الدعوة؛ فأمرها كله لله، وحتى النبي ﷺ الذي اصطفاه الله لهذه المهمة يظل في حالة تذكير دائم من الله أن ليس له من هذا الأمر شيء. وحيثما توهّم بعضهم أن النبي ﷺ تنازل لصالح جماعات أو أفراد لاستمالتهم للدين، أو أنه أغلظ على أفراد أو قبائل، لعداوتهم لله ورسوله، لا يترك القرآن الأمر معلّقاً بل يسارع بتقديم البيان الذي لا يترك مكاناً للريبة في أن النبي ﷺ لم ولن يتدخل بصفته البشرية في التأثير على مسار رسالة الله تقصيراً أو تحجييراً، والشواهد على ذلك كثيرة، منها على سبيل المثال: موقفه من عبد الله ابن أم مكتوم، حيث ورد أن رسول الله ﷺ تصدّى لرجل من قريش يدعوه إلى الإسلام فأقبل عبد الله ابن أم مكتوم الأعمى فجعل يسأل رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ يُعْرِضُ عَنْهُ، وَيَعِيسُ فِي وَجْهِهِ، وَيُقْبِلُ عَلَى الْآخِرِ، وَكَلَّمَا سَأَلَهُ عَبَسَ فِي وَجْهِهِ وَأَعْرَضَ عَنْهُ فَعَاتَبَ اللَّهُ رَسُولَهُ فَقَالَ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَظُنُّ ۚ أَوْ يَدْكُرُ فِتْنَعَهُ الذَّكْوَى ۚ﴾ ١ ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ۚ فَإِنَّ لَهُ تَصَدَّى ۚ وَمَا عَلَيْكَ أَلَا يَرْبُّكَ ۚ﴾ ٢ ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۚ وَهُوَ يَخْشَى ۚ﴾ ٣ ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۚ﴾ [عبس: ١ - ١٠]، فلما نزلت هذه الآية دعاه رسول الله ﷺ، فأكرمه.

ومنها: عتابه له في دعائه في قنوت الصبح على أحياء من العرب، وفيه ما رواه أبو هريرة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يدعو على أحد -أو يدعو لأحد- قنت بعد الركوع -وربما قال: إذا قال: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد-: "اللهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، والمستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف -يجهر بذلك، وكان

يقول في بعض صلاته: اللهم العن فلاناً وفلاناً- لأحياء من أحياء العرب، حتى أنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

ولا شك في أن إبلاغ صوت السماء للأرض وظيفه أقدس من أن تقيدها أهواء الأفراد بالخروج على سنن الفطرة وحقائق التوحيد، ويبدو أن التوافق والتزامن بين حركة الإنسان والكون كان قوياً بحيث تستجيب ظواهر الطبيعة لدواعي تثبيت مسار الدعوات الأولى، فما أن دعا نوح ربه أني مغلوب فانتصر حتى تفتحت أبواب السماء بهاء منهمر، وتفجرت الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر، فالتقاء فعل الله وفعل الإنسان دليل على توافق آخر بين المشيئة الإلهية والإرادة الإنسانية ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوُجْهِ وَدُسِّرَ﴾ [القمر: ١٣] تلك الآلة التي صنعها النبي الإنسان بعين الله ووحيه فكانت سبيل نجاته ومن في الأرض جميعاً، إن هذه الرمزية الموحية للحدث النبوي كفيلة بأن تفجر معاني الدعوة في نفوس المؤمنين، إنها الحقيقة التي تعكسها صور كثيفة احتشد بها القرآن الكريم في وصفه لمسيرة الدعاة الأوائل، فيها هو هود يعلن اتفاقه مع مسيرة الأنبياء السابقين، قال تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَتِي رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٨]. وتتجلى معالم طريق الأنبياء في صور موحية وباعثة للمعاني على نحو ما وثقه القائل:

روحي تحوم في آفاق رؤياه عشقت موكب رسل الله فانطلقت
ولا هناء لقلبي دون مغناه لا راحة دون تخليق بساحتهم

على أنه يعلن عن توافقه مع مسيرة الوجود وإيقاع الأزل، وأنه ليس مجرد منتم إلى فئة معزولة من الدعاة، فالأنبياء وحدهم من يمنحون الدعوات هذه بالإطلاقية والكونية والخلود، كما أن هذا التناغم مع الوجود هو سر في كل دعوات الرسل.

٣- المهمة الدعوية للنبي ﷺ:

لم يعد ثمة خلاف في كون الدعوة ظاهرة اتصالية تشغل مساحة واسعة من عمل أنظمة الاتصال في مجتمعات المسلمين، ولأن الدعوة مفهوم إسلامي وقرآني فقد خضعت ممارستها للتوجيه النبوي، واستكملت بنيتها بما صدر عن النبي ﷺ من

أقوال وأفعال وتقريرات، وانتقلت ممارستها من النبي ﷺ لأصحابه بالملاحظة والدربة والمران، وإذا كان الفضاء الاتصالي فيما قبل البعثة النبوية كما بين أحد رواد التأصيل في هذا الجانب، وهو عبد اللطيف حمزة في كتابه "الإعلام في صدر الإسلام" مشغولاً بالصيغ الفطرية والبدائية للتواصل، وانحصرت أنماط وأساليب الاتصال في أشكال إعلامية منحصرة في الشعر والخطابة وفعاليات إعلامية بسيطة، كالندوات والأسواق وأساليب تقليدية من الاتصال وتبليغ الرسائل الرمزية عبر المسافات بالمناداة وإشعال النيران؛ فإن الإسلام قد جاء واستحدث الكثير من الأساليب الجديدة في ميدان الإعلام والاتصال بالناس، منذ بدأ النبي ﷺ بعرض رسالته لقومه.

ولعل مما هياً النبي ﷺ للقيام بمهمته الدعوية ما توفر له من الاستعداد الروحي والالتزام الأخلاقي والمعرفة التواصلية إلى جانب التعزيز بالوحي طبعاً والتأييد الرباني.

- الاستعداد الروحي والنفسي الناتج عن الإقبال على الذات إصلاحاً وبناءً، ولا يمكن عزل مرحلة غار حراء من سياق جهود الدعوة النبوية كونه كان ﷺ خالياً بنفسه، فقد كان لمرحلة التحنث والتأمل أثرها البالغ في شخصيته ومستقبل دعوته؛ فقد كان في ذلك تهيئة وتجهيز وتمثل لنمط الشخصية التي سيدعو الناس بها لتجسيدها الإنسان المرتبط بالله والمتصل بالسماء في كل شأنه. وقد جاء القرآن معزراً لذلك التوجيه من النبي ﷺ فجاءت "اقرأ والمدرش والمزمل" معززة لهذا التوجيه في بناء الذات "ان هذا الوعي المبكر بالاتصال الذاتي وأهميته في تحمل مسؤوليات الدعوة يكاد يمثل إعجازاً في مجاله."

- الإخلاص للرسالة والالتزام التام بمقتضياتها القيمية والأخلاقية، فلم يرد أبداً أنه خفر ذمة، أو خان عهداً، أو حنث في يمين، أو خالف قومه لأمر نهاهم عنه، كان أول الملتزمين بمقتضى ومضمون ما بيثه من رسائل.

- التعارف المتبادل بينه وبين المدعويين، وأثر ذلك في تهيئة جمهور المدعويين لتلقي الرسالة، وهذا عنصر مميز للدعوة النبوية عن كثير من أساليب الاتصال

الأخرى، فلم يرد عنه أبداً أنه استخدم أساليب القهر والإكراه والتحكم والدعاية التضليل ليسوق الناس إلى دعوته، وقد تيسّر له ذلك أكثر من مرة في مواجهة الأفراد أو الجماعات، لقد حالف النبي ﷺ وعاهد قبائل وجماعات من ملل وديانات مختلفة، ولم يرد أبداً أنه وظّف أحلافه تلك التي تتضمن جوانب عسكرية ومالية للتأثير عليهم لدخول دينه، أو لإجبارهم لاعتناق ملته، أو استغلال حاجتهم لاتخاذ مواقف عقدية لصالحه.

ثالثاً: معالم الرؤية التواصلية في السنة المطهرة

يرى الباحث الجزائري طه كوزي أن ليس للإنسان من خيار في تجاوز حالة الدور هذه إلا "مقام النبوة" مخرجاً؛ طالما أقر الإنسان بنفسه حالة "القصور" في العقل البشري، وتمثل رحلة "الإسراء والمعراج" شريحة زمنية معبرة عن الوظيفة النبوية في "جهاد التناغم" بين انفتاحات السماء تارة والجاذبيات الأرضية تارة أخرى؛ فالسيرة النبوية ليست إلا انعكاساً للفكرة الإسلامية، والمبدأ، والميعار، على صفحات الزمن، فهي نقطة التماس النبوية بين "سداة الفكرة"، و"لحمة الجهد" واستفراغ الوسع.^(١)

الحديث عن "مقام النبوة" وموقعه في الرؤية الكونية يستدعي معالجة القابلية الذهنية والقلبية للإنسان، وتصلّيح بوصلته الكونية؛ لأن الإنسان إن فقد خاصية الإحساس الكوني ولم يترشّح للقرب من خالقه تعبّداً وتزلفاً، ولم يعرض ذاته الحضارية على "مقام النبوة" جندياً مطوّعاً، ولم يكن ضمن الخلق متزاحماً متراحماً، ولم

(١) تمت معالجة السيرة النبوية بوصفها مصدر إلهام في الأدبيات الإسلامية عموماً، وقد طوّر عدد من العلماء التفاعل معها، بوصفها فقهاً مستقلاً بذاته، من أمثال المشايخ: محمد الغزالي، ومحمد سعيد رمضان البوطي، ويوسف القرضاوي، لكنّ الحاجة ماسة اليوم إلى اعتبار السياق في توليد الحكم الشرعي: فقهاً كان أم طبيباً، أم استراتيجياً، وقد يمثل عدّ السيرة النبوية مصدراً ثالثاً من مصادر التشريع بعد القرآن الكريم والسنة الصحيحة خطوة معرفية (إبستمولوجية) في إنضاج فقه الواقع والتنزيل. وقد حاول طارق رمضان الضغط على وتر اعتبار السياق في الحكم الشرعي بين علماء النص وعلماء الواقع، لكن فكرة اعتبار السيرة النبوية مصدراً من مصادر التشريع لم يُفصح عنها بوضوح. انظر:

يتناغم مع الكون تسخيراً واستثماراً؛ فإن هذه المطارحات المعرفية ستذهب هدرًا؛ لأن المعالجة الفكرية بحثاً عن الحق إن لم تصحبها مرافقة إيمانية تربوية ضمن الخلق؛ فإن ما نحلله ونعيد تركيبه لن يعدّو أن يكون لهوًّا بالأصداف على شطآن المعرفة والإيمان.

ويرى بعض الباحثين أن الذهول الذي أصاب العقل المسلم عن استحضار القيمة المعرفية لمقام النبوة قد أضر برؤيته الكلية وموقفه الحضاري وعليه؛ فإن معالجة موضوع الدعوة هنا يبتدئ أولاً بموقف الإنسان الكوني، وموقعه من نبوة الزمان، ممثلة في شخص النبي محمد ﷺ؛ فالقابلية الذهنية لذواتنا التي تعرّضت لشرخ فكري كوني أفقدها الإحساس بـ"مقام النبوة"، ومما ينبغي مراجعته في استعداداتنا الذهنية أن القارئ للسيرة النبوية ليس إنساناً مستقيلاً من الأعباء الحضارية، معفى من الالتزامات الفكرية؛ فهو حين يستذكر مشاهد العصر النبوي لا يفعل ذلك ليرفع شيئاً من معنوياته، ويشحن همته، ثم يعود، بعد ذلك، إلى سالف عاداته وتعوده. إن مبتدأ السير في ركاب الأنبياء والاستهداء بسيرهم ومسيرهم عالة على الوعي بمقام النبوة وكيف يكشف من ذات نفسه مساحة مضمرة في قلوب المتحيزين للرؤى المادية وعقولهم، ويفصح عن ما أضمره من تأليه ورفع لهؤلاء المفكرين إلى مقام "فوق بشري"، وهذا يؤكد أن "مقام النبوة" موقع كوني جيّلي في عقل كل إنسان وجنانه، إن لم يترعّ على عرشه الأنبياء المصطفون من رب العالمين، رُفع إليه قصداً أو عفواً بشر غير مرسلين ولا مختارين.

مفاهيم الاتصال في السنة:

بذل النبي ﷺ في سبيل توصيل رسالة الإسلام غاية البذل ومنتهى الجهد، وقد قسم حمزة تلك الجهود إلى قسمين؛ أولها: جهد النبي ﷺ في مجال الاتصال، ويسمى تعييناً بـ"الدعوة"، والجهود التي بذلها الخلفاء الراشدون من بعده في هذا الميدان يمكن أن نطلق على أكثرها اسم "الإعلام" ذلك أن الرسول ﷺ كان قد أدّى الأمانة وبلغ الرسالة وفرغ من عرض الدين الجديد على الناس أما الخلفاء الراشدون من بعده؛ فكان عليهم واجب آخر لا يصح في رأي حمزة أن نسميه "دعوة"، ولكن نطلق عليه

اسماً آخر هو "الإعلام" في سبيل نشر الدعوة.^(١)

لقد اهتم النبي ﷺ في وقت باكر بالسياق الذي تتم بالدعوة والعوامل الحاكمة له والمتغيرات المؤثرة فيه مما أبان عن اتساع معرفته ﷺ بواقع العمل الدعوي على المستوى المحلي والدولي واتساع أفق النظر المستوعب للأمداء التي تستهدفها الرسالة الدعوية، وهو ما نتج عنه جملة من التدابير تمثلت في استهداف دوائر معينة بالدعوة على المستوى المحلي والخارجي، وكان القرآن مواكباً لهذه المسيرة بالتقويم والتوجيه، وأسفر كذلك عن موجهاً ثريّة رفدت الوعي الدعوي بجملة من المفاهيم والقواعد ذات الاتصال بهذا الحقل، وأسهم في ذلك ما تأتى للنبي ﷺ من التفوق في الملكات اللغوية والبيانية والقدرة على صياغة الرسالة ذات المعاني الجليلة بالعبارات القليلة، وانتقاء المفاهيم والمفردات الحاوية لقدر هائل من الدلالات.

وتظهر الآثار النبوية من أحاديث ووثائق أن الجهد النبوي قد أثرى الخطاب الدعوي بتفعيل طائفة من المفاهيم الدعوية القرآنية -كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والبشارة والإنذار- وأضاف إلى تلك المفاهيم طائفة أخرى تشرح المحتوى الدعوي والاتصالي للقرآن، وتقربه إلى مألوف ومعهود المؤمنين، وتعتبر مرسلاته للملوك ورؤساء وكل مخاطباته للوفود نظاماً للمفهوم النبوي للدعوة والاتصال، حيث نجد مفاهيم كالدعاية، والإجابة، والموالة، والمؤاخاة، والمقال، والأداء، والبلاغ، والمبلغ، والسامع.

رابعاً: تنظيم حركة الاتصال الدعوي في عهد النبي ﷺ

وضعت السنة النبوية المبادئ الأساسية التي قام عليها نظام الاتصال الإسلامي بوضع أسس ومحفزات التواصل بين فئات المجتمع المسلم وتنظيم علاقاته التواصلية مع المجتمعات والأمم والثقافات الأخرى.

(١) حمزة، عبد اللطيف. الإعلام في صدر الإسلام، القاهرة: دار الفكر العربي، ط ٢، ١٩٧٨ م، ص ٦٢.

وقد بدأ النبي ﷺ عملية تنظيم حركة الاتصال الدعوي بمكة، أي قبل أن يشرع "الجهاد"، فمن مكة أرسل النبي ﷺ وفود الهجرة الأولى إلى الحبشة، وفي مكة بدأت جولات التفاوض الأولى مع الأوس والخزرج والتي كانت مقدمة لهجرة المسلمين إلى المدينة، وبقيت حركة الاتصال الدعوى في العهد النبوي تدار بتوجيه النبي ﷺ وتسديد الوحي، ومن حيث أساليب وأنماط الاتصال يمكن القول أن هذه الفترة قد شهدت عملية إعادة صياغة وتوجيه جملة من الأنواع الإعلامية والأشكال التواصلية السائدة في ذلك العصر -الخطابة، الشعر، البريد والمراسلات، والسفارة- حتى تتخذ موقعها في منظومة الاتصال الدعوى، وبقيت المراهنة على الاتصال المباشر سمة مائزة لهذا النظام، حيث حكمت العلاقة بين القيادة والقاعدة الاجتماعية، وكانت الغاية الأساسية لعملية الصياغة والتوجيه هي زيادة فعالية حركة تبليغ رسالة الإسلام والدعوة إلى الله، وتسريع السعي إلى إيصال نور العلم والهداية إلى المجتمعات والأفراد، وفي هذه الحقبة وضع النبي ﷺ الاستراتيجية الدعوية للأمة الإسلامية، وحدد بدقة مسارات الدعوة وأهدافها وأساليبها، ووضع الخطط للمواقف المحتملة للفتن المختلفة من المدعويين، ورَتَّبَ بدقة أولويات حركة الاتصال الدعوي.

لقد قدَّم النبي ﷺ النموذج الأول وبين بالأداء العملي كيف يمكن للمسلمين أن يحققوا نجاحات لم تشهدها البشرية إذ أخذوا رسالتهم مأخذ الجد، وعندما نزل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩]. لقد أكد التاريخ وشواهد الواقع أن الدعوة الإسلامية وحركتها هي ظاهرة فريدة وحالة غير مسبوقه في تاريخ البشرية.

وقد مثلت التجربة النبوية واحدة من أنجح وأغرب التجارب الاتصالية في التاريخ الإنساني، وهو أمر كما صدَّقته شواهد تاريخية شهد به جملة من العلماء والمفكرين من المسلمين وغير المسلمين. فما هي الاستراتيجيات التي استخدمها ﷺ لتحقيق تلك التفاعلية التواصلية الفائقة بموازين العلم ومنطق الخبرة الإنسانية، وقد أشارت جُلُّ

الكتابات السابقة إلى أن من أهم الأدوار التي أسس لها النبي ﷺ هي رهانه على: صدقية الرسالة، وعلو الغاية والمقصد، وإيمان وتجرد الدعاة.

وكان نتاج ذلك الانتشار المذهل للون الرامز للإسلام على خريطة أديان العالم في مدى زمني محدود، وإمكانات حضارية ومادية شبه منعدمة، وهو ما يمثل في حد ذاته ظاهرة حضارية نادرة إلى جانب كونه إنجازاً غير مسبوق في تاريخ البشرية.

١ - خصائص التخطيط النبوي للاتصال الدعوي:

فكيف لنا أن نستجلي ملامح الخطة الدعوية التي أحدثت ذلك التحول الكبير في الجزيرة العربية أولاً، وفي العالم من بعد ذلك؟

لا بد من التكامل في النظر بين الوحي القرآني والأثر النبوي والمعرفة التاريخية لاستكشاف معالم وأهداف تلك الخطة، والعوامل والأطر الزمانية والمكانية التي أسهمت في صناعة الظاهرة الإسلامية بالصورة التي تبرز بها في واقع اليوم. والخروج من ذلك بحصيلة من النتائج قادرة على تحديد أهم خصائص التخطيط للدعوة والاتصال في العهد النبوي المتمثلة في وضوح الرؤية وتبين السبيل، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨].

والتسديد والمقاربة والقصد في العمل، والثقة في الله وتفويض الأمر له مع الجدية في مواجهة المخاطر والتحديات، ونحاول فيما يلي النظر في سياسات وأساليب الاتصال في العهد النبوي وأهم العوامل المؤثرة فيها.

أ- وضوح الرؤية وتبين السبيل:

إن من أهم خصائص هذه الخطة هو وضوح الرؤية الاستراتيجية المتمثلة في "إخراج الناس من الظلمات إلى النور" والمعبر عنها بجملة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وهي رؤية بجانب

وضوحها واقعية تتناسب وخبرة النبي ﷺ ومعرفته ببيئة ومجتمع الدعوة، وهي كذلك رؤية ذات مصداقية عالية عبر عنها النبي ﷺ في أول إعلان له لدعوته في خطبة الصفا، فقد روى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: "لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] صعد النبي ﷺ الصفا، فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي -لبطون قريش- حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. قال أبو لهب: تباً لك سائر هذا اليوم، أهذا جمعتنا؟ [المسند: ١ - ٢].

وهي رؤية موحية في صياغتها ومُلهمه في دلالتها، فالظلمات هنا تجسد كل ما يستهدف الإنسان الخروج منه من جهل وكفر والنور يعبر عن كل ما يتمنى الإنسان أن يعيش فيه من علم وإيمان، وكلمة الخروج توحى بالفعل والحركة باتجاه إيجابي.

والرسالة هي دعوة الناس إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وقد عبر النبي ﷺ عن مضمون كل من الرؤية والرسالة الدعوية بتعليم مباشر له ولأصحابه من أمين الوحي جبريل عَلَيْهِ السَّلَام في حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم؛ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتي إلى ركبتي، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: "يا محمد أخبرني عن الإسلام" فقال له: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، قال: "صدقت"، فجعبتنا له يسأله ويُصدِّقه، قال: "أخبرني عن الإيمان" قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: "صدقت"، قال: "فأخبرني عن الإحسان"، قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: "فأخبرني عن الساعة"، قال: ما المسؤول بأعلم من السائل، قال: "فأخبرني عن أماراتها"، قال: أن تلد

الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء، يتطاولون في البنيان، ثم انطلق فلبث ملياً، ثم قال: يا عمر، أتدري من السائل؟ قلت: "الله ورسوله أعلم"، قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم" رواه مسلم. شارحاً مقتضى تنزيل كلمة التوحيد إلى واقع عبر ثلاثة مستويات؛ الإسلام والإيمان والإحسان، مبتدأً بالجوانب العملية للإسلام بأركانه الخمسة العملية والمرنة في ذات الوقت، فالشهادة لا تكلف سوى النطق باللسان وإقام الصلاة بالكيفية المعلومة في الوقت المعلوم بالشروط المعلومة والتي تتكيف جلّها حسب الظرف والمتاح، كذلك إتياء الزكاة عند بلوغ النصاب، والصوم في غير السفر والمرض، والحج لمن استطاع إليه سبيلاً، وهكذا يتحقق شرط الواقعية والمرونة والملاءمة مع البيئة والظروف في كل المأمورات على نحو ما يبين حديث أبي هريرة عنه ﷺ قال: "دعوني ما تركتكم، إنما هلك من كان قبلكم سؤا لهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم."^(١)

ب- التسديد والمقاربة والمتابعة والتقويم:

لم يترك النبي ﷺ الأمر على ذلك، ولكنه ظل يتابع باستمرار لتفعيل تلك الرؤية والتأكد من قيام كل طرف بما يليه من التزام تجاه الدولة، فكانت الشورى هي أول مبادئ العمل الدعوي؛ إذ لم يكتفِ النبي ﷺ بموقعه في مركز المنظومة الدعوية بل ظل يوجه رسائله لجملة من الفاعلين ليقوموا بدورهم تجاه المسؤولية الدعوية، فالدعوة هي مسؤولية الأمة والمجتمع بقدر كونها مسؤولية للنبي ﷺ. قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] وقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

(١) ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي. فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ، ج ١٣، ص ٢٦٠.

وعن حذيفة عن النبي ﷺ قال: "والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم".^(١)

ت - الجديدة في مواجهة المخاطر والتحديات:

تبرز ملامح الفعل الدعوي أن الدعوة والهجرة والجهاد هي المقامات الثلاث التي انتظمت حياة النبي ﷺ منذ مبعثه، فهو الداعية الأول منذ أن جاءه الوحي أمراً له بإنذار قومه، فظل في دعوتهم ثلاثة عشر عاماً لا يفتّر ولا ييأس، ضارباً المثل في التفاني في إبلاغ دعوته وإنفاذ رسالته إلى قومه، حتى وقفوا له على كل باب، وأرصدوا له كل مرصد وتآمروا عليه مع كل من ظنوا أنه يضمّر له الشر، وهو ما وثقه القرآن في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

ولئن كانت صراعات الدعوة الجديدة قد بدأت أولاً داخل النبي ﷺ نفسه كما وثّق القرآن لصراع الذات والتواصلات الداخلية في سور المدثر والمزمل وما جاء حولها من مرويات أكدت أن نزول الوحي على النبي ﷺ قد سبب له ﷺ ازعاجاً كبيراً، وأنه استغرق وقتاً ليس بالقصير حتى يتلاءم مع تلك الظاهرة التي كانت مجهولة له بادئ الأمر، ولما اقتنع النبي ﷺ آخر الأمر، بعد قلق ونزاع نفسي طويل، بأنه مكلف بحمل رسالة دينية من قبل الله، وجّه أول جهوده إلى إقناع قومه بصدق الدين الجديد.

إلا أن العقبات الكأداء والتحديات الجسام كانت في العداء السافر له ولاتباعه من المؤمنين بصفاتهم الفردية، والتربص بهم كجماعة مؤمنة، منذ فجر الدعوة إلى وفاة النبي ﷺ، وقد خاض ﷺ من المعارك الداخلية والخارجية، ما جعل مصير الدعوة يتأرجح على نحو وثقة القرآن في وصفه لمعركة الأحزاب. قال تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ

(١) الترمذي، جامع الترمذي، مرجع سابق، كتاب: الفتن، باب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ج ٤، ص ٤٦٨، حديث رقم (٢١٦٩)، وقال عقبه: حديث حسن.

الْظُّنُونُ﴾ [الأحزاب: ١٠] فحاض ﷺ في سبيل الدعوة ثماني عشرة غزوة، وبعث من السرايا في حياته ﷺ أربعاً وعشرين سرية، وكان القرآن ينزل أثناء تلك الوقائع العظيمة في تاريخ الإسلام من "بدر"، و"أحد"، و"الخنديق"، و"خير"، و"الحديبية"، و"الفتح"، و"حنين"، و"تبوك"، ففي بدر نزل من سورة "الأنفال"، وفي أحد نزل من سورة "آل عمران"، بعض من قصة الخندق، وقصة بني قريظة يظهر في سورة "الأحزاب"، نزلت سورة "الحشر" في غزوة بني النضير، ونزلت سورة "الفتح" في قصة الحديبية وخيبر، وفي فتح مكة نزلت سورة "النصر"، وجاء ذكر "تبوك" في سورة "براءة" ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٨]، وقد قاتل ﷺ في كل تلك الغزوات بنفسه وجرح في "أحد" فقط وكان له الفتح في غزوتين "بدر"، و"حنين".

وقد كان من نتائج تلك السرايا والغزوات في أول الإسلام أنها أدت إلى تغيير كثير من المفاهيم، حيث هابت العرب الإسلام، وقل عدائهم له خوفاً قوته، وابتعدوا عن كثير من العدوان، وانهزمت غايتهم أمام حقائقه فقل عصيانهم له، وحين نعلم أن السرايا والغزوات بدأت بعد الهجرة بسبعة أشهر، واستغرقت عشرة أشهر تقريباً قبل بدر يظهر لنا -ولكل عاقل- مدى تلك الشجاعة التي اتصف بها المسلمون، ومدى ذلك الاستعداد الذي تحقق في نفوسهم، ومدى ذلك البذل وتلك التضحية، والطاعة لرسول الله ﷺ.

ولما نصر الله تعالى الإسلام في "بدر" تُوج ذلك بدخول عدد كبير من أولئك المتسائلين أو المتحيرين في دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

لقد كانت المخاطر المحدقة بالإسلام كفيلة بإزهاق قوته وإفناء جماعته، وتبديد شمله، إلا أن الملازمة بين المجاهدة بالكلمة والدعوة والنصيحة من ناحية، والصبر والمصابرة على رد العدوان ببسالة وشجاعة وإقدام من ناحية أخرى ظلت هي القاعدة المطردة في مسيرة هذا الدين، شأنه في ذلك شأن ما سبقه من دعوات الرسل:

ومع بقاء دعوة الحق الإلهي، أمام زيف الدعايات المناوئة لها واستدامة الوعد الإلهي. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، مع ذلك تبقى الدعوة رسالة يقوم بها صفوة المؤمنين على نهج من سبقهم من الصبر والمصابرة على وعد أثير وعهد وثيق شمله حديث النبي ﷺ: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي وعد الله."^(١)

٢- سياسات وأساليب الاتصال في العهد النبوي:

تباينت رؤى واتجاهات منظري الإعلام الإسلامي المعاصرون بشأن ما يمكن اعتباره وسائل إعلام العهد النبوي، وتنقلت أوسط الأقوال بين القرآن والحديث الشريف الذين اعترض بعضهم على اعتبارهما وسائل لكون القرآن هو المصدر الأول للمعرفة الإسلامية، كذلك السنة ولا يسعنا هنا إلا الاتفاق مع هذا الطرح الذي يفرق بين المصادر والوسائل، أما الشعر والخطابة والمناظرة والحوار والقصص؛ فهي أساليب للاتصال الدعوي، كذلك فإن الوفود والسفراء والمبعوثون يمكن اعتبارهم تمثلات للقائم بالاتصال بالوكالة والتفويض ويحملون رسائل النبي ﷺ إلى متلقين جدد لمضمون رسالة الإسلام، أما القول بأن الاتصال في صيغته الشخصي والجمعي وسائل؛ فلا سبيل لقبوله لكونها صيغ ومستويات للتواصل، حتى المسجد الذي يتم اختزال رسالته باحتسابه وسيلة هو في حقيقته مؤسسة اتصالية متكاملة ستقف في الفقرات القادمة على طبيعتها الدعوية ودورها التواصلية، وهناك من صنف كل تلك الأساليب باعتبارها وسائل للاتصال الثقافي، فما مدى موضوعية ذلك التصنيف؟

٣- سياسات الاتصال الثقافي في التجربة النبوية:

سنلاحظ أن ثمة فرقاً بين الجماعة المسلمة في مكة والتي كانت لا تملك من مؤسسات العمل المخصصة للدعوة للإسلام إلا دار الأرقم بن أبي الأرقم، بينما

(١) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن إسماعيل. صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، بيروت: دار ابن كثير، ط٣، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، كتاب: المناقب، باب: سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر، ج٦، ص٢٦٦، حديث رقم: (٦٨٨١).

يتعرض النبي ﷺ نفسه للأذى الشديد حينما يحاول الصلاة عند المسجد الحرام الذي ظل إلى صلح الحديبية تحت التحكم الكامل لقريش، والمجتمع المسلم الذي قام في المدينة، أنه بدأ فيه بتأسيس مسجد قباء وشرع من بعد ذلك في جملة من التدابير ترتب عليها قيام تنظيم مجتمع المدينة على أساس يجمع بين الإخاء الودي والتعهدات الملزمة والمصالح المرعية بين كل سكان المدينة، وأصدر صحيفة تنظم العلاقات بين سكان المدينة على اختلاف انتماءاتهم العرقية والدينية. وكان طبيعياً أن ينعكس ذلك على طبيعة الاتصالات القائمة داخل مجتمع المدينة وبينه وبين المجتمعات الأخرى، ومن ثم التطور في أنماط الاتصال الدعوي، على نحو يمكن أن نعدّه سياسات تنظم الاتصالات الاجتماعية والثقافية، ويمكن التماس معالم هذا المستوى من الاتصالات في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وتنظيم العلاقات السياسية بين سكان المدينة على اختلاف مللهم. وتنظيم علاقات الاتصال السياسي بين القيادة النبوية وملوك ورؤساء العالم، وتنظيم حركة العلاقات الخارجية عبر إرسال واستقبال الوفود من الداخل والخارج.

ولا شك في أن دارجي الاتصال في ظل ما يشغل المشهد الإسلامي من تأويلات متضاربة وتفسيرات متعارضة لكثير من المواقف الدعوية للنبي ﷺ خاصة ما ارتبط منها بجوانب سياسية وعسكرية، لا شك في أن هؤلاء الباحثين مطالبون قبل غيرهم في أن يعكفوا على تراث الحقبة النبوية في الدعوة بالنظر المتأن؛ ليستخلصوا ما هو من خصائص النبوة فيمنحوه ما يستحقه من التقدير في بناء وترسيخ الرؤية الإسلامية، وما يقع في دائرة سنن التاريخ وقوانينه الظواهر، وما هو موضوع للاجتهد والقياس والنظر، ولا شك في أن الحصيلة المتوخاة من هكذا جهد هي مزيد من ترشيد المسيرة الدعوية لهذا الدين، واستكمال الرسالة الحضارية لأمة المسلمين التي استحفظت على رسالة السماء بعد ختم النبوة وتكامل الرسالة في رسالة النبي الخاتم عليه أفضل الصلاة والسلام.

فالأمة كما ذكر عبد الكريم زيدان شريكة لرسولها في وظيفة الدعوة إلى الله "لأن الأصل في خطاب الله لرسوله ﷺ دخول أمته فيه، إلا ما استثنى، وليس من هذا المستثنى أمر الله تبارك وتعالى بالدعوة إليه، ومعنى ذلك أن الله تعالى أكرم هذه الأمة

الإسلامية وشرَّفها أن أشركها مع رسوله الكريم ﷺ في وظيفة الدعوة إليه، وهذا التشريف والتكريم لا يستفاد فقط من الخطابات الإلهية لرسوله ﷺ بالدعوة إليه كما ذكرنا، وإنما هو صريح الآيات الكثيرة في القرآن، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فهذه الآية الكريمة أفادت معنيين؛ الأول: خيرية هذه الأمة، والثاني: أنها حازت هذه الخيرية لقيامها بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي وظيفة رسول الله ورسَل الله جميعاً عليهم الصلاة والسلام، وأول ما يدخل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الدعوة إلى الله وحده والبراءة من الشرك بأنواعه؛ بل إن القرآن الكريم جعل من صفات المؤمنين الدعوة إلى الله، بخلاف المنافقين الذين يصدون عن سبيل الله ويدعون إلى غيره، قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ...﴾ [التوبة: ٦٧]، ثم قال تعالى بعد ذلك: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]. قال القرطبي في تفسير هذه الآية الكريمة: "فجعل الله تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرقاً بين المؤمنين والمنافقين، فدل على أن أخص أوصاف المؤمنين؛ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورأسها الدعاء إلى الإسلام."^(١) وأضيف إلى ذلك أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، بهذه الآية، وصف الأمة الإسلامية بما وصف به رسوله ﷺ، قال تعالى عن رسوله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

(١) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت: مؤسسة الرسالة، (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، الجزء الثامن، تفسير الآية ٧١ من سورة التوبة، ج ٤، ص ٤٧.

الفصل الثالث:

ملامح الإطار النظري للاتصال الدعوي

كانت غاية التأسيس القرآني السابق، والاستهداء بالسيرة والسنة هي تخصيص التفكير الاتصالي الإسلامي بتهيئة القاعدة المعرفية الملائمة لنمو مقدرات اتصالية عربية إسلامية، وبناء قاعدة راکزة للتخطيط الاتصالي اللازم لمداخلة ومواجهة أهداف الهيمنة الثقافية والاقتصادية.

يجب أن نؤكد في مفتتح هذا الفصل أننا لا نحاول بناء نظرية اتصالية بقدر ما نسعى إلى معالجة واقع الاحتياج الفعلي إلى إطار نظري يتناسب وطبيعة الاتصال الدعوي باعتباره نمطاً اتصالياً له خصوصيته ودلالته على المجتمعات الإسلامية، ويناسب طبيعة العقل الإسلامي، وفيه بمتطلبات التجربة التواصلية الإسلامية، ويعزز خصوصياتها الدينية والحضارية والثقافية.

ولا حاجة لنا هنا بالحديث عن تعذر توفر مثل هذا الإطار في علوم قامت منذ تأسيسها على جذر من الالتزام الوضعي والاستلاب العلماني بإزاء ممارسة تواصلية متعلقة أساساً بمنظور للكون والحياة، يقوم على أساس من الوحي الكريم على نحو ما تم شرحه في الفصلين السابقين.

ومعلوم أن دراسة التفكير المنهجي حول قضايا الاتصال تمثل مدخلاً ضرورياً للتحقق برؤية نظرية واضحة وفاعلة، ويعمد هذا الفصل لتحليل التطورات التي مرت بها النظرية الاتصالية كحقل معرفي آخذ في التكوّن، وإطار نظري تبرز من خلاله جملة قضايا الاتصال على الأفق المعرفي، واقتراح التصور الهادف إلى وضع الأسس النظرية التي يمكن أن تؤطر للتفكير النظري في الاتصال الدعوي، وطبيعي ونحن نسير بهذا الاتجاه مسلمين بأن الدعوة هي العلم الاتصالي الأكثر أهمية بين علوم النسق الإسلامي، طبيعي أن يكون لنا احتفاء بتاريخ المعرفة الاتصالية مدخلاً لتتبع مراحل تشكل وتطور

ما يعرف اليوم بعلم الاتصال والإعلام، وأن يكون مبدأ التحليل المنهجي والمعرفي الذي تمثل النظريات العلمية مفرداته الأساسية هو الأداة لاستعراض تلك المراحل وتحليلها.

وتستدعي دراسة الدعوة باعتبارها ظاهرة اتصالية، وتخصصاً دراسياً قائماً بذاته اجتهادات نظيرية متوالية تسهم في شرح وتفسير ظواهر الاتصال الدعوي، سعياً باتجاه التحكم والتنبؤ كهدف كلي لهذا النوع من المعارف التخصصية.

ولعل من أهم ما يميز الأطر النظرية لعلم الاتصال أنها فتحت أفقها لمراجعات وانتقادات شاملة ساهمت في إبراز جوانب الضعف التي تعثر بها لتنعكس بدورها على النظم الاتصالية المتأسسة عليها.

ويمكن لبيان ذلك الوقوف على أهم المراحل في مسيرة هذا النقد؛ بدءاً بأطروحة نظريات الاتصال الأربع وما تعرضت له من انتقادات، وما عبر عنه تقرير اللجنة الدولية لمشكلات الاتصال المعروف بتقرير (شون ماكبرايد) والمواقف المنهجية والعملية المترتبة عليه، ونتائج عمل الملتقيات الدولية لمجتمع (المعلومات-الاتصال-المعرفة) والمنتبة بقمة تونس ٢٠٠٥م. ويمكن للجهود المشهودة للمدرسة النقدية التواصلية ومنهجيات التحليل الثقافي إذا ما تم استكمالها بالأعمال الأخيرة لـ (جيمس كوران) و(روبرت كريج) أن نتجه بذلك النقد وجهة عملية.

لقد برزت في الآونة الأخيرة في الأوساط الأكاديمية العاملة في مجال دراسات الإعلام والاتصال استدرابات قوية ساهمت في فتح آفاق جديدة ترتبت على تقدير خصوصية الظاهرة الإسلامية سواء على المستوى الدولي، أو على مستوى المجتمعات الغربية فظهر منظرون مثل: (توشيهيكو ايزوتسو) وكتابه "الله والإنسان في القرآن علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم" ومشروع الإسلام والإعلام الذي أسست له الرابطة الدولية لبحوث الإعلام والاتصالات،^(١) ويلحق بذلك جملة المساعي التي قام بها منظرون

(١) انظر صفحة: مجموعة عمل "الإسلام والإعلام" على الموقع الإلكتروني:

مسلمون استطاعوا أن يتبينوا حقيقة انعكاس الاختلاف في الرؤية والمنظور الكوني على بنية التصورات النظرية المفسرة للظاهرة الاتصالية، ومن هؤلاء: حامد مولانا، وعبد الرحمن عزي، ومحمود قلندر وغيرهم من باحثي الإعلام والاتصال المسلمين.

ونعتقد هنا أن تخطيط معالم الإطار النظري المنشود للاتصال الدعوي سيتضمن إبرازاً لتلك النقاط والعلامات التي قامت على جهود سبقتها، مستوعبة ومتمثلة لجملة المسلمات المنهجية التي وضعتها المساهمات العلمية للرواد ولكنها ذهبت بها إلى مستويات أعمق فلسفياً، وأكثر انضباطاً بالمعايير المنهجيات لدراسات الإعلام والاتصال، وفي ذات الوقت يُقدّر الكاتب أن العدول عن هذا المسار وشغل العقل التنظيري بالزخم الكمي الذي أتحّم المكتبة الإسلامية قبل استقرار المعارف الاتصالية في بيئات وجامعات العالم الإسلامي يمكن أن يربك ذلك المنظور ويشتت بوصلة اتجاهه، ولعل في ذلك مندوحة لما يمكن أن نلاحظه من غياب عناوين اشتهرت في ثقافة الإعلام الإسلامي، ولكنها بتقدير الكاتب لم تك مؤهلة للصمود أمام اختبارات التطور الهائل الذي طال الحركة العلمية في هذا المجال.

إن البحث عن جوهر نظري ونسق معياري لدراسات الإعلام والاتصال هو بحث عام يشغل حيزاً مقدراً من اهتمام باحثي الإعلام والاتصال في عالم اليوم، ويسعى له هذا الفصل من خلال وقوفه على خصائص النظرية الاتصالية وموضوعاتها، والنظريات الشبيهة بنظرية الدعوة، مثل: نظريات الدعاية، وبحوث الإقناع، وبحوث التأثيرات المعرفية لوسائل الاتصال، ومراجعة اتجاهات نقد النظرية الاتصالية، حاكماً ذلك بمبدأ الاستيعاب والتجاوز، ساعياً إلى الوصول إلى فتح أفق للتنظير الاتصالي، تالياً الاتصال الدعوي، يقوم على منهجية الاستيعاب وتمثلاً وداعياً بكل ذلك الإرث المعرفي والتجاوز اجتهاداً لإعادة بناء رؤية نظرية مستقلة، تتناسب وطبيعة الاتصال الدعوي وموضوعاته التي يدرسها والمنهجيات التي يستند إليها.

لذا تسعى موضوعات هذا الفصل إلى تمليك رجل الاتصال الدعوي أهم خصائص النظرية الاتصالية وموضوعاتها، كما تركّز على نظريات التأثيرات المعرفية

لعلاقتها ببناء وتغيير الاتجاهات التي تمثل مقاصد للاتصال الدعوي، واتجاهات نقد النظرية الاتصالية المعاصرة التي تعين في رسم خطوات المراجعة الإسلامية.

أولاً: خصائص النظرية الاتصالية وموضوعاتها

لقد تبلور النقد المشار إليه آنفاً في الاعتراف بوجود اختلالات منهجية تعيق حركة وتطور دراسات الاتصال، تتلخص في حقيقتين: عدم وجود جوهر نظري واحد تتمحور حوله الجهود التأصيلية لهذه العلوم، والاعتراف بحقيقة التمرکز حول الرؤية والمنظور الأنجلو-أمريكي لدراسات الإعلام والاتصال، مما يمنح أولوية لمعالجة تلك الاختلالات، عبر ما يسعى له هذا العنوان بمحاوره الأربعة: محور البحث عن جوهر نظري ونسق معياري، ومحور التعامل مع النزعة الغربية لدراسات الاتصال، ومحور رد المواقف المنهجية الراهنة إلى أصولها المعرفية، ومحور الاتفاق حول تصنيف معياري لموضوعات النظرية الاتصالية، وهو ما يشمل في طياته استعراضاً عاماً لخصائص النظرية الاتصالية وحصراً وتصنيفاً لموضوعاتها.

١- البحث عن جوهر نظري ونسق معياري:

يكاد يتكون ما يشبه الإجماع - بين رواد العلم الاتصالي على اختلاف أصولهم المعرفية - حول عدم توفر مجموعة من النظريات المترابطة ترابطاً دقيقاً حول الاتصال الجماهيري؛ "إذ لا يكاد يوجد - كما يقول عالم الاتصال الأمريكي (ملفن دفلور) - حتى الوقت الحاضر أمر نظري ثابت نسبياً يمكن أن نطلق عليه نظرية الاتصال الجماهيري أو نظرية الإعلام، ولكن هناك الكثير من التوقعات حول الطريقة التي يحدث بها الاتصال الجماهيري".^(١)

لقد اعتدنا في أقسام الإعلام والاتصال العمل والتعامل مع تلك الغابة الكثيفة من النظريات والنماذج الاتصالية المتعددة والمنتشرة أفقياً، والمتباينة في نظرتها

(١) فلير، ملفن دي. وروكاخ، ساندرا بول. نظريات الإعلام، ترجمة: محمد ناجي الجوهر، إربد: دار الأمل للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠١م، ص٦٤.

للمظاهرة الاتصالية حد التنافر أحياناً، ولعل هذا ما يفسّر ما نحسه من استغراب حيال القول بنظرية كلية للاتصال أو الحديث عن مبحث تخصصي عنوانه "النظرية الاتصالية" وهو ما ناقشه Robert T. Craig في مقاله الشيق Communication Theory as a Field داعياً إلى أهمية وجود حقل معرفي واحد، يجمع ويجانس بين الوحدات المكونة للنظرية الاتصالية.

٢- النزعة الغربية لدراسات الاتصال:

نلفت الانتباه هنا إلى انتقاد جوهري ووجهت به دراسات الاتصال في نسختها المعاصرة (ما بعد التسعينات) ويتعلق بالنزعة الغربية لتلك البحوث، ولعل المؤتمر الذي انعقد في معهد الدراسات تحت عنوان: "تفكيك النزعة الغربية لدراسات الإعلام"، يمثل ذروة الاهتمام بهذا الجانب، وصدرت أعماله في كتاب بعنوان: "تفكيك النزعة الغربية لدراسات الاتصال De westernization of Media Studies" حيث لخصت الأوراق في مجملها موقف لباحثي اتصال من مختلف بلاد العالم.

كيف تُغيّر العولمة كل من المجتمع ووسائل الإعلام؟ لقد قام الكتاب بجمع نقد وسائل الاتصال من مختلف أنحاء العالم، وقاده نحو الأسئلة الجوهرية في دراسة وسائل الاتصال، منعتقاً من ضيق المنظور الأنجلو-أمريكي المهيمن على دراسات الاتصال، وذهب المساهمون في هذا العمل إلى استكشاف العلاقات بين السلطة ووسائل الإعلام والمجتمع في مجموعة متنوعة من السياقات الإقليمية والوطنية وآثار العولمة، وهم يواجهون أيضاً القيود المفروضة على النظريات التقليدية على وسائل الإعلام والعولمة في فهم هذه العلاقات، وفي سياق تقديمه للكتاب وصف جيمس كوران مادة الكتاب بأنها جزء من ردود الأفعال المتعاطمة تجاه الاستغراق الذاتي وضيق الأفق لمعظم النظريات الغربية في مجال الإعلام وفتح الباب للاستماع إلى وجهات نظر من مختلف بلاد العالم حول دراسة ظاهرة الاتصال الإنساني.

وسنحاول فيما يأتي تقديم ما نعتقده مكونات هامة في بنية المنهج التدريسي لنظرية الاتصال في مستواها الأعلى من التجريد، مقدرين حقيقة أهمية وجود تباينات في

المحتوى المعرفي بين المستويات التدريسية المختلفة للمنهج، فمن المعلوم أن الاتصال أصبح يدرس على ثلاثة مستويات، هي: المستوى العام/ الثقافي والذي يكون عن طريق مناهج "التدريب وتنمية القدرات" وعلى مستوى أنظمة التعليم العام "المدارس الثانوية في بعض البلدان" وعلى مستوى التعليم العالي، ويجب هنا أن نفرق بين مناهج التدريس لمرحلة البكالوريوس ومرحلة الدراسات العليا، مؤكداً أننا نتحدث هنا عن مناهج الدراسات العليا، مستهدفين دارساً له معرفة أولية بنظريات الاتصال التي كان قد عرفها في مستويات سابقة، ونعتقد أن هذا النوع من الدارسين يحتاج إلى تعزيز معرفته بالأصول العلمية لنظريات الاتصال والتمييز بين المواقف المنهجية التي تصدر عنها أياً من تلك النظريات، والإلمام بمراحل تطور النظرية الاتصالية والقدرة على تعريف الموضوعات، وأن يكون لديه قدر من الوعي بتأثيرات وسائل الاتصال ومستوى من التعامل مع اتجاهات نقد النظرية الاتصالية وملماً ولو بصورة أولية باتجاهات تناول الإسلامي للاتصال.

٣- رد المواقف المنهجية الراهنة إلى أصولها المعرفية:

هي مقدمة جيدة لتجاوز الأحكام الأيدولوجية، أو المقولات والانتقادات الجدلية في نقد ومحاورة التراث الأدبي والفكري القائم، ولعل عنصر المغالطة فيما نقول به أننا بذلك نتخذ موقفاً منهجياً خاصاً بنا، إلا أنه يجد تسويغه ويكتسب وجاهته في سياق التقاليد العلمية والأعراف الأكاديمية. وللتمثيل على ما يمكن أن يفتح ذلك المدخل من آفاق لإثراء ساحة التنظير الاتصالي نستطرد في بيان بعض متضمنات أهم تلك المواقف.

وهناك محاولات عدة للتأريخ للفكر الاتصالي المعاصر منها تصنيف حامد مولانا، والذي قسم مراحل تطور النظرية الاتصالية منذ أربعة عقود زمنية ماضية إلى عصرنا الحالي، واعتبر أن المعيار المنهجي الحاكم على العقد الأول تمثل في بحوث تدفق المعلومات Information Flow، أما العقد الثاني؛ فقد اشتمل على مناهج علم النفس الاجتماعي، وانعكس ذلك على دراسات وسائل الإعلام، أما العقد الثالث؛ فاعتمد على المنهجية اللغوية، وتبين ذلك في البحوث القائمة على التحليل الرمزي، أما العقد الرابع؛

فاشتمل على مناهج متعددة الأبعاد وهي اقتصادية وسياسية وثقافية وتحليلية.^(١)

٤ - موضوعات النظرية الاتصالية:

إن من أهم ما يجب أن يُناقش في هذا الإطار هو موضوعات النظرية الاتصالية، فقد قدمت تصنيفات مختلفة للنظرية الاتصالية حسب موضوعاتها، ولعل آخر التصنيفات ما أشرنا له لدى (كريج) والمكون من سبعة حقول أو مداخل، واستدرك عليه (ماير) مضيفاً حقلاً ثامناً هو: "البراغماتية"، فالحقول السبعة للنظرية الاتصالية حسب (كريج) و(ماير)، هي:

- المدخل الخطابي: يرى أن الاتصال فن تطبيقي للخطاب.
- المدخل السيميائي: يرى أن الاتصال وساطة عبر العلامات.
- المدخل الظاهراتي: الاتصالات هي تجربة من الحوار مع الآخرين.
- المدخل المعرفي: الاتصال هو تدفق المعلومات.
- المداخل الاجتماعية والنفسية: الاتصال هو التفاعل بين الأفراد.
- المداخل الاجتماعية والثقافية: الاتصالات هي إنتاج وإعادة إنتاج النظام الاجتماعي.
- المدخل النقدي: الاتصال هو العملية التي يمكن عبرها دحض الافتراضات جميعها.
- المدخل البراغماتي.

(1) Mawlana, H. "Information Communication Research in the 21st. Century: from functionalism to postmodernism and beyond". (In) Hamelink, Cees. & Linne, Olga. (eds.) *The Myth of the Information Society*. New Jersey: Ablex Pub. Co., 1994.

نقلاً عن:

- عبد الباري، وائل إسماعيل حسن. "تكنولوجيا الاتصال والتغير الاجتماعي الأبعاد التنموية للمعلوماتية"، بحث مقدم لمؤتمر تقنيات الاتصال والتغير الاجتماعي، جامعة الملك سعود، قسم الإعلام، الرياض، ١٨-٢٠ / ٣ / ١٤٣٠ هـ.

ولا شك في أن متضمنات الظاهرة الاتصالية في البيئات العربية والإسلامية لا تكاد تشذ عن هذا التأطير، إلا أن التعامل الفعلي مع تلك المداخل والأطر النظرية يعكس صعوبة في التوفيق بينها وبين واقع الظاهرة الاتصالية في تلك البيئات، فهل يعطي ذلك مبرراً لأن نفرد حقلاً تصنيفياً تدرج في إطاره الجهود النظرية الإسلامية الرامية إلى صياغة رؤى نظرية مستقلة، متأسسة على الأصول المعرفية والتجربة التواصلية الخاصة بالمجتمعات الإسلامية؟ وأن تدرج محاولات النقد الموجهة من الأفق الذي تنتمي إليه لفكر ونظريات الاتصال المعاصرة، لنضيف إلى التصنيف السابق مدخلاً تاسعاً حول الرؤية الإسلامية للاتصال أو ما شابه؟

من الممكن التعامل مع تلك المداخل والنظر إليها باعتبارها عناوين لموضوعات الاتصال الدعوي، ومداخل لدراسة الدعوة بحسبانها ظاهرة اتصالية؛ إذ لا مشاحة في المنهج إذا ثبتت نجاعته وموضوعيته.

فيصبح بمقدورنا توليد محاور للبحث في الاتصال الدعوي تتوزع بين دراسات الخطاب، والتي تنظر في الجوانب التطبيقية للدعوة بحسبانها خطاباً، ودراسات التفاعل الرمزي وتعرض لاستخدام العلامات والرموز في سياق الاتصال الدعوي. والدراسات المهتمة بظواهر الاتصال والتواصل عبر الحوارات الجارية مع المدعويين على تنوع وتباين ثقافتهم. ودراسات تدفق المعلومات الدعوية، ودراسة علاقة التأثير والتأثر الاجتماعي والنفسي الناتجة عن النشاط الدعوي وانعكاسها على التفاعلات الجارية بين الأفراد، ويرتبط هذا النوع من الدراسة أيضاً بالبحوث الاجتماعية والثقافية التي ترى أن من غايات الاتصال إنتاج وإعادة إنتاج النظام الاجتماعي.

يعرض الواقع شيوع المدخل النقدي على معارفنا الدعوية التي اهتمت بدحض الافتراضات في سياق من الجدل والمناظرة مع الآخر، والنزعة النقدية المقصودة هنا هي تلك المتعلقة بنقد مداخل النظر والبحث الدعوي بقصد تطويرها وتفعيلها، ويستدعي ذلك إتمام عملية النقد المعياري بعملية أخرى، تقوم على التحليل الوظيفي والنظرة العملية للنشاط الدعوي.

ثانياً: نظريات التأثيرات المعرفية لوسائل الاتصال

يحتاج الدارس تعرّف الجدل المثار حول تأثير وسائل الاتصال، ومنذ بروز إشكالية التأثير المحتمل لوسائل الإعلام على الأفراد، شغل هذا الحقل المعرفي الباحثين لفترة طويلة، ولا يزال، ودارت مواقفهم إزاءه بين حدين متناقضين؛ فريق يرى أن لوسائل الإعلام تأثيراً قوياً ومباشراً وفورياً على الجماهير، في حين يرى الفريق الآخر أن تأثيرها محدود، مستندين في ذلك إلى القول بأن الجماهير ليست مجرد ذرات سلبية منفصلة، تتحرك حينها تأمرها وسائل الإعلام، وكان على أنصار كلا الفريقين أن يطوروا من النماذج والأطر النظرية ما يؤسس بها لوجهة نظره، فظهرت تبعاً لذلك نظريات عدة. منها: التأثيرات المعرفية لوسائل الاتصال: هناك بحوث أخرى بينت أن ثمة تأثيرات أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها، هي تلك التي تأتي على المستوى المعرفي، والوظيفة المعرفية للاتصال لا يمكن عزلها عن بعض الوظائف الأخرى مثل: وظيفة الإخبار، ووظيفتي الإعلام والتعلم، إلا أنها تمتاز بخصوصية تكمن في الهدف من هذه الوظيفة، والتي تعنى بتشكيل الآراء والاتجاهات لدى الجمهور، ومن ثم تدخل الدعاية والعلاقات العامة وتكوين الرأي العام ضمن هذه الوظيفة، وتعد العلاقة بين البناء المعرفي للفرد وبناء الاتجاهات والسلوك جوهر النظريات المعرفية، سواء تلك التي تبحث في التوازن أو التنافر المعرفي لدى الفرد في إطار عمليات الاتصال الذاتي وتقرير السلوك، أو عمليات التفاعل في الاتصال الإنساني.

في حين تبالغ المداخل السلوكية في تقديرها للمثيرات البيئية المحيطة "المثيرات الخارجية" يؤكد المداخل المعرفي وجود مؤثرات أخرى "داخلية" تتعلق بالبناء الإدراكي والنظام المعرفي للفرد، وتعتبر كل من نظرية المعرفة -أو منحني المعرفة- ونظرية التوازن المعرفي ونظرية فجوة المعرفة أهم النظريات التي اهتمت بالبعد المعرفي في عملية التعرض لوسائل الاتصال.

نموذج المعرفة والتغيير الاجتماعي وظهور الفجوة المعرفية بين فئات المجتمع، ويمثل اكتشاف الفجوة المعرفية الخطوة الأولى في تقييم دور وسائل الإعلام في النظم

الاجتماعية على المستويات المختلفة، وبذلك فإنه يمكن النظر إلى فرض أو نموذج "الفجوة المعرفية" أنه في حالة وجود تباين في القدرات الاتصالية بين مختلف الجماعات، مما ينتج عنه تباين منتظم في تحقيق الأهداف والقيم الخاصة بالجماعات، وقد قدّمت الدراسات في هذا المجال افتراضات عدة لاختبار وقياس فجوة المعرفة، كما ناقشت الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام في هذا المجال التعليمي، أو التعرض السابق لوسائل الإعلام.

ثالثاً: اتجاهات نقد النظرية الاتصالية

الموقف الذي نتخذه هنا، هو الجمع أو المقاربة بين اتجاهات نقد النظرية الاتصالية واتجاهات التناول الإسلامي للاتصال؛ لنقل المسافة بين التوجه النقدي والاتجاه البنائي لنختم بتحديد معالم الرؤية الإسلامية للاتصال.

تتفرّع المادة النقدية الأساسية للنظرية الاتصالية المعاصرة في جامعاتنا لجذرين أساسيين؛ الأول: ماركسي، والثاني: إسلامي، حيث وجّه التياران موجاتٍ متعاقبة من النقد والمراجعة والاستدراك، وقد كان نصيب النظرية النقدية التواصلية من اهتمام باحثي الاتصال المعاصرين أكبر بكثير مما حظيت به الانتقادات الإسلامية، والتي لم تفلح في توجيه نقد قوي ومؤثر لنظريات الاتصال الغربية، بحيث يلفت انتباه الأوساط العلمية، أو يؤثر على الوجود المتنفذ لتلك النظريات حتى على مستوى المؤسسة العلمية العربية الإسلامية نفسها، أو يسوّغ القبول المنطقي للبدايل النظرية التي تطرحها.

عُرِفَت المدرسة النظرية النقدية التواصلية برفضها الجانب المادي للمدرسة الإمبريقية التي عيب عليها تركيزها على الاتصال، وإهمالها للمحيط التاريخي والثقافي، وهو الأمر -حسب رأيهم- الذي يشوه حقيقة الاتصال،^(١) ولعل أهم رواد الاتجاه النقدي منظرّوا مدرسة فرانكفورت: (هوركهايمر)، و(أدورونو)، و(هيربرت ماركوزه)،

(١) بخوش، أحمد. الاتصال والعولة: دراسة سوسيوثقافية، القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م.

وتتميز بإعطائها الأولوية في تحليل المحيط الاجتماعي الذي تتم فيه العملية الاتصالية، بينما يعدّ (يورغن هابرماس) أكثر منظري "مدرسة فرانكفورت" عطاء فيما يتعلق بالنظرية الاتصالية في الفترة الأخيرة.

كما تمتاز المدرسة النقدية بتباين اتجاهاتها، حيث انقسم أتباع المدرسة النقدية في موقفهم من الاتصال إلى اتجاهات عدة، كل واحد منها اهتم بمؤشر واحد دون غيره من المؤشرات، ولكن مع التركيز دائماً على التغيرات والصراعات، ويمكن تقسيم تلك الاتجاهات بناء على ما سبق إلى: أصحاب المقاربة الاقتصادية السياسية بدراسة العامل الاقتصادي، ومن ثم تحليل بنية أو نسق الملكية لوسائل الاتصال، وكيفية عملها، كما جعلوا الضبط الاجتماعي مركزاً لاهتماماتهم وأصحاب المقاربة الشمولية، ويعطي هؤلاء الأولوية للعامل الأيديولوجي على حساب العامل الاقتصادي، فهم يهتمون بدراسة مظاهره المختلفة وآليات ديمومته. أما أصحاب المقاربة الثقافية؛ فيحاولون تفسير معنى الثقافة الشعبية من خلال مجموع التجربة الثقافية، مهتمين بتحليل الكل بدلاً من عزل مجال ثقافي بعينه. وأخيراً يتكلم أصحاب مقاربة الإمبريالية الثقافية عن عملية زرع المتوجات الاتصالية الغربية في البلدان النامية، معتبرين أن القيم الواردة إلى تلك البلدان هي القيم الرأسمالية التي تلوث الطبيعة المحلية وتستعمرها، عن طريق الوسائل المرسلّة.

وبالنسبة لموقف باحثي المجتمعات النامية -يشير (هيربرت شيلر)- إلى أن المشتغلين بالعلم في المناطق التابعة يرتبطون بوعي أو دون وعي بشبكة اهتمامات وأولويات البحث التي تحددها السوق العلمية الدولية، إلا أن ثمة أصوات في دول المجتمعات النامية استطاعت أن تعبّر عن اتجاهات مستقلة في تعاملها مع الاتصال، وفي كثير من مجتمعات العالم الثالث ودول الشمال في أمريكا اللاتينية هناك مساعي للتعبير عن الثقافات الوطنية والتأسيس لممارسة نظرية مستقلة فيما يتعلّق بمجال المعلومات وتقنيات الاتصال، ويمكن أن تكون التجربة الهندية إلى جانب تجربة النّمور الآسيوية أمثلة يمكن دراستها والاستفادة منها.

على المستوى الإسلامي يعتبر "تخصيب وتهيئة التربة الفكرية الملائمة لنمو مقدرات اتصالية عربية إسلامية واحداً من مقاصد البحث التأصيلي، وقاعدة راکزة للتخطيط الاستراتيجي الاتصالي الإسلامي والعربي، القادر على مدافعة أهداف الهيمنة الثقافية والاقتصادية ومواجهتها من أي مركزية قائمة أو محتملة، وهو مقصد يقوم في أساسه على دور الخبراء والعلماء في المجال الاتصالي قبل أن يقوم على القرار السياسي للحكومات والدول، وهو مقصد لا يستهدي بثقافة القطع والبر والمنع، بل بثقافة المنازلة الفكرية العلمية " والانطلاق من قاعدة معرفية راسخة البناء.

رابعاً: نحو نظام اتصال إسلامي

ترتبط النظم الإعلامية إلى حد كبير بنوع الفكر السياسي أو الفلسفة التي تنتهجها الدولة التي تعمل في ظلها، وهو ما عبرت عنه صياغة (شرام) و(بيترسون) و(سيبرت) لما أسموه أنظمة الصحافة الأربعة، وقد مثل ذلك التقسيم التاريخي البداية التي تطورت عنها المحاولات اللاحقة لتحليل النظم الإعلامية، وقد تميز ذلك التصنيف الرباعي بتقسيمه لأنظمة الاتصال بحسب مرجعياتها الأيدلوجية؛

جدول النظام الإعلامي والفلسفة السياسية

الرقم	النظام الإعلامي	الفلسفة السياسية
١	النظام الحر	الديموقراطي الليبرالية
٢	النظام الاشتراكي	الشيوعية
٣	النظام السلطوي	الأنظمة الشمولية
٤	نظام المسؤولية الاجتماعية	الديمقراطيات الاجتماعية
٥	نظام الوسيطية	الإسلامية

فجاءت فئات التصنيف بعناوين النظام الحر، والنظام الاشتراكي، والنظام السلطوي، ونظام المسؤولية الاجتماعية كما يبرز في الجدول المجاور، وعرضت بإزاء هذا التصنيف العديد من الاستدراكات منها ما تم داخل

الإطار الإسلامي، وطرح بعضهم بإزائها نظام وسطي يجمع بعض خصائص الأنظمة الرأسمالية والاشتراكية والاجتماعية والسلطوية.

من الناحية النظرية شغل مدخل تحليل النظم حيزاً مقدراً من اهتمامات دارسي علم الاتصال، ومن ناحية أخرى فقد تعرض ذلك المدخل لنقد عنيف إثر

الاستدراكات التي وجهت لأصحاب كتاب "نظريات الصحافة الأربع" على اعتبار أن ما قدّموه من تقسيمات يعبر عن نظم اتصالية وليس نظريات، والنظام المشار إليه في هذا الجدل هو عبارة عن بناء تصوري يختلف عن "النموذج والنظرية" بأنه ينظر لظاهرة الاتصال في إطارها الكلي، وتمثل نظم الاتصال الأطر التي تحدّد بموجبها علاقات وسائل الإعلام بالسلطة من جانب وعلاقتها بالمجتمع من جانب آخر.

من جانبه ينظر عالم الاتصال الأمريكي ملفن دفلور إلى وسائل الاتصال كأنظمة اجتماعية، ويربطها بالاتجاهات الثقافية والاجتماعية، ويرى دفلور أنه لو تم دراسة وسائل الإعلام كأنظمة اجتماعية تعمل في نطاق نظام خارجي معين، أي في نطاق مجموعة من الظروف الاجتماعية والثقافية التي تشكل المجتمع نفسه لأصبح في الإمكان تفسير كيف تعمل مواد معينة، أي مضمون له طبيعة معينة على تحقيق استقرار النظام ككل.^(١) ومن المفارقة أن عالم الاتصال الدولي الأجود عطاء في التنظير لنظم الاتصال بعد (لوهمان) هو حامد مولانا المجهول تقريباً في البيئات العربية الإسلامية لأسباب غير أكاديمية.

يرى مولانا أن النظام الاتصالي هو حاصل تداخل النظام الاجتماعي الثقافي بالنظام الاقتصادي السياسي، وغني عن القول هنا أن خصوصية الإسلام تتجلّى بوضوح في كل مكوّن من مكونات هذه النظم، وهو ما تؤكده معظم التحليلات الاستراتيجية المعاصرة، حيث تبرز الإسلام كقوة صاعدة على المستوى الدولي، وكخيار حضاري منافس للقوى الدولية السائدة، بما يقف عليه من منظومة حضارية متكاملة الأبعاد، وما يشمله من قوى بشرية ضخمة تتسم بالتنوع والثراء الثقافي، وما يقف عليه من نطاقات جغرافية شاسعة وغنية، وفي إطار ما سبق تصبح حقيقة وجود نظام اتصالي إسلامي كامنة في وجود الإسلام نفسه كقوة حضارية فاعلة في عالم اليوم، وعليه؛ فإن الحديث في السياق الإسلامي عن إيجاد وإخراج وبناء نظام اتصالي

(١) رشتي، الأسس العلمية لنظريات الاتصال، مرجع سابق، ص ٢٢٥.

إسلامي بافتراض غبية هذا النظام يحوي نوعاً من المبالغة في التشاؤم؛ وفي المقابل فإن التجاهل الذي أبدته تصنيفات نظم الإعلام الغربية للنظام الإسلامي لا يجد ما يبرره في إطار موضوعية العلم وحيادية المعرفة، كما يعبر عن محدودية المنظور التي تنطلق منه الرؤية التواصلية الغربية بإزاء الواقع العقلي للاتصال الإنساني.

والآن ودون الخوض في مدى موضوعية ومعيارية تلك التصنيفات، فإننا سنلاحظ أن واقعاً من الصراع الأيدلوجي الذي برر التصنيف السابق يكاد يكون ماثلاً فيما يشغل الساحة الدولية من صراع يرجعه الكثيرون إلى أبعاد حضارية وثقافية، "ويفسرونه في إطار اختلاف الرؤى والتصورات التي يحملها كل طرف من أطراف المنافسة الدولية عن الآخر، ويعتبر (صمويل هنتنجتون) من أشهر من وُظفوا هذا الافتراض في النظرية الشهيرة بـ"صراع الحضارات"، ولكن التحفظات تجاه مفاهيم الصراع والأيدلوجيا قد قادت أصحاب المقاربات لمفاهيم أكثر حيادية مثل "اختلاف رؤى العالم"، وحاصل القول أن الشعور بالانتماء الحضاري والهوية الثقافية يتعرّض لضغط من قوى العولمة التي تسعى إلى خلق نوع من الإجماع حول قيم عالمية كلية، تسعى لخلق نوع من التوافق العالمي حولها، تقديماً لإحلالها محل القيم الثقافية المحلية.

ولا شك في أن هذا الجدل والصراع يتمظهر على أوضح ما يكون من خلال الساحة الإعلامية. فمن الطبيعي إذن أن تمثل أنظمة الاتصال، وما يتدفق عبرها من رسائل إعلامية تعبيراً رسمياً عن ما تنتمي له من "رؤية للعالم"، ومن ثم يصبح موضوع عمل النظام الاتصالي اللبرالي هو إرساء قيم الديمقراطية والدفاع عن مصالح المنظومة الليبرالية والتعريف بمبادئها، ذات الشيء كان منطبقاً على النظم الاشتراكية التي عملت وسائل الاتصال فيها على إدارة الخطاب الدعائي المفعم بالقيم الاشتراكية، ولم يكن متصوراً حينها أن تتخذ الأجهزة الإعلامية الغربية موقفاً محايداً من قضايا الحرب الباردة، والصراعات الأيدلوجية بين الطرفين، كما أن مجرد فتح القنوات الإعلامية الأمريكية والبريطانية أمام وجهات النظر المحلية المؤيدة

للتدخلات السوفيتية في أفغانستان وهجمات الجيش الجمهوري الإيرلندي كان سيعد نوعاً من التناقض وعدم الاتساق في الخطاب اللبرالي.

كل ذلك يقودنا لإعادة السؤال عما إذا كان هناك نظام اتصال إسلامي، وما إذا كان هذا النظام معبراً عن قيم المجتمع الإسلامي ومعزراً لثقافته، ومدافعاً عن مصالحه، وإذا كان هذا النظام موجوداً فما هي الأنماط الاتصالية المميزة له، وما هي المفاهيم المركزية المعبرة عنه، وما هي المواقف التاريخية المؤكدة لفاعليته وحضوره.

ولنا هنا أن نقرر أن الإسلام كروية حضارية والتزام أممي يؤكد بأصوله على جملة من الحقائق المؤسسة للرؤية الاتصالية الإسلامية، منها:

- تأكيد الاختلاف والتباين كسمة وجودية للاجتماع الإنساني.

- تقرير حرية الاختيار العقدي والفكري كحق طبيعي للإنسان.

ويتأسس على ما سبق حقيقة التباين المذهبي والفكري والعقدي بين البشر، ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨].

- وسطية الأمة الإسلامية وخيريتها وشهودها الحضاري على الأمم كممثل لرسالة

التوحيد وحضارة الإسلام الذي يعتنقه ما يفوق ٢٣.٢٪ من سكان العالم.^(١)

وإذا تقررَت الخصوصية الحضارية للأمة الإسلامية كحقيقة تضافر على تأكيدها الشرع والعقل، يصبح موضوعاً القول بوجود نظام اتصالي يعمل في إطار المنظومة

(1) Pew Research center. *The Global Religious Landscape*. Washington: The Pew Forum on Religion & Public Life, 18 December 2012. see: (٢٠١٣م / ٠٣ / ١٨ تاريخ الاسترداد)

- <https://www.pewforum.org/2012/12/18/global-religious-landscape-exec>

الحضارية الإسلامية، تحاسب وسائل ومؤسسات الإعلام العاملة في المجتمعات الإسلامية، وتعامل على أنها تمثل النظام الإسلامي للاتصال بغض النظر عما تقدمه من مضامين وما تحتكم إليه من مرجعيات.

ملامح النظام الاتصالي الإسلامي:

إذا كان متاحاً الحديث عن نظام اتصالي معياري على مستوى التصور، فلا مجال واقعياً لوجود نظام إعلامي بلا خصوصية ثقافية تكسبه لونه وتمنحه هويته المميزة في ساحة عالمية تضج بخليط متعاضم من الأنظمة الاتصالية والمؤسسات الإعلامية، ويمكننا القول هنا أن النظام الاتصالي الإسلامي، هو ذلك النظام الذي نشأ في سياق الإسلام، ويصدر في عمله عن أصول الإسلام، ويلتزم بمبادئه ويعبر عن قيمه، وهو النظام الاتصالي الذي يعبر محتواه عن الوجود الاجتماعي والثقافي للإنسان المسلم في إطار علاقته بذاته ومجتمعه والآخر الإنساني، فيتميز بمخرجاته بما يميز مجتمعاته من سمات فكرية ثقافية، وينبغي للنظام أن يعبر بآلياته المختلفة عن حقيقة الممارسة الاتصالية الجارية في المجتمعات الإسلامية، ومع كثرة الدراسات المنجزة تحت عناوين "الإعلام الإسلامي" و"نظام الاتصال الإسلامي" و"الدعوة والإعلام"، إلا أنه من النادر وجود دراسات منهجية تعمل على تحليل الممارسة الاتصالية الجارية في المجتمع الإسلامي من مداخل تحليل النظم، ونعترف هنا أننا نؤسس النظر على مقارنة عامة ومقارنة أولية تقوم على الملاحظة العامة لما يميز الممارسة الاتصالية في المجتمع الإسلامي، عن ما هو سائد في الأنماط الاجتماعية المعاصرة بالتركيز على دراسة المؤسسات الدعوية كالرسالة الاتصالية للمسجد، وملاحظة الجانب التواصلي في العلاقات الاجتماعية بين فئات المجتمع المسلم، والمحتوى التواصلي للشعائر والعبادات الإسلامية، يقول تعالى في شأن المساجد: ﴿يَبْنَئُ عَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١] ويقول تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [النور: ٣٦].

ونستنتج مما سبق أن الاتصال في البيئات الإسلامية يتميز بالتركيز على أنماط الاتصال المباشر، والاهتمام بالبعد الإنساني في إجراءات التواصل الاجتماعي، وتعيين حد أدنى من التواصل الواجب والمتضمن في عدد من الشعائر الدينية (الجمع والجماعات).

وتقوم الشعائر بدور رئيس في تنمية وتنظيم السلوك التواصلية لدى الأفراد والجماعات، وتسهل حالة الانتظامية في التواصل بين الفئات الاجتماعية على أفقي الزمان والمكان من خلال الاتصال اليومي، وهو ينظم العلاقات في إطار الحي من خلال المسجد في الصلوات الخمس، تليه دائرة أوسع تشمل الجماعة المحلية التي يجمعها لقاء أسبوعي يوم الجمعة، وعلى نطاق أوسع تنظيم التواصل من خلال لقاء موسمي في الأعياد، أما شعيرة الحج؛ فهي تأكيد لأهمية الاتصال المباشر في نطاق الانتماء الكلي للأمة الإسلامية من ناحية، وللأسرة الإنسانية من ناحية أخرى، وتأكيد قرب المسافة، ومباشرة العلاقة بين بني آدم.

البَابُ الثَّالِثُ

الجوانب العملية للاتصال الدعوي

مقدمة:

إن الدعوة باعتبارها ظاهرة اجتماعية وسلوك إنساني موضوع ذو وجوه متعددة، وأبعاد متداخلة، مما يحوج الدراسة الشاملة لها إلى نوعٍ من التكامل بين العلوم المتخصصة في كل بعد من هذه الأبعاد.

وهو ما يجعل "الفعل الدعوي" المعاصر فعل مركب ومعقد، سواء من جهة الفاعلين، أو من جهة أغراض الفعل ومقاصده، على خلاف ذلك ما كان عليه في الماضي، حيث كان الخطاب أقوى مظاهر الفعل الدعوي، مما يفرض على الباحثين العناية بتحليل هذا الفعل، وبيان أنماطه وعناصره، والعوامل الضابطة له والحاكمة عليه.

ويأتي هذا الباب معرّفاً بـ "الفعل الدعوي" مفهومه وخصائصه، وما يتعلق به من المقاصد والوظائف، وما يلحق بها من مبادئ وقواعد تحكم الجوانب العملية في الاتصال الدعوي.

والفعل الدعوي فعل اتصالي اجتماعي، اتصالي من حيث إن أركانه هي ذاتها العناصر الأساسية للعملية الاتصالية، واجتماعي؛ لأنه خاضع في وجوده وتفاعله لشرط وقوانين وضوابط الفعل الاجتماعي جميعها.

ويكمن عنصر الفاعلية في الاتصال في جملة من المبادئ والقواعد والقيم، التي لا تنفصل عن معطيات الواقع ولا تهمل البعد الروحي والنواحي الإيمانية في الممارسة الدعوية، كما تتحقق الفاعلية بمقدار التزام أركان عملية التواصل بالمحددات المعيارية للفعل الدعوي، ونعني بأركان العملية الدعوية كل من القائم بالاتصال الدعوي فرداً كان أو هيئة، وجمهور المدعويين والمتلقين للدعوة، ورسالة وخطاب دعوي متعدد الصيغ، ووسيلة التواصل الدعوي؛ إذ لا قوام للعمل الدعوي دون توفرها.

و"الفعل الدعوي على مستوى الواقع هو سلوك أو موقف أو قول، أو بنية عمليات متعددة ومختلفة، يقصد من ورائها الإصلاح، وإشاعة قيم الدين والاستقامة الأخلاقية في

واقع المسلمين، سواء بالدلالة على الخير والمعروف، أو بالنهي والتحذير من المنكر، وعواقبهما في الدنيا والآخرة، يصدر عن شخص أو أشخاص أو مؤسسة مدنية أو سياسية، فإذا كان ما يبادر به الشخص أو الأشخاص من أعمال دعوية بسيطة في أوله وآخره، شكلاً ومضموناً، ناهيك عن انتمائه إلى ثقافة دعوية تقليدية متمركزة حول الذات، فإن ما تبادر به المؤسسة في مجال الدعوة فعل مركب ومعقد، أو لنقل بلغة العصر: فعل مؤسساتي، تسهر على إخراجه منظومة متداخلة العناصر ومتكاملة الوظائف.^(١)

وعلى بحوث الاتصال تقع مسؤولية دراسة الأنشطة والممارسات التواصلية في المجتمع، وتقويم فاعليتها باستمرار، وفي مقدمتها الدعوة فهي النشاط الاتصالي الأهم في المجتمعات الإسلامية، وهي في بقية مجتمعات العالم لا تقل في ضخامة تأثيرها التاريخي وزخمها الواقعي عن ثورة الوسيلة في عصر الاتصال الجماهيري، تدلل على ذلك دراسات الإسلاموفوبيا الصاعدة في الغرب.

إن مما يمكن اتخاذه معياراً للتمييز بين العملية الاتصالات التقليدية والاتصال الدعوي من حيث الفاعلية والتأثير، المؤشرات البحثية والمنهجية التي اهتمت بها الأولى، وأهملت من الجانب الدعوي.

كما يرتبط النجاح في تقويم فاعلية وتأثير الاتصال الدعوي بالتوازن في التقييم بين (المقدمات والنتائج) مقدمات الفعل الدعوي المتمثلة في (عملية الدعوة) ونتائجه ممثلة في (عملية الاستجابة) والعملتان هما: موطن الابتلاء والاختبار التواصلية للداعية فرداً كان أو مؤسسة.

(١) جبرون، محمد. "الفعل الدعوي وخيار العمل بالمشروع"، على موقع حركة الوحيد والإصلاح، (الخميس ٣٠/ كانون الأول (ديسمبر) / ٢٠٠٤م). انظر:

- <http://www.alislah.org/2013-04-03-11-27-10/author/0-?start=4700>

الفصل الأول:

الفعل الدعوي المفهوم والخصائص

الفعل الدعوي كما أبرزت المقدمة فعل اتصالي ابتداءً، لذلك لسنا مضطرين لربطه بذلك الوصف حال شرحنا وتعريفنا لطبيعة الفعل الدعوي، وحتى تتضح هذه المقدمة يلزمنا التعريف بمفهوم الفعل الاتصالي الذي أصبح يحتل مكاناً هاماً في دراسات الاتصال الحديثة، وقد جاءت استعارة هذا المفهوم في سياق عملية المراجعة والنقد الذاتي للفعل الدعوي الحديث، الذي ما فتئ يتعرض لإصابات قاتلة منذ عقود من الزمن، على الرغم من الإنجازات المهمة التي حققها على المستوى الفكري والحركي، والتي لم تستطع أن تخفي مواطن الخلل ومظاهر النقص التي ظلت تتضخم كلما ازدادت التحديات واشتدت وتيرتها، حتى باتت تمثل هاجساً يؤرق المفكرين والباحثين الذين اجتهدوا ما وسعهم الجهد من أجل تصويب المسار الدعوي، لإيقاف نزيف الطاقات والجهود الذي أرهق كاهل الأمة وجعلها تراوح مكانها، وتوجهت دراساتهم وتحليلاتهم نحو تحديد وتشخيص الأمراض والعلل التي تنخر جسم الدعوة وتحرمها من الحيوية والفعالية، والتي يعد القصور المنهجي من أهمها وأكثرها ارتباطاً بعمق المشكلة، وقد سعى بعض الباحثين إلى دراسة إشكالية القصور المنهجي في الفعل الدعوي الحديث، بضبط مفهومي الفعل الدعوي والمنهج، وبيان مظاهره وأسبابه وآثاره، وانتهى إلى أهمية محاولة البحث عن بعض المقومات المنهجية الضرورية لإنجاح الفعل الدعوي.^(١)

أولاً: مفهوم الفعل الاتصالي

لقد ورد مفهوم الفعل الاتصالي إلى الدراسات الإعلامية من جانب الاهتمام الذي أبدته المدارس الفلسفية المعاصرة بالظاهرة الاتصالية، ونتج عن ذلك جملة من المفاهيم، منها: العقل التواصل، والمجال العام، وانتهاء بالفعل الاتصالي أو التواصل

(١) زرمان، محمد. "الفعل الدعوي الحديث وإشكالية القصور المنهجي"، مجلة الإحياء، كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة، الجزائر، مجلد (٣)، العدد (١)، ٢٠٠١م، ص ١١٣.

بحسب من ترجوا النظرية التواصلية لهابرماس.

١ - العقل التواصلية:

يأتي مفهوم العقل الاتصالي بما تعنيه تلك المفاهيم لدى هابرماس، حيث إن هذه الدراسة عندما تستخدم مفهوم العقل الاتصالي والمنطق الاتصالي إنما تعبر عن "ذلك الكم من المعارف المتراكمة في الوعي بالرسائل المباشرة عبر وسائل الاتصال"، والعقل الاتصالي من ناحية أخرى "بناء مكون من معلومات وبيانات وعلاقات وقيم، تتناظر فيما بينها وتتفاعل وفق منطق خاص يشكله رصيد التجربة الاتصالية للشخص أو الفئة أو المجتمع الذي ينتمي إليه ذلك العقل".

٢ - الفعل التواصلية:

الفعل التواصلية؛ سلوكٌ مُعبّر عن تلك الخبرة والرؤية التواصلية المتراكمة لدى الفرد والجماعة والمجتمع، وهو تعبير جامع عن سلوكيات الإنسان التواصلية من خطابات واستجابات وتفاعلات. والفعل الدعوي بما هو علاقة بين مرسل ومتلقٍ، وما يتناقل بينهما من الرسائل والإشارات، والذي يؤدي إلى صناعة فهم مشترك، وتكوين وعي تبادلي فهو مظهر وشاهد على الفعل الاتصالي حال تأثره بالرؤية الإسلامية. إذن العقل الاتصالي الدعوي هو قاعدة انطلاق الفعل الدعوي الراشد، والمنطق الحاكم للخطاب الدعوي الفاعل.

ثانياً: أركان الفعل الدعوي

لا يبدو الاتصال الدعوي من حيث التكوين مختلفاً عن أي نمط من أنماط الاتصال الأخرى، فعملية الاتصال عناصر رئيسية معروفة، تتشكل من ثلاثة مكونات:

- مكونٌ بشري يتضمن مرسلًا ومتلقيًا.
- مكونٌ ماديٌّ تكنولوجي يشمل الوسيلة.
- مكونٌ معنويٌّ تتشكل منه الرسالة، ويؤثر على كل من عمليتي الإرسال والتلقي.

ويترتب على عملية الإرسال استجابة أو رجوع صدئ، ويتوقع من العملية التواصلية بكيّاتها إحداث تأثيرات مقصودة من قبل المرسل على المتلقي أو جمهور المتلقين، حيث يبرز السياق ونطاقات الخبرة المشتركة كعناصر حاضرة ومؤثرة في فاعلية العملية التواصلية.

وإذا كان عنصر التميز في الاتصال الجماهيري هو الوسيلة؛ فإن ما يميز عملية الاتصال الدعوي يتعلق بالمكون المعنوي للاتصال ومدار عملية الاتصال الدعوي مفهومان رئيسان، هما: مفهوم "الدعوة" ومفهوم "الاستجابة"، وفيما يأتي بيان بطبيعة كل مكون من مكونات عملية الاتصال في السياق الدعوي.

١ - الداعية بوصفه قائماً بالاتصال:

يشغل الداعية هنا موقع المرسل أو المصدر الذي هو منطلق العملية التواصلية والعنصر الرئيس في سلسلة الاتصال، وقد يكون المصدر فرداً أو مجموعة من الأفراد، وقد يكون مؤسسة أو شركة، وكثيراً ما يستخدم المصدر بمعنى القائم بالاتصال، ويميز بعض الباحثين بينهما قائلين: أنه قد يستقل المصدر عن المرسل أو القائم بالاتصال، وكثيراً ما يرد مثل هذا الاستدراك في نماذج الاتصال الإسلامي، وهو ما ناقشه هذا الكتاب في موضع آخر.^(١) ولا بد أن تتوافر لدى القائم بالاتصال الفكرة الكاملة عما يدعو له، والمعلومات المتعلقة بموضوع الدعوة والخبرات والتجارب العملية اللازمة، وأن يتحلّى الداعية بوضوح الفكرة، واستقرار وجهة النظر، والرأي الواضح المكون للرسالة التي يريد إيصالها إلى المدعوين لا وفقاً لأهوائه ونزعاته وميوله، وإنما في إطار مبادئ سامية تأخذ بيده للموضوعية في الدعوة، ومع كل ذلك عليه أن يتوقع النتائج غير المرغوبة ويتجنبها.

ويتأثر نجاح العملية الاتصالية فيما يلي القائم بالاتصال بعدة عوامل متعلقة بالمرسل لخصتها نماذج الاتصال في أربعة شروط أساسية، هي: مهارات الاتصال لدى

(١) عباس، هشام محمد. القائم بالاتصال، رؤية في الواقع السوداني، الخرطوم: مطبعة الجمهورية، ٢٠٠٤م، ص ١.

المصدر، واتجاهات المصدر نحو ذاته ونحو الموضوع ونحو المتلقي والجمهور، ومستوى معرفة المصدر في إطارها العام وتعلّقها بموضوع التواصل، والنظام الاجتماعي والثقافي وموقع المصدر منه، وتكاد ذات الشروط تنطبق على المتلقي.

الدور الدعوي للإعلامي المسلم:

ولا ينبغي للاتصال الدعوي أن يكون موضوع اهتمام الدعاة وحدهم، بل ينبغي له أن يكون حاضراً في وعي الإعلامي المسلم، المطالب أخلاقياً ومهنياً ومعرفياً بأن يعي هذا البعد، وأن يستصحبه ويفعله أثناء قيامه برسالته الإعلامية، وإذا كان الإعلام بحد ذاته نشأته وارتباطه بواقع التطور في تقنيات التواصل والمعلومات يفرض نفسه كحقيقة ماثلة في لفت انتباهنا للواقع وأحداثه، فقد أسهم الإعلام من ناحية أخرى في تحديث معنى الدعوة التي لم يعد مجرد الاختصاص في الوعظ والخطابة بل هي ممارسة ثقافية وتواصلية تمثل مكوناً جوهرياً للإنسان المسلم تحكم واقعه وتتدخل في علاقته بمحيطه الحضاري والإنساني والإعلام بهذا المعنى هو أحد أهم أدوات استلهام الإسلام بمفهومه الكلي وتفعيله لتحقيق مطالب الحاضر، وتطلعات المستقبل، وسواء أكان هذا الأمر مقصوداً أو غير مقصود؛ فإن الإعلام بأدائه لوظائفه الأساسية يلعب دوراً جوهرياً في تشكيل الرؤية والصورة الذهنية للإسلام وتفعيلها، ويتم ذلك عن طريق دور الإعلام في تشكيل وعينا بالأحداث.

ويعتبر تحديد موقع القائم بالاتصال والتحقق من المؤثرات الدافعة له لتقديم رسالته الدعوية من الجوانب الهامة لفهم طبيعة الدعوة عبر وسائل الإعلام وتفسير أبعادها.

والقائم بالاتصال هو المسؤول الأول عن مجريات العملية التواصلية التي يقوم على أمر تنفيذها، فهو الذي يقرر في أمر الرسالة الدعوية من حيث الصياغة وما يلحق بها من أبعاد، ومن ثم اتخاذ القرار بشأن ما يقوم بنشره، وما يتجاهله من معلومات وبيانات، وقد يدفع في سبيل ذلك أثماناً تكون في بعض الأحيان باهظة، وقد تصل إلى التضحية بالحياة. وإذا كان السؤال: لماذا يدفع القائم بالاتصال تلك التكاليف الباهظة

على تغطية الأحداث الجارية؟ لا يزال قائماً، فسيبدو الأمر أكثر تأكيداً بشأن القائم بالاتصال الدعوي.

وقد تعتبر الرغبة في تحقيق سبق الصحفي، ومن ثم كسب المنافسة على الجمهور مبرراً موضوعياً وحافزاً مهنيّاً في هذا الاتجاه، ولكن الجرأة والشجاعة الصحفية تعبر عن حافز أعمق ورغبة إنسانية متأصلة في معرفة ما يحدث، ونزوع فطري للإلمام بتفاصيل الأحداث، ومن ثم الوفاء بما تقتضيه الرسالة العملية من واجب في الحياة، والتزام أخلاقي تجاه الجمهور وحقه في أن يعرف ما يحدث مبرراً موضوعياً لتلك التضحيات.

وإلى جانب ذلك يبقى العمل لحساب تصور كلي للعالم (عقدي أو أيديولوجي) يؤمن به القائم بالاتصال، ويعمل له من جانبه، وهو في ما يتعلق بالدعوة أوضح منه في الإعلام.

٢- المدعو بوصفه متلقياً:

المدعو هو هدف عملية التواصل، وأهم حلقاتها، وهو من يتلقى الرسالة الإعلامية أو الدعوية المرسلّة إليه، سواءً أكان فرداً أو جماعة أو جمهوراً عاماً، ومن الضروري أن يكون المتلقي حاضراً في ذهن الداعية حال صياغته لرسالته وخطابه الدعوي، وأن يصبح مدار اهتمامه، فالقارئ هو الشخص المهم عندما نكتب، والمستمع هو المهم عندما نتحدث، ويجب أن يضع المصدر في اعتباره طبيعة المتلقي حتى يضمن تحقيق الهدف من الرسالة، والمتلقي لا يستقبل الرسالة ويتأثر بها مباشرة، وإنما يقوم بعملية تنقية حسب سماته النفسية والاجتماعية، ومستوى تعليمه واتجاهاته، وتتلقي الرسالة الدعوية، وجمهورها هم أولاً كل أفراد المجتمع المسلم

من النادر أن يتعامل القرآن مع المدعويين باعتباراتهم الفردية إلا في حالة قادة الرأي المعادي لدعوة التوحيد، لكنه أشار في أكثر من موضع إلى تأثر المتلقي بالجمهور المحيط به من الأصحاب. قال تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوْا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ

أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتَيْنَا كُلَّ هُدًى اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمِرْنَا لِئَلَّامِينَ ﴿٧١﴾
[الأنعام: ٧١].

إيجابية الجمهور الدعوي:

لا يمكن النظر إلى جمهور المدعويين باعتباره متلقياً سلباً للرسائل التي يبحث بها الدعاة فقد "أصبحت ردود الفعل من قبل المتلقي -الجمهور- ذات قيمة كبيرة في رواج الخطاب الديني، وفي إنتاجه أصلاً، خاصة مع تعدد قنوات تلقيه لهذا النوع من الخطابات (التلفزيون، والراديو، والإنترنت...)، ما جعله في رحلة بحث عن اليقين، أو عن شبيهه، بطرحه لتساؤلات غالباً ما تتعلق بفحوى الخطاب من منظور الحياة المعاصرة. إن ذلك التعطش للجواب والبحث عن اليقين يظهر بمهاتفة الحصص ومساءلة الأئمة، أو التصفيق والهتاف للمستحسن من الخطابات، أو ما أصبحنا نراه على مواقع التواصل الاجتماعي (الفيسبوك، وتويتر، واليوتيوب) فيما يخص التعليقات ومناصرة الآراء بأفعال كلامية منها J'aime و Like و Partager وغيرها من استراتيجيات التفاعل بين النص والمتلقي (الجمهور).^(١)

ومن الموجهات النبوية للدعاة في مراعاة المدعويين قوله ﷺ: "خاطبوا الناس على قدر عقولهم..." فلا يخاطب المتلقي متواضع الوعي والثقافة بما يفقه من القول، كما لا ينبغي إرهاب العلماء والعارفين من الجمهور بمسائل سطحية المحتوى تقع في دائرة بدهيات معارفهم دون أن يدفعنا ذلك إلى ازدراء رصيدنا من المحتوى الدعوي حال وجوب التبليغ، فرب مبلِّغ أوعى من سامع، ورب حامل فقه لا فقه له، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ويمثّل المتلقي في عملية الاتصال الدعوي الركن الأساسي في عملية الاستجابة للرسالة الدعوية، وهو الموكول إليه تأويل الخطاب الدعوي إلى استجابة عملية تتمثل في موقف أو فعل أو قول يحقق فحو الرسالة الدعوية، مما يستلزم

(١) ثقبائث، حامدة. "بلاغة الجمهور في تلقي الخطاب الديني في الجزائر؛ دراسة في نسق الاستجابة والرد"، مجلة الخطاب، مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، العدد (١٥)، ٢٠١٣م، ص ١٦٢.

تحققه بعدة شروط متعلقة بالوعي والاستيعاب للرسالة الدعوية، ومن ثم القدرة والإرادة في الاستجابة لتلك الرسالة، الاستعداد النفسي والمعنوي للتواصل والإيجابية في الاتجاه نحو صاحب الدعوة والمحتوى الدعوي للرسالة، وقد أثبتت الدراسات الدعوية "أن الدعوة إلى الإسلام لا تتم أثناء عرضها على المدعويين إلا بتوفير عنصر الأمان الفكري، الذي يعد ضرورة شرعية واقعية، يؤيدها تاريخ الدعوة الطويل. وتحاول الدراسة أن تؤكد ذلك المعنى بعرض أهداف الدعوة وتحليل وسائلها وأساليبها ومناهجها، والتي تبين في مجملها حقيقة الأمان الفكري في الدعوة، وتثبت ضرورة قيام الداعية والمؤسسات القائمة بالدعوة بتوفير الجو الآمن، والأسلوب الهادئ في برامج الدعوة ووسائلها؛ وذلك حتى تصل الدعوة إلى تحقيق مقصدها، وبخاصة في العصر الحاضر الذي شاعت فيه ادعاءات مضللة، وأكاذيب متعمدة، تزعم أن دعوة الإسلام، تعتمد في نشرها على الترويع والتهديد، وتبني العنف والإرهاب." (١)

٣- الرسالة الدعوية:

الرسالة هي مضمون الخطاب الاتصالي، فالإنسان يُرسل ويستقبل كميات ضخمة ومتنوعة من الرسائل، يتسم بعضها بالخصوصية، مثل: الحركة، والإبادة، والإشارة، والابتسامة، والنظر، وبعض الرسائل يتسم بالعمومية، مثل: الندوات، المحاضرات، المؤتمرات، الصحف، المجلات، الراديو، والتلفزيون، السينما. والرسالة في نظر السلوكيين هي المنبه الذي ينقله المرسل إلى الملتقي، وتتضمن المعاني من أفكار وآراء تتعلق بموضوعات معينة يتم التعبير عنها رمزياً سواء باللغة المنطوقة، أو غير المنطوقة، وتتوقف فاعلية الاتصال على الفهم المشترك للموضوع واللغة التي يقدم بها، فالمصطلحات العلمية والمعادلات الرياضية المعقدة الخاصة بالكيمياء الحيوية مثلاً تكون مفهومة بين أستاذ الكيمياء وطلابه، أما إذا تحدث الأستاذ نفسه عن

(١) نحيلة، بسيوني. "الأمان الفكري عند المدعو ضرورة في الدعوة إلى الإسلام: دراسة موضوعية تحليلية"، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، يونيو ٢٠١٧م، مج ٣٢، العدد (١٠٩)، ص ٤١٥.

الموضوع مع طلبه الإعلام والاتصال؛ فلا يكون الأمر كذلك، فهناك فجوة أو عدم وجود مجال مشترك للفهم بين المرسل والمستقبل، والمنطق نفسه إذا كان الأستاذ يلقي محاضرة بلغة لا يفهمها أو لا يعرفها الحاضرون، أو إذا استخدم إبهاءات وإشارات ذات دلالة مختلفة لهم.

من جهة أخرى تتوقف فاعلية الاتصال على الحجم الإجمالي للمعلومات المتضمنة في الرسالة، ومستوى هذه المعلومات من حيث السهولة والتعقيد، حيث إن المعلومات إذا كانت قليلة فإنها قد لا تجيب على تساؤلات المتلقي، ولا تخططه علماً كافياً بموضوع الرسالة الأمر الذي يجعلها عرضة للتشويه، أما المعلومات الكثيرة؛ فقد يصعب على المتلقي استيعابها، ولا يقدر جهازه الإدراكي على الربط بينها، ويوجد ثلاثة أمور يجب أن نأخذها في الاعتبار بالنسبة للرسالة: كود الرسالة، مضمون الرسالة، معالجة الرسالة.

وليس من الضروري أن يكون مضمون الرسالة خطاباً مباشراً من قبل الداعية للمدعو باعتراف الإسلام والتزام تعاليمه، بل يتسع مفهوم الرسالة الدعوية، ليشمل موضوعات الحياة التي يعالجها المتواصل، وهو يستحضر الدعوة مقصداً كلياً لنشاطه الاتصالي. وفي بحث بعنوان "أثر الفتوى الشرعية في نشر الدعوة الإسلامية المعاصرة"،^(١) حيث قارن الباحث بين عمل المفتي والداعية، واعتبر في نتائج دراسته "أن رسالة الإفتاء وثيقة الصلة بحركة الدعوة، خاصة في العصر الحاضر، فما تقوم به الدعوة من بيان أصول الإسلام ومبادئه، والدعوة إلى أخلاقه وقيمه، تأتي الفتوى فتؤكد، فتكون بذلك وسيلة داعمة من وسائل الدعوة في شرح الصدور وتقريب القلوب إلى الرسالة، أو تخالفه، فتكون عائقاً في حراك الدعوة ومسيرتها، مما يصعب مهمة الدعوة، وبخاصة في المجتمعات غير المسلمة، التي تخضع لطبيعة متباينة وظروف خاصة، وتحديات متشابكة ومعقدة".

(١) نحيلة، بسبوني. "أثر الفتوى الشرعية في نشر الدعوة الإسلامية المعاصرة"، ورقة مقدمة لمؤتمر الفتوى ... واستشراف المستقبل، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة القصيم، ٢٠١٣م.

من هنا تأتي أهمية التواصل بين الفتوى والدعوة، وضرورة أن تكون الفتيا المعاصرة موسومة ببعض الصفات الدعوية التي تجعلها في تقارب وتعاون مع جهود الدعوة المبذولة في العصر الحاضر، بما يساعد على التفاعل والتجاوب المنضبط مع مستجدات الساحة الدعوية ومتغيراتها، ويتمشى مع طبيعة المدعوين وأحوالهم المتنوعة.

٤ - الوسيلة أو القناة:

الوسائل أو قنوات الاتصال هي الأدوات التي يتم عبرها نقل الرسالة، أو الدعوة إلى جمهور المدعوين، سواءً أكانت هذه الوسيلة تتمثل في شخص القائم بالدعوة، أو الداعية، أو عن طريق استخدام وسيلة من وسائل الاتصال الجماهيري، وتختلف الوسيلة باختلاف مستوى الاتصال، فهي في الاتصال الجماهيري قد تكون الصحيفة، أو المجلة، أو الإذاعة، أو التلفزيون، وفي الاتصال الجمعي مثل: المحاضرة، أو خطبة الجمعة، أو المؤتمرات، وقد تكون الميكروفون، وفي بعض مواقف الاتصال الجمعي قد تكون الأداة مطبوعات أو شرائح أو أفلام فيديو، أما في الاتصال المباشر؛ فإن الوسيلة لا تكون ميكانيكية (صناعية) وإنما تكون طبيعية. وتتسم بعض الوسائل بكونها أكثر فاعلية من وسائل أخرى، وتشير التجارب إلى أن كل فرد لديه قنوات مفضلة في استقبال الرسائل عن القنوات الأخرى، ويتحكم في استخدام وسيلة الاتصال العوامل الآتية:

- طبيعة الفكرة المطروحة، أو الهدف الذي تسعى إليه.
- خصائص الجمهور المستهدف من حيث عاداته الاتصالية وقابليته للتأثير بأسلوب معين.
- تكاليف استخدام الوسيلة بالنسبة لأهمية الهدف المطلوب تحقيقه.
- أهمية عامل الوقت بالنسبة لموضوع الاتصال.
- مزايا كل وسيلة، وما تحققه من تأثير على الجمهور المستهدف.

٥ - الدعوة والاستجابة:

عندما يرد مفهوم الدعوة في القرآن فعلينا أن نميز بين الدعوة بوصفها وظيفة، من قبيل ما ورد فيه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، والدعوة بوصفها فعلاً اتصالياً وعملية إرسال لمضمون ذي وظيفة دعوية، منها قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ [نوح: ٥] والفرق بينهما بين في التصريف اللغوي فالأول: معنى جامع يأتي في مصدره بصيغة (دعوة) يقول تعالى: له دعوة الحق، والثاني: فعل مفرد يحيل القرآن إلى مصدره بصيغة "دعاء" ومنه تنمى الآية السابقة من سورة نوح. قال تعالى: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُ دُعَاؤِي إِلَّا فِرَارًا﴾ [نوح: ٦].

وقد يقال بلغة اتصالية: إن الدعوة بهذا المعنى مفهوم مواز لما يُعرف في نماذج الاتصال بعملية الترميز Encoding أو وضع الأفكار والمعاني في هيئة شفرات "أكواد" تكون قابلة للنقل عبر الوسيلة، ومن ثم ملائمة لنظام فك التشفير لدى المتلقي (المدعو) ومن ثم استقبلها بنفس الدلالات والمعاني التي منحها إياها القائم بالاتصال (الداعية)، وإذا تحقق التمييز تبين لها أن الدعوة المقصودة هنا هي بالضبط عملية إرسال المضمون الدعوي إلى طرف المدعو أو المدعويين.

الاستجابة في الثقافة الإسلامية مفهوم قرآني أصيل، يشير إلى الموقف الايجابي من الرسالة الدعوية، وقد ندب القرآن إلى هذا النوع من التعامل مع الرسائل الدعوية. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤] ونعني على المخالفين عن أمر الله بالاستجابة لداعي الحق بفضح حقيقة إعراضه، بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [الفصص: ٥٠] والتحذير من عاقبة هذا الأمر، ﴿وَمَنْ لَا يُحِبَّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٣٢].

أما رجع الصدى أو التأثير المرتد أو التغذية الراجعة Feed Back؛ فتعبير أساسي في وسائل السيطرة الأوتوماتيكية، وقد استخدم في العلوم الاجتماعية للكناية عن ردود أفعال المدعويين وتعبيراتهم عن القبول أو الرفض أو الاستفسار عن الأشياء التي لم تفهم لديهم، ويقصد برجع الصدى إعادة المعلومات للمرسل حتى يستطيع أن يقرر ما إذا كانت الرسالة حققت أهدافها، وأدت إلى رد فعلٍ إيجابيٍّ فتتواصل العملية، أو رد فعلٍ سلبيٍّ يقتضي تغييراً وتعديلاً في الموقف التواصل، أو إلغاء العملية الاتصالية بالكلية.

الاستجابة ورجع الصدى:

ويفيد "رجع الصدى" في إعلام المرسل بمدى فاعلية الرسالة وتأثيرها، وقد يكون فورياً، كما هو الحال في الاتصال الشخصي، أو مؤجلاً غير مباشر، كما في الاتصال الجماهيري، كما يمكن لرجع الصدى أن يكون حراً يصل من المتلقي إلى المرسل دون عوائق، أو مقيداً لا يجد طريقه إلى المرسل إلا عبر وسائط مكملة وقنوات ثانوية مثل حراس البوابات الإعلامية، فيستغرق بذلك وقتاً إضافياً قبل أن يحقق أهدافه، ويتيح رجع الصدى وظائف مفيدة للعملية الاتصالية مثل: قياس مدى الفهم واستيعاب التأثير في عملية الاتصال.

ويمكن النظر للاستجابة أيضاً باعتبارها مفهوماً موازياً لما يعرف في نماذج الاتصال بعملية فك الترميز Decoding وإكساب الرسائل المستلمة الصبغة التي تجعلها مطابقة في الدلالة لما قصده القائم بالاتصال الدعوي. وإذا كانت الدعوة هي الوجه الأول من عملية الاتصال الدعوي؛ فإن الاستجابة هي المقابل الإيجابي لذلك الوجه، لذلك لم يكن مستغرباً أن يهتم بها القرآن على نحو قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَحْطُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٢] و﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨].

الجدول الآتي يوضح مقارنة التعبير القرآني بين نمطي التعامل مع الرسالة الدعوية بوجهيه؛ الموجب "استجابة" أو السالب "الإعراض"، وفقاً لنمط الاتصال.

نمط الاتصال	عدم الاستجابة	الاستجابة	الرسالة/ المثير
ذاتي	الكفر	الإيمان	الإسلام
عقلي	التكذيب	التصديق	النوبة
جسدي	الإدبار	إقبال	الداعية
حسي	الإعراض	الاستماع	القرآن
عاطفي	القسوة	اللين	القول

٦- السياق التواصلي وعمليات التشويش:

كل اتصال يحدث في مكان ما، لا بد أن يعبر عن سياق ما، وأحياناً يكون السياق طبيعي لا نلاحظه، وفي أحيان أخرى يتمثل السياق في المكان والزمان والأشخاص، ولا يمكن فصل السياق الاجتماعي عن السياق الثقافي أو السياسي أو الاقتصادي، فكلما كان السياق الذي تتم فيه العملية الاتصالية متضمناً جوانب مشتركة بين المرسل والمستقبل كلما كانت فرصة النجاح للعملية الاتصالية أفضل.

ويتأثر المرسل بمركزه في النظام الاجتماعي والثقافي، ولكي نحدد فاعلية الاتصال علينا أن نعرف أنواع النظم الاجتماعية التي نعيش فيها عن طريق الإطار الثقافي والاجتماعي الذي يعيشه من حيث: المعتقدات، والعادات والقيم، وأنواع السلوك المقبولة وغير المقبولة، ونوع التطلعات التوقعات الخاصة وغيره؛ لأن مركز المصدر في النظام الاجتماعي والثقافي سيؤثر عليه وعلى سلوك الشخص بصورة عامة.

أ- اللغو والتشويش:

تتأثر عملية التواصل بحالات التشويش، ويقصد به أي عائق يحول دون القدرة على الإرسال أو الاستقبال، ويقسم علماء الاتصال التشويش إلى نوعين؛ تشويش آلي/ ميكانيكي: وهو تشويش يحدث من خلال عيوب صوت المرسل، أو تأثيرات غير مناسبة، أو ضعف حاسة السمع أو البصر، أو الضوضاء، أو خلل في الجهاز الناقل للصوت، وتشويش دلالي: يحدث حين يسيء الناس فهم بعضهم بعضاً

مثل: استخدام معاني مختلفة وعبارات غير مفهومة عن طريق المعنى أو النطق، وقد يحدث التشويش نتيجة لفعل اتصالي مضاد، منه ما وثّقه القرآن من فعل كفار قريش بقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

ب- الأثر الدعوي:

هو نتيجة الاتصال، وهو يقع على المرسل والمتلقي على السواء، وقد يكون الأثر نفسياً أو اجتماعياً، ويتحقق أثر وسائل الإعلام بتقديم الأخبار والمعلومات، والإقناع وتحسين الصورة الذهنية.

ثالثاً: مستويات وميادين الفعل الدعوي

١ - الدعوة في مستوى الاتصال الذاتي:

مع علو صوت وسائل وتكنولوجيا الاتصال قد يغفل الدارسون أن أوسع أنواع الاتصال انتشاراً في الإطلاق هو الاتصال الذاتي، وعليه يتوقف نجاح الاتصال على المستويات اللاحقة، فالاتصال الناجح مشروط بتوفر مهارات أساسية لدى الأفراد المتواصلين، فيتوقف نجاح عمليات التواصل الفردي أو الجمعي على الطريقة التي يتلقّى بها كل طرف من أطراف العملية الرسائل، فيقوم بفك رموزها ذاتياً، ويقوم بصياغة استجابته رمزياً قبل أن يرسلها كرجع صدئ للمرسل الأول، وعملية ترميز الرسائل وفك رموزها تتم فردياً داخل كل ذات من الذوات المتفاعلة، والاتصال الذاتي هو الاتصال الذي يتم بين الفرد وذاته؛ أي عن طريق الاتصال الداخلي مع الذات، ويشمل العمليات العقلية الإدراكية الداخلية، كالتفكير، والتخيل، والتصور، وكل فرد يمر بهذه العملية عندما يكون بصدد الإعلان عن رأي، أو اتخاذ قرار ما، وفيه يكون المرسل والمستقبل في شخص واحد، وينظر علم الاتصال بأهمية إلى الاتصال الذاتي على أساس أنه يتم قبل كل العمليات التي تسبق الاتصال الشخصي، فالمرسل يكون لديه شيء في داخله يريد أن ينقله للآخرين، ويرسل الرسالة إلى عقله والمستقبل؛ أي العقل بعد استقباله الرسالة، فإذا تتفق مع ما لديه من معلومات

وأفكار ومعتقدات سابقة تمهيداً للرد عليها، كما أن رد العقل الذي يقوم به المستقبل على الرسالة يمر قبل التعبير عنه في كلمات أو إشارات بمرحلة اتصال داخلي.

وللاتصال الذاتي دورٌ كبير في إنجاح العملية الدعوية، فعبّر هذا المستوى يعمل القائم بالاتصال على برجة ذاته وتهيتها للقيام بالفعل الدعوي "والنية" التي هي أهم موجبات الأجر والثواب على الدعوة، وهي تتم على هذا المستوى من التواصل مع الذات، ونلاحظ أن القصص القرآني الذي تمت الإشارة له في فصول سابقة حول دعوة الرسل يشير لهذا النوع من البرجة النفسية والعقلية التي صنعت الدوافع والمحفزات للنبي ﷺ لإنفاذ دعوته.

٢- الاتصال الدعوي الشخصي:

هو اتصال يبدأ من حيث انتهى الاتصال الذاتي، ويقصد به: العملية التي يتم بمقتضاها تبادل المعلومات والأفكار والاتجاهات بين الأفراد بالطريقة المباشرة وجهاً لوجه، وفي اتجاهين ودون قنوات وسيطة، حيث يصبح المرسل والمستقبل على اتصال ببعضهما وجهاً لوجه وفي مكان محدد، ويتميز بـ "التبادلية" بين المرسل والمستقبل؛ أي أن المرسل يصبح مستقبل والعكس، ولتوفير عنصر المواجهة يعتبر الاتصال الشخصي أكثر أنواع الاتصال فعالية، ويمنحه ذلك قيمة خاصة في الاتصال الإقناعي، وعادة يعتبر الاتصال المواجهي المباشر أنجح أساليب الاتصال الدعوي كونه نقطة الانطلاق التي بدأت منها الدعوة الإسلامية في عهدها الأول، وكان أكثر مستوياتها انتشاراً وتأثيراً. فهل لا تزال له تلك الأهمية.

يلاحظ أن التأثير الناتج عن الاتصال الشخصي يتسم بالعمق والاستمرار لفترة أطول، لتأسيسه على الإقناع، ولقدرة الاتصال الشخصي على ضمان المصادقية في المصدر وعلى السيطرة على انتباه المستقبل خاصة بالنسبة للرسائل التي لا تتفق مع ميول المتلقي واتجاهاته، كما يتميز بتوافر قدر كبير من رجوع الصدى، وردود الأفعال مما يمنح المتواصلين فرصة كبيرة لتعديل رسائلهم.^(١)

(١) حجاب، محمد منير. الاتصال الفعال في العلاقات العامة، القاهرة: دار الفجر للنشر، ط ١، ٢٠٠٧م، ص ٣٢.

ومن العوامل المؤثرة في الاتصال الشخصي؛ اتجاهات الأشخاص نحو بعضهم بعضاً، فالتعارف المسبق ينهي حالة التردد، ويسهل عملية الاتصال وجود خبرة مشتركة بين الشخصين، والثقة المتبادلة، والفصاحة والبيان، والقدرة على التقمص الوجداني، واستشعار حالة الطرف الآخر.

٣- الاتصال الدعوي الجمعي:

يتم تبادل ونقل المعلومات والاتجاهات -على هذا المستوى- بين المرسل والمستقبل، ويكون في مكان تجتمع فيه كل عناصر العملية الاتصالية.^(١)

والمعلوم أن الدعوة النبوية كانت في بدء انطلاقها سرية، واستمرت في سريتها ثلاثة أعوام، حتى بلغ عدد المسلمين نحو الستين ما بين رجل وامرأة، كانوا القاعدة الأساسية للجماعة المسلمين. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت الآية ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] صعد النبي ﷺ الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي، لبطون قريش؛ حتى اجتمعوا؛ فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما في الأمر فجاء أبو لهب وقريش، فقال: "أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالواد تريد أن تُغير عليكم أكنتم مصدقي؟" قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً، فقال: "فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد"، فقال أبو لهب: تباً لك سائر هذا اليوم، أهذا جمعتنا؟ فنزلت ﴿تَبَّتْ يُدَا أَيْ لَهَبٍ وَتَبَّ ۚ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ١ - ٢].

ويمكننا القول أن خطبة الصفا هي التي أحدثت النقلة العظيمة لحركة الدعوة الإسلامية في العهد المكي، حيث كانت هي البداية الحقيقية للاتصال الجمعي، الذي أصبح ميزة الحضارة الإسلامية في عهد النبوة والخلافة الراشدة، وفي العهود الإسلامية الزاهرة، وقد كان الاتصال الدعوي قبل هذه الخطبة يدور في مستوى الجماعات الأولية، مثل: الأسرة والأصدقاء، ومن يثق فيهم الرسول ﷺ. ولما نزل قول

(١) قلندر، محمود محمد. والعوض، محمد بابكر. اتجاهات البحث في علم الاتصال؛ نظرة تأصيلية، دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٩م، ص ٥٠-٥١.

الله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ بِمَا تُوْمَرُ وَاعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤] أرشد الله تعالى نبيه إلى هذه الصورة الاتصالية الجديدة في حمل الدعوة الإسلامية، ومن الدلالات والمعاني لهذه الخطبة فن التوقيت -ظروف الزمان المواتية، البيئة الاتصالية- فقد اختار الرسول الكريم ظروف الزمان المواتية ودرس اللحظة المناسبة لتحقيق اكبر قدر ممكن من الإقناع لرسالة ربه.^(١)

وفي الاتصال الدعوي الجمعي يقوم الداعية بمخاطبة مجموعة من الناس؛ فيعلمهم ويرشدهم، ويوجههم نحو الخير، ويؤثر في سلوكياتهم وقناعاتهم وعاداتهم، وتستخدم هذه الطريقة وسائل عديدة لا يمكن حصرها، وأوجه نشاط دعوية مختلفة يمكن أن توظف المهرجانات والاحتفالات والمحاضرات والخطب الدينية. ولأهمية الاتصال الجمعي وميزاته وتأثيره فلا بد للداعية أو القائم بالاتصال الذي يخاطب هذه الحشود ويقنعها ويؤثر عليها ويوجهها أن يكون ذا قدرة وكفاية في جوانب كثيرة، فالعلم والمعرفة والثقافة، والحلم وسعة الصدر وقوة الحجة ووضوح الفكرة في نفسه والتواضع ونظافة اليد والفرج واللسان، والإخلاص والشجاعة والجهاد والكرم، وحب الخير للناس، وأن يكون نظيف المظهر والملبس والهندام، وملتزماً بكل ما يدعو الناس إليه، وإذا تحدث كان طلق اللسان، فصيح العبارة، سليماً من الأغلاط اللغوية.^(٢) والاتصال الجمعي هو بعض ما استخدمه الرسول ﷺ في مكة يوم كان مستضعفاً، وفي المدينة المنورة بعد هجرته، وبعد إقامة الدولة الإسلامية، وقد شرع الإسلام وسائل ومناسبات لاجتماع الناس لوعظهم وتعليمهم وتوجيههم وتوصيلهم للخير، وتستعرض إحدى هذه الوسائل خطبة صلاة الجمعة كنموذج اتصالي، تتوافر فيه عناصر العملية الاتصالية الدعوية من خلال الخطبة.

(١) ثابت، سعيد بن علي. الجوانب الإعلامية في خطاب الرسول ﷺ، الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٧هـ.

(٢) الأهدل، محمد بن سليمان. أهمية يوم الجمعة وخطبته لبيان يوم الجمع، سلسلة: دعوة الحق، مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، العدد (١٦٥)، لسنة ١٤١٦هـ.

٤ - الاتصال الدعوي الجماهيري:

هو الاتصال الذي يتم عبر وسائل الاتصال الجماهيري، ويكون عدد المتلقين كبيراً جداً، يتباينون في العمر ومستوى التفكير والثقافة والعادات والمستوى الاجتماعي، وهو اتصال تنعدم فيه ظاهرة رجوع الصدى، ولكن القنوات الدعوية التي انتشرت وبصورة واعية مؤخراً جعلت من خطوط الهاتف وسيلة اتصال مباشرة بين مقدمي البرامج الدعوية والمتلقين، مما أتاح فرصة لفهم المتلقي ما يريد فهمه، وبالطريقة الصحيحة، وصارت هذه القنوات من أبرز وسائل الاتصال الجماهيري الواسعة الانتشار. فنجد في بعض القنوات والإذاعات الدينية استخداماً لمختلف الأساليب التقليدية للدعوة؛ من محاضرات وإشارات واسعة، ونقد الظواهر السالبة التي انتشرت مؤخراً وبصورة فورية وناجحة. وتندرج ضمن هذا المستوى جملة الاستخدامات الدعوية للصحافة، والاستخدامات الدعوية للراديو، والاستخدامات الدعوية للتلفزيون.

٥ - الاتصال الدعوي التفاعلي:

هو الاتصال عبر شبكة الإنترنت والمواقع الإلكترونية وخدمات التواصل الاجتماعي، وقد ازدهرت حركة النشر والتواصل الدعوي عبر شبكة الإنترنت مؤخراً، ويتميز هذا المستوى من الاتصال بتوفر رجوع الصدى والتغذية الفورية من المتلقين، مما يتيح للداعي تغيير خط سيره، أو المواصلة فيه والاتصال التفاعلي بنشر بصورة سريعة ومذهلة، ولا يكلف مادياً، ولهذا يجد الإقبال عليه من الدعاة والقبول من قبل المتلقين أو المدعويين.

٦ - الاتصال عبر الثقافات:

هو الاتصال الذي يتم بين أعضاء ثقافات مختلفة، ويهدف هذا النوع من الاتصال إلى إحلال التفاهم، والتخلص من الصراع، أو سوء التفاهم بين أبناء الثقافات المختلفة، ومن أهم وسائل الاتصال بين الثقافات، السفارات والملحقيات الثقافية، والتجارة والبعثات الدراسية، والمعارض والكتب والصحف والمجلات، والاتصالات

بأنواعها كالإذاعات والتلفزيونات، ووكالات الأنباء، والأقمار الصناعية التي جعلت من العالم قرية واحدة.

"وللداعي تجارب كثيرة في مجال الدعوة، هي حصيلة عمله المباشر مع الناس، ومباشرته للوسائل فعلاً في ضوء ما فهمه من المصادر السابقة؛ لأن التطبيق قد يظهر له وجه خطئه فيتجنبه في المستقبل، وقد يكون الثمن غالياً، ولكن ما يتعلمه من التجارب أغلى من الثمن المدفوع إذا انتفع من التجارب حقاً، وهذا هو المأمول من المؤمن الذي لا يلدغ من جحر مرتين، وكما أن الداعي يستفيد من تجاربه الخاصة، يستفيد أيضاً من تجارب الآخرين في الوسائل والأساليب؛ فإن الحكمة ضالة المؤمن." (١)

ويجب على من يقوم بدور القائم بالاتصال الثقافي عبر الترجمة أو البحث في ثقافات أخرى أن يراعي ويعرف أنه ليس من وظيفته أن يضع مقاييس عالمية للثقافات، بل يلزمه أن يحترم ثقافة الجمهور المستهدف بنفس الاحترام الذي يُكِنّه لثقافته، وألا يحكم على قيم واعتقادات وعادات الثقافة الأخرى من خلال قيمه، وألا يحتقر الأشياء غير المألوفة له في ثقافة الآخرين، يجب أن يعرف بأن كل ثقافة مهما صغرت لديها ما تقدمه للعالم، ولا يوجد ثقافة واحدة تحتكر كل شيء، كما يجب على القائم بالاتصال الثقافي ألا يستغل ما يتمتع به من مكانة عالية في سلم ثقافته ليحرف سلوك أفراد ثقافته." (٢)

وهذا يجعل الداعي أكثر إلماماً ومعرفة بعادات ولغة ومفاهيم من سيطرح لهم دعوته، حتى تتم الفائدة بالصورة المرجوة والمطلوبة. ولهذا نجد أن الدعاة الإسلاميين مؤخراً صاروا أكثر إلماماً ومعرفة بعادات ولغات الشعوب المستهدفة بالخطاب. وإيصال المفهوم الإسلامي لهم واستقطابهم. فمثلاً الدول الإسلامية تتفق في أغلب

(١) زيدان، عبد الكريم. أصول الدعوة، بغداد: مكتبة القدس، ١٩٧٦م، ص ٢٥٦.

(٢) أبو عرقوب، إبراهيم. الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي، عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ١٩٩٣م، ص ١٤٢.

المناسبات الدينية كعيدي الفطر والأضحى مثلاً: وكذلك الاحتفال بمولد النبي ﷺ والاهتمام بأغلب المناسبات الدينية، كيوم عرفة وغيرهم من المناسبات الشائعة.

ويعدّ الإطار الدلالي أو إطار الخبرة المشتركة هو العنصر الأهم في عملية التواصل العابر للثقافات، وهو أمر تم مراعاته في حالات الأنبياء كما ذكرنا. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤].

العلاقة بين المستوى والمحتوى في الفعل الاتصالي:

يتم أثناء تفعيل العملية الاتصالية الدعوية معالجة الرسائل المتبادلة بحسب المستوى الاتصالي سواءً أكان ذاتياً أو جمعياً أو مباشراً أو جماهيرياً وتفاعلياً أو ثقافياً، والجدول الآتي يوضح العلاقة بين المستوى والمحتوى والقيمة في الفعل الاتصالي.

القيمة	الإطار المكاني	الإطار الزمني	التواصل	الإجراء	مستوى الاتصال
الإخلاص	الأرض كلها	يومياً	الذات	الصلاة والدعاء	الاتصال الذاتي
الإخاء	البيت-المسجد	مستدام	الأفراد	السلام	الاتصال بين فردين
الذكر	المسجد	أسبوعياً	الجماعة	الجمعة	الاتصال الجمعي
الولاء	المصلى العام	سنوياً	المجتمع	العيد	الاتصال الجماهيري والاجتماعي
كل ما سبق	الحرمان	مرة في العمر	الأمة	لحج	اتصال ثقافي داخلي
الدعوة	العالم	على الدوام	العالم	الدعوة	اتصال دعوي خارجي (تفاعلي)

الفصل الثاني:

الاتصال الدعوي المقصد والوظيفة والتأثير

يتولد الإشكال المقاصدي عندما تفتقد الممارسة الدعوية أصالتها من ناحية، وغائيتها من ناحية أخرى، أو عندما يقع بين قوس النمطية والتقليد، وقوس العدمية والفوضى، على نحو ما يعكسه واقع الدعوة في نهايات قرنيّ الخامس عشر الهجري وبدايات القرن الحادي والعشرين الميلادي، مما يبدو معه الخطاب الدعوي ذاهلاً عن مقاصد الشارع ومتطلبات الواقع، من حيث نوع الموضوعات والأفكار ومناهج المعالجة ولغة الخطاب، وقد يعمل الخطاب الدعوي في توظيفاته السالبة على تضليل الوعي وتهديد الاستقرار، ومن ثم الإفساد بدل الإصلاح، وتضييع الأموال والأنفس والثمرات بحسن نية أحياناً، وإرادة مادية للإسلام ديناً، وللمسلمين أمة.

وللدعوة غاية أخلاقية عامة وهي الإصلاح في الأرض، وغاية اجتماعية، وهي الحفاظ على وحدة الأمة الإسلامية، وغاية اتصالية، وهي البلاغ المبين لرسالة الإسلام، كما أن الدعوة وظيفة إسلامية عامة؛ فإن لها وظائف عملية خاصة.

وإذا كانت قوة أنظمة الاتصال الحديثة كامنة في وسائلها وما تتسم به من تطور تقني وفاعلية وظيفية، فإن قوة الاتصال الدعوي تكمن في مقاصده الدينية وأهدافه الإنسانية، مما يولد جملة من الأسئلة المنهجية، منها:

هل الاتصال الدعوي اتصال هادف فعلاً؟ ما النهايات التي يهدف إليها الاتصال الدعوي كعلم وممارسة إلى بلوغها؟ ما مدى وعي أطراف عملية الاتصال الدعوي بالمقاصد والأهداف الدعوية؟ هل الدعوة وظيفة، أم عبادة، أم قيمة؟ ما هي أقسام المقاصد الدعوية؟ ما هي أهم وظائف الاتصال الدعوي؟ ما الأثر المترتب على الفعل الدعوي، وكيف يتم قياسه؟

والفعل الدعوي من حيث المقاصد رهن بنوايا الفاعلين، "فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله؛ فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة

ينكحها؛ فهجرته إلى ما هاجر إليه".^(١)

وينقسم الفاعلون "الدعاة" تبعاً لذلك إلى ثلاثة أقسام، وهم: دعاة صالحون مصلحون، أعلاهم الأنبياء والمرسلون وأتباعهم من المصلحين، ودعاة صالحون في ذواتهم مفسدون بدعواتهم، وهم متعاطفون جاهلون، يفسدون من حيث يريدون الإصلاح، ودعاة فاسدون مفسدون، وهم المناوئون لإرادة الإصلاح ابتداءً، والمحادون لله ورسوله من الكافرين والمنافقين. وقد فصلت سور القرآن^(٢) في بيان شأن المجموعات الثلاث والتفريق بينها.

وكما يتعين "الوعي المقاصدي مطلباً أساسياً وسنة كونية ضابطة للعديد من القضايا والمسائل المتجددة، تتأكد أهمية الوعي المقاصدي في الجهود الدعوية المعاصرة، وأهمية إعداد دعاة أكفاء، يمتازون بعقلية مقاصدية، متفاعلين بإيجابية مع وتيرة التغيرات والتطورات المتسارعة والقضايا الدعوية المتشابكة"^(٣) وفي المقاربة المقاصدية للفعل الدعوي محاولة لمغادرة موقع الذاتية ووضع الأحكام بشأن موقف هذه الفئات من الدعوة في سياق قابل للعرض والتوصيف الموضوعي ومن ثم التقويم العادل.

يكتسب الفعل الاتصالي أو التواصل قيمته بالموازنة بين النية المحركة له، والغاية التي يسعى لها، مما يستحق الوعي بالمبادئ والمنطلقات، واستحضار المقاصد والنهايات فور الشروع في العمل، سواء أكان القائم بذلك الفعل فرداً أو مؤسسة.

(١) من حديث عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه". انظر:

- البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب: بدء الزحى، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ج ١، ص ٣، حديث رقم: (١).

(٢) خاصة سور: البقرة والمجادلة والمنافقون.

(٣) مبروكي، أسماء. "الوعي المقاصدي في العمل الدعوي المعاصر"، مجلة الإحياء، الجزائر: جامعة باتنة، كلية العلوم الإسلامية، مجلد (١٧)، العدد (١)، ٢٠١٧م، ص ٣٦٩.

ويمثل التلاقي بين "فقه المقاصد" بما يوفره من تجريد منهجي ومنظور كلي، و"فقه الدعوة" بما يتضمنه من الأصالة، و"علم الاتصال" بما يمثله من حداثة؛ مقدمات لفعل اتصالي راشد وفاعل.

والنظر إلى المقاصد والغايات والمآلات هو ديدن الدعوة الأوائل من أنبياء الله ورسله وصفوته من خلقه من المؤمنين. وتعد النية الصالحة والقصد الحسن - في معايير الإسلام - شرطاً في صلاح أي عمل؛ فلا صلاح للإجراءات والوسائل ما لم تصلح الغايات والمقاصد.

ومعلوم أن العادات تتحول إلى عبادات بالنية الصالحة والقصد الحسن، والاتصال ممارسة يومية تلقائية شاملة لكل أنشطة الإنسان الهادفة إلى في دلالتها المعنوية إلى تحقيق الصلاحية في ذاتها، والإصلاح لغيرها، وأن تزكو وتبارك بقدر ما توفر لها من "الروح والقيمة"، ولا سبيل لذلك إلا بابتغاء غايات سامية، ومقاصد نبيلة، مما يحيط نشاط الإنسان بروح الإيجابية، ويزيد من فرص الحياة الطيبة بإزاء مسببات الإحباط والقلق والتوتر في الحياة المعاصرة.

والفعل الاتصالي فعل قاصد سواء أصرح المتفاعلون فيه عن مقاصدهم أو أضمروها. وبتحديد المقصد يمكن الحكم على الفعل الاتصالي والأثار المترتبة عليه، ومقاصد الاتصال أكثر خصوصية من المقاصد العامة للشريعة، من أهمها: المقصد الدعوي، والمقاصد المهنية هنا هي النقاط التي تعود إليها أهداف الأنشطة الاتصالية في مختلف مستويات الاتصال، ذاتياً كان أو اجتماعياً، أو جمعياً أو ثقافياً أممياً أو عالمياً.

وإذا كانت الموضوعية التي وردت إلى وسائل الاتصال الجماهيري من جدالات فلسفة العلوم قد تم تكييفها في إطار الاعتراف الضروري بالتحيز الحتمي المتضمن في كل عملية تواصلية، فنشأت مع نضج وتطور البنية النظرية لعلوم الاتصال أطروحات تؤكد أهمية الالتزام الاجتماعي والانتظام ضمن نسق تواصلي محدد الغايات على نحو ما توضح نظريات نظم الإعلام السياسية والاجتماعية، ولعل أطروحة أستاذ الاتصال

الجزائري عبد الرحمن عزي تدفع بهذا الاتجاه، وتصرّح من عنوانها "نظرية الحتمية القيمة" بحتمية الالتزام القيمي لأي فعل اتصالي، وبذلك رفع الحرج عن أي مشروع للتوجيه القيمي للاتصال ووسائله. ولنا هنا أن نفترض تقسيماً موضوعياً لمقاصد الفعل الاتصالي عموماً والمقاصد الدعوية خصوصاً يقوم على التمييز بين المقاصد العامة أو "مقاصد الدعوة"، والمقاصد الخاصة أو "مقاصد الدعاة والمدعويين".

أولاً: مقاصد الفعل الاتصالي

لعل من الواضح أننا عندما نستخدم مفهوم "الفعل الدعوي" إنما نستعير من قاموس علوم الاتصال المفهوم الدال على السلوك التواصل في صوره المختلفة وهو مفهوم "الفعل الاتصالي"، وفي ذلك إشارة إلى أن الاتصال عادة ما يبدو أكثر وضوحاً عند التعرض له في سياقاته العملية بما يحققه من أهداف وما يستخدمه من وسائل ووسائل. وغلبة الطابع الوظيفي يتخلف عنه إعلاء للقيم العملية، مما يتطلب نوعاً من الانتباه والوعي استحضاراً المقاصد والغايات، فلا تكون الوسائل حاجبة لصاحبها عن الغايات والمقاصد.

لقد سعت بعض الدراسات القليلة في مجال الاتصال الدعوي لتأكيد الوظيفة الدعوية، وهو مما يجعلها الوظيفة الأكثر أهمية وإلحاحاً في سلم الوظائف الاتصالية للمجتمعات الإسلامية المعاصرة، وذلك ببيان ما يمكن أن تقدمه ثورة الاتصال في جانب الاتصال الدعوي، من خلال التأسيس علمياً للبنية التواصلية المعيارية للمجتمعات الإسلامية، والاستكشاف العلمي والمنهجي للأثار التي تتركها عليها ثورة الاتصال والمعلومات، وذلك بالتأسيس المنهجي للدراسات الدعوية.^(١)

وهي أمور حاضرة في أصول الوعي الإسلامي، فقد نبّه القرآن الكريم لما في الاتصال في صورته اللفظية من تجل لعظمة الخلق الإلهي الذي زود الإنسان بملكات

(١) العوض، محمد بابكر. "الاتصال الدعوي في المجتمعات الإسلامية المعاصرة: دراسة منهجية في إطار التكامل المعرفي"، مجلة تفكير، مجلد (١١)، العدد (٢)، (١٤٣٢هـ / ٢٠١١م)، ص ٨٧.

معنوية تزيد من قوته وقدرته على التحكم في أبعاد الزمان والمكان في تجربته على الأرض، عارضاً ذلك في إطار من التلازم. قال تعالى في سورة الرحمن: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝﴾ [الرحمن: ١ - ٤]، وقال مؤكداً خطورة التعامل مع هذه القوة التي ميزت الجنس البشري عن غيره من المخلوقات: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۝ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۝ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ۝ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۝﴾ [إبراهيم: ٢٤ - ٢٧].

وجسد النبي ﷺ في سنته الكريمة شاهداً حياً على أهمية البلاغة وقوة التعبير بالنسبة للداعية فقال ﷺ: "أُوتِيَتْ جَوَامِعُ الْكَلِمِ" وقال في قوة التأثير بالكلمات: "إن من البيان لسحراً" (١) وأشار في ذات الوقت إلى الاتصال غير اللفظي وما يحمله من دلالات تواصلية؛ ولكنه أكد أن المعوّل في ذلك كله هو الغاية المترتبة على الاتصال والأهداف التي يخدمها، والمالات التي سينتهي إليها، كما ندد بالتوظيف السلبي لقوة الاتصال مثله في قوة التعبير وسحر البيان. قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [لقمان: ٦] "ونبه على حقيقة الرقابة الإلهية على الفعل التواصلية فقال عزّ شأنه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آذَنٌ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

ثانياً: المقاصد الدعوية

الدعوة فعل اتصالي له مقاصده، وإن كان هذا الوعي المقصدي بين الناشطين في ميادين الدعوة يكاد يكون أمراً نادراً، مما يدعو لأهمية تفعيل المقاصد في العمل

(١) البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب: الطب، باب: إن من البيان لسحراً، ج ٥، ص ٢١٧٦، حديث رقم (٥٤٣٤).

الدعوي، ويبرز ذلك بما يعرضه بعض الدعاة من عدم قدرة على التعامل مع معطيات الواقع وترتيب أولويات العمل الدعوي، واستشراف مآلاته، ولعل من ثمرات مراعاة المقاصد وتفعيلها في العمل الدعوي أنها تُرشد ذلك العمل وتقويه، وتختصر الوقت والجهد والمال في إنجازه، وتحقق أهدافه بسرعة.

١ - المقاصد العامة أو مقاصد الدعوة:

لا تخرج المقاصد الكلية للفعل الدعوي كفعل اجتماعي عما قرّره فقهاء المقاصد، فالشريعة الإسلامية هدفت لحفظ الكليات الخمس التي اصطلح على تسميتها "المصالح الضرورية" أو "الضروريات الخمس" المعتبرة في كل ملة؛ وهي: الدين، النفس، العقل، النسل، والمال. "وقد نصّ العلماء على أن مقصود الشرع من الخلق خمسة، وهو أن يحفظ عليهم دينهم، وأنفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم، وكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة، وقد أفاض العلماء في طرائق حفظ هذه المصالح أو الكليات الخمس من ناحية الوجود والعدم.

وقد جرى الاجتهاد المقاصدي في توسيع أفق المقاصد للخروج بها من الانحصار في حدود التدين الفردي، ولعل أكبر الإضافات الاجتهادية هي ما أضافه العلامة ابن عاشور، حيث قال: إن المقصد العام للتشريع هو "حفظ نظام الأمة واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه، وهو نوع الإنسان، ويشمل صلاحه عقله، وصلاح عمله، وصلاح ما بين يديه من موجودات العالم الذي يعيش فيه".^(١)

ويقرر ابن عاشور في مقدمة كتابه ما يأتي: إن "مصطلحي إذا أُطلقت لفظ التشريع فإني أريدُ به ما هو قانونٌ للأمة، ولا أريد به مطلق الشيء المشروع، فالمندوب والمكروه ليسا بِمُرَادَيْنِ لي"، مقررًا بذلك أن علم مقاصد الشريعة علمٌ يتناول

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر. مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق: المساوي محمد الطاهر، عمان: دار النفائس، ط ٢، (١٤٢١هـ / ٢٠٠١م)، ص ٦٣، وانظر أيضاً:

- الفاسي، علال. مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط ٥، ١٩٩٣م، ص ٤٦.

الموضوعات العامة ذات الصبغة الجماعية، وأن الأحكام التي يأمل أن يؤسس قواعدها هي أحكامٌ تتناول المجتمع والأمة والجامعة الإسلامية، ويتابع قائلاً: "كما أرى أن أحكام العبادات جديرةٌ بأن تُسمى بالديانة، ولها أسرارٌ أخرى تتعلق بسياسة النفس وإصلاح الفرد الذي يلتئم منه المجتمع".^(١)

وعند مقارنة طرح ابن عاشور بما قدّمه الشاطبي نجد الأخير قد مزج في كتابه "الموافقات" في تعريفه للمقاصد الضرورية بين الدنيا والآخرة، لأن بُعد الأمة لم يكن حاضراً في كتابته. أما ابن عاشور؛ فإنه يقرر بوضوح: "فالشرائع كلها وبخاصة شريعة الإسلام جاءت لما فيه صلاح البشر في العاجل والآجل؛ أي في حاضر الأمور وعواقبها، وليس المراد بالأجل أمور الآخرة؛ لأن الشرائع لا تُحدّد للناس سيرهم في الآخرة، ولكن الآخرة جعلها الله جزاء على الأحوال التي كانوا عليها في الدنيا".^(٢)

ومن هنا لا نرى غرابةً في أن الشاطبي يكتب للفرد ويُحدّد مقصد الشريعة بأنه إخراج العبد عن داعي هواه؛ ليكون عبداً لله، ويمزج بين الدنيا والآخرة، ويتكلم عن التكليف بأن منها ما هو معقول المعنى؛ أي أن باستطاعة البشر إدراك المعاني والحكم الكامنة وراء تكليفهم بها، ومنها ما هو غير معقول المعنى.

أما ابن عاشور؛ فحيث إنه وضع الأمة كإطارٍ للبحث في المقاصد، فقد كان من المناسب تماماً أن يفصل بين الحديث عن المقاصد وبين أحكام الآخرة؛ لأن الآخرة هي جزاءٌ للأفراد، قال تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ عِندَ اللَّهِ بِمَا كَسَبَ وَكُنَّ لَهُمْ أَجْرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَذُرْهُمْ﴾ [مريم: ٩٥]، وكذلك فإنه يكتب عن الأمة، والجزاء الجماعي للأمة هو في الدنيا، كما أن المسؤولية عما تتورط فيه الأمة مسؤولية جماعية قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ﴾

(١) ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٧-٨.

(٢) أدهي، رياض. بُعد الأمة في الخطاب المقاصدي عند الإمام ابن عاشور، مقال على موقع الرشد الإلكتروني، (٢٤ / أيار / ٢٠١٦ م). انظر:

html/المقالات/الشريعة-والمقاصد/بعد-الأمة-في-الخطاب-المقاصدي-عند-الإمام-ابن-عاشور/www.alrashad.org -

خَاصَّةً ﴿[الأنفال: ٢٥]، ومن الصعب إدخال النيات ومقاصد الأفراد في صياغة الأحكام الجماعية، ولذلك فقد وصف ابن عاشور التشريع بأنه قانون الأمة.

وإن من الواضح أنه عندما يكون الحديث عن الأفراد كإطارٍ للمقاصد، فإن من الطبيعي أن تتوسع دائرة التعبد وغير معقول المعنى؛ لأن الفرد مُطالبٌ بالإيمان بالغيب، ومُطالبٌ بالإيمان بالمتشابه من آيات الصفات دون كيف، ومُطالبٌ بالإحالة إلى التسليم عند الشك، ومُطالبٌ بمخالفة الهوى، ومُطالبٌ بإصلاح النية والقصد والتوجه ولو لم يعلم على التفصيل حكمة ما طُوب به من عبادات وشعائر ونُسكٍ وأوامر ونواهٍ.

وكلما تجاوز الأمر العباديَّ الفردَ وأُعطِيَ بصيغة تمسُّ الأمة والجماعة ضاقت مساحة غير معقول المعنى، وتوسَّع العلماء في الحديث عن المصالح والحكم، ولا تجد من يُنكر المعاني والمصالح الكامنة وراء اجتماع المسلمين للصلاة والجمعة والأعياد والزكاة والصدقات وصلة الأرحام وعيادة المرضى والمواساة وغير ذلك من الأمور؛ حتى إذا وصل الأمر إلى ترتيب مصالح المسلمين العامة في الدنيا كان من الطبيعي أن تضيق، بل وتنتهي دائرة غير معقول المعنى؛ لأن ذلك ألصقُ بطبيعة التدين الفردي الذي مال ابنُ عاشور إلى تسمية أحكامه بالديانة، تمييزاً لها عن التشريع الذي خصَّه بمجال الأمة، ومن هذا الإطار تحدَّث ابنُ عاشور عن حاجة الفقيه إلى معرفة مقاصد الشريعة بحيث تضيق مساحة القضايا التي لا يعرف علل أحكامها، أو حكمة الشارع في تشريعها بقدر ما يتحصَّل له من الفهم العميق والربط الوثيق بين أوضاع الأمة ومقاصد التشريع.

وبهذا يكون هناك إطارٌ فرديٌّ للعقائد والأحكام لا ضير في توسع مساحة التعبدية فيه، إيماناً بالغيب وتبتلاً في رحاب الخضوع والعبادة، وتسليماً بأن المحدود الضعيف لا يمكن أن يحيط بالمطلق الذي وسع كرسية السماوات والأرض. وأما إطار الأمة فالأصل فيه أن تضيق مساحة غير معقول المعنى، لأن أمر الأمة في الدنيا مبنيٌّ على المصالح، والمصالح في الدنيا بطبيعتها معقولة المعنى، يتسلَّط عقل الإنسان عليها بالفهم والترجيح والموازنة، ويسترشد بضوابط الوحي المعقولة في إجراء ذلك الترجيح وتلك الموازنة.

إن معقولية التقصيد في التشريع أمرٌ تبغي لالتزام الأحكام المقررة ابتداء في نصوص الشريعة وتنزيلها على ما شاكلها من الأحوال والنوازل المستجدة، وهو بذلك التزام للمقاصد في تقرير أحكام جديدة، أما الأفعال؛ فمرتبة بمقاصدها ابتداءً، وأهم أعمال التعبد في هذا الجانب هو الدعوة إلى الله التي وضعها العلماء المجتهدين في المقاصد في أعلى هرم أهداف التشريع الإسلامي، والتي يجيء في مقدمتها "تبليغ شريعة الله للناس كافة" فقد خلق الله تعالى الإنسان لغايات أهمها: عبادة الله تعالى، وعدم الشرك به، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ولهذا أمر سيدنا محمد ﷺ بمقاتلة من يجب قتاله حتى يؤمن بالله تعالى. ولتحقيق هذا الهدف أرسل الله تعالى رسله للعباد. ويهدف الشارع من إرسال الأنبياء والرسل تحقيق ما يأتي:

- دعوة الناس إلى عبادة الله تعالى، وتحريرهم من عبودية غيره من طواغيت وطبيعة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

- تعليم الناس دستور السماء، بما فيه من عقيدة وعبادة وأخلاق ومعاملات، ونظام سياسي واجتماعي واقتصادي وتربوي وجهادي وتعلمي، ثم وجوب العمل بما تعلموه، وتطبيق ذلك تطبيقاً كاملاً في مرافق الحياة جميعها، وأن تحكيم غير ذلك في مجال علاقات الأفراد والأسر والجماعة يُعدُّ كفراً وظلماً وفسقاً. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْمَوْا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً فَلَا تَحْشَوْا النَّاسَ وَخَشَوْنَ اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَاقِبَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] فقال ﷺ: "لا يكن أحدكم إمعة؛ يقول: أنا مع الناس، إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت...". كما ركن القرآن استجابة المؤمنين لأي خطاب قولي، فقال: ﴿الَّذِينَ

يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ [الزمر: ١٨].

- وفي ذلك التعليم تأديب وتزكية وإصلاح للناس جميعاً. قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رُسُلًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، وقد مرت الدعوة إلى الله زمن الرسول الله ﷺ بأربع مراحل:

المرحلة الأولى: الدعوة السرية، واستمرت ثلاث سنين.

المرحلة الثانية: الدعوة جهراً وباللسان فقط، واستمرت إلى الهجرة.

المرحلة الثالثة: الدعوة جهراً مع قتال المعتدين والبادئين بالشر والقتال، واستمرت هذه المرحلة إلى عام صلح الحديبية.

المرحلة الرابعة: الدعوة جهراً مع قتال من وقف في وجه الدعوة، ومنع الناس من الدخول فيها بعد إنذاره. وهذه المرحلة هي التي استقر عليها التشريع في الدعوة والجهاد.

٢- المقاصد الخاصة، أو مقاصد الدعاة والمدعوين:

المقاصد الخاصة هي مقاصد متعلقة بما تنطوي عليه إرادة القائمين بالدعوة حال اجتماعهم، وهي محل النظر في هذا الفصل، والمعيار في ذلك أن يتوافق قصد كلٍّ من القائم بالاتصال الدعوي، والمتلقّي للرسالة الدعوية مع المقاصد العامة للدعوة، والمقاصد الكلية للأمة.

أ- مقاصد الدعاة:

تتأثر حركة الدعوة بحركة الدعاة التي تحتاج إلى أعمال فقه المقاصد وتفعيله بينهم، وتدرسه لقواعدهم، واهتمام مؤسسات الدعوة ووزارات الأوقاف به، وبيان أهميته لهم وخطورة غيابه عن ممارستهم للدعوة، ويحتاج الدعاة في هذا العصر إلى مزيد من العلم، ومزيد من التعمق في فقه الدعوة وفقه المقاصد وفقه الواقع، وغير ذلك من

علوم. "كما أن من ثمرات مراعاة المقاصد وتفعيلها في العمل الدعوي تضيق دوائر الخلاف بين الدعاة وأتباعهم، وبناء وتعزيز العقلية المقاصدية والتفكير المقاصدي عند الدعاة والقائمين على الدعوة؛ ليظهر ذلك في مواقفهم وأولوياتهم ومعالجاتهم للأمر حسب مقاصدها ومراتبها ومآلاتها، والقدرة على بيان محاسن الإسلام وحكمه التي لا تظهر على تمامها وعلى حقيقتها إلا ببيان مقاصدها ومصالحها، والتمكّن من تحسين تدين المسلمين، وفي مقدمتهم أهل الدعوة أنفسهم، والارتقاء بهذا التدين من الصورية والظاهرية والتقليدية، إلى الوعي والإتقان والإحسان، وتحقيق مقاصد التكليف الشرعية، وترتيب الأولويات، والاختيار الصحيح للوسائل والتجديد فيها."^(١)

ب- مقاصد المدعوين:

إنّ القول في شأن المدعوين مشابه لما قلناه في شأن الدعاة من أهمية إعمال فقه المقاصد وتفعيله بينهم، وتدريبهم إياه، باعتبارهم هم قواعد الدعوة وأتباعها وحماها، وهم الذين يقع عليهم فعل الدعوة، وهم الذين يوكل إليهم أمر تأويل رسائلها إلى وقائع آنية، وأفعال اجتماعية، وتأثر الطريقة التي يتلقى بها المدعوون الخطاب الدعوي بما لديهم من وعي ومعارف وخبرات، تساعد في تحديد أشكال استجابتهم له، وتحديد موقفهم منه ما يلزم معرفتهم بما لا غنى لهم عنه من فقه الدعوة وفقه المقاصد وفقه الواقع، وقد وجه النبي ﷺ هذه الفئة بكثير من الموجهات الهادية لتفاعلهم، والمنظمة لاستجاباتهم بما يحقق مصالحهم ومصالح أقوامهم ومصالح الأمة من بعد ذلك مما يتطلب نوعاً من الترجيح والتخير، وهي المواقف التي يحتاج فيها المسلم للمقاصد كمعيار للخيارات الاجتماعية، كونها تهدي لما يحقق الأهداف الكلية والمقاصد النهائية للفرد وللأمة.

(١) أبو زيد، وصفي عاشور. الدعوة بلا مقاصد يترتب عليها مشكلات وسلبات لا تحصر (حوار)، موقع رسالة الإسلام، بتاريخ ١٣/١١/١٤٣٢هـ، الموافق ١٠/١١/٢٠١١م. انظر:

ثالثاً: وظائف الاتصال الدعوي

للاتصال وظائف متعددة، وقد تباينت تصنيفات تلك الوظائف بين علماء الاتصال من حيث طبيعتها وعددها، تبعاً لاختلاف في الزاوية التي ينظر منها أي من هؤلاء العلماء إلى وسائل الاتصال، فتتعدد الوظائف وتتنوع بتعدد وتنوع المجالات الحياتية في المجتمع وخلفيات هؤلاء العلماء، فنلاحظ أن علماء الاجتماع مثلاً يركزون على دور وسائل الاتصال في التنشئة الاجتماعية، بينما يركّز السياسيون على الدور السياسي لها في خدمة النظم، أو تحقيق المشاركة السياسية، ويركّز خبراء التربية والتعليم على دور الاتصال في خدمة العملية التربوية غير النظامية لشرائح المجتمع كافة، أما الإعلاميون؛ فيدور اهتمامهم حول الوظيفة الإخبارية لوسائل الاتصال.

١ - وظائف الاتصال في النظم الغربية:

نجد أن علماء الاتصال لم يتفقوا على تصنيف مُوحّد أو دقيق لهذه الوظائف، لا من حيث العدد أو الطبيعة، بل عرض نماذج شتى لتصنيف تلك الوظائف، ولعل أشهر تلك التصنيفات الغربية (المدرسة الأنجلو أمريكية): تصنيف (هارولد لازويل)، وتصنيف (لازر سفيلد) و(ميلتون)، وتصنيف (ابليوم).

فقد حدّد نموذج عالم السياسة (هارولد لازويل)^(١) ثلاث وظائف لوسائل الإعلام، هي: مراقبة البيئة، وتحقيق ترابط أجزاء المجتمع في الاستجابة للبيئة، ونقل التراث الاجتماعي عبر الأجيال.

أما الاجتماعي (بول لازرسفيلد) وزميله (روبرت ميرتون)؛ فاختصراها في التشاور، وتدعيم المعايير الاجتماعية، وتجاوز الخلل الوظيفي. وفي إطار تمييز (ميرتون) بين الوظائف العلنية والكامنة، أو المستترة للظاهرة الاجتماعية أشار (ميرتون) إلى أن كل ظاهرة اجتماعية تحقق وظيفتين بأن واحد: إحداها: علنية وظاهرة. والأخرى: كامنة ومستترة.

(١) مكاي، والسيد، الاتصال ونظرياته المعاصرة، مرجع سابق، ص ٧٤.

ومثال ذلك: ما تقوم به الجماعة من ممارسة للشعائر الدينية عند وقوع الأزمات الكبيرة، فتتحقق بذلك وظيفتان أساسيتان؛ الأولى: الوظيفية العقائدية، وهي وظيفة العبادة، و(هذه الوظيفة الظاهرة العلنية)، غير أن هذه الممارسات تعزز التضامن الاجتماعي، وتُسهم في وحدة الجماعة، و(هذه الوظيفة الكامنة، أو المستترة).

وتتميز الرؤية الاجتماعية لميرتون بأن نظريته ذات المدى المتوسط Middle Ranges تعني كما يدل اسمها بمستوى من التحليل يذهب إلى أبعد من مجرد جمع الحقائق، لكنه لا يدعي -في الوقت نفسه- الشمولية، ولا يغرق نفسه في التأملات الفكرية الضخمة، التي ليس لها أي علاقة بالواقع.^(١)

أما (رونالد ابليوم) وزملاؤه^(٢) فيتوسعون في وظائف الاتصال لتصبح سبع، مع الأخذ في الاعتبار مفهوم الاتصال بمعناه العريض، والذي يتجاوز تبادل الأخبار والرسائل إلى النشاط المتضمن تبادل الأفكار، وعلى هذا الأساس فإن وظائف الاتصال في أي نظام اجتماعي كما يرى ابليوم لا بد أن تشمل:

- الإعلام Information: يركز على جمع المعلومات وتخزينها وتحليلها ومعالجتها.
- المشاركة الاجتماعية Socialization: تهتم بتوفير المعلومات التي تساعد على تحريك المجتمع باعتبارهم من أعضائه ويعيشون فيه، بما يعين على تضامنهم وتكاتفهم.
- الحث والدافعية Motivation: تطوير الأهداف الآنية والمستقبلية لكل مجتمع وتحريك رغبات الأفراد وخياراتهم، ورعاية النشاط الفردي والجماعي الموجه لتحقيق الأهداف المتفق عليها.

(١) لازرسفيلد، بول ف. الاتجاهات الأساسية في علم الاجتماع، ترجمة: أحمد النكلاوي وعواطف فيصل بياري، القاهرة: مكتبة نهضة الشروق، ١٩٨٠م، ص ٦٨.

(2) Applbaum, Ronald A. and others. *Fundamental Concepts in Human communication*. New York & London: Linfield press, 1st ed., 1973, p. 49.

- النقاش والجدل Debate and Discussion: تسهيل وسائل تبادل الآراء والأفكار بأمل الوصول إلى اتفاق حول الموضوعات التي عادة ما تكون مثار جدل في المجتمع، وإثارة الجمهور، وإغرائه للدخول في حلبة الاهتمامات بالمسائل العامة التي تهم الجماعة.

- التعليم Education: رعاية وتنمية القدرات الفعلية وتكوين الشخصية، والحصول على المهارات والقدرات في مراحل الحياة كلها.

- ترقية الثقافة Cultural Promotion: نشر الثقافة والإنتاج الفني بغرض الحفاظ على التراث وتطوير الثقافة.

- الترفيه Entertainment: قد لا يتفق الباحث مع _رونالد ايليوم_)، ويرى أن هنالك خلطاً ما بين الوظائف والأغراض وكذلك الوسائل، فمثلاً الحوار والجدل هي من الوسائل المعروفة أو الأشكال الاتصالية التي يمكن من خلالها تحقيق وظائف متعددة، أو الوصول إلى أهداف محددة، فالحوار وسيلة وقالب يمكن أن يخدم وظيفة التثقيف أو التعليم أو الدعاية، ويصعب أن يصنف كوظيفة، وإلا فإننا يجب أن نراجع القوالب الأخرى، مثل: الحديث المباشر، أو السرد، أو الدراما، ونعدها وظائف، بذات القدر نجد أن وظائف أساسية مثل: الوظيفية المعرفية والوظيفة الدينية تعتمد من البعض وتُسَقَط من قبل آخرين.^(١)

(١) وقد نتفق هنا أن ما ساقته د. سوزان القليني، ود. صلاح مذكور هو الأقرب إلى التصنيف الصحيح لوظائف الاتصال، مع الأخذ في الاعتبار أنه ليس من الضروري أن تقوم وسائل الاتصال بكل هذه الوظائف مجتمعة، حيث تدخل عوامل شتى في تحديد بعض أو كل هذه الوظائف، منها طبيعة القائم بالاتصال وأهدافه، والجمهور المتلقي (طبيعته، المستوى التعليمي، المستوى الاقتصادي والاجتماعي)؛ إضافة إلى أهمية موضوع الرسالة واهتمامات الشريحة المستهدفة. والتصنيف السابق نفسه لا يشمل كلوظائف الاتصال التي يمكن أن يستنبطها الباحث بالنظر إلى الأدوار التي تقوم بها وظائف الاتصال، فهناك وظائف أخرى مهمة لا يمكن إغفالها، مثل: وظيفتي الدعوة والدعاية، والإعلان.

عريباً يرى علي محمد شمو: أن الوظائف الرئيسية للاتصال أربع؛ لأن مضمون ما تحمله وسائل الاتصال لا يخرج عن نطاق وظائف:

- الإعلام.
- التعليم.
- الإقناع والإغراء.
- الترفيه.

ويتعين هنا أن تتصور هذه الوظائف ليست مفصولة عن بعضها فصلاً حاداً، كما يتصور بعض الدارسين، وهي في كثير من الأحيان متداخلة خاصة في مجالي التعليم والترفيه.^(١)

وقد تتداخل الوظائف مع الأهداف كما هو الحال في الوظيفة الثالثة، حيث إن أي عمل اتصالي والمتضمن للوظائف السابقة الإعلام أو التثقيف أو الدعاية والإعلان أو حتى الترفيه، يرمي دائماً إلى الوصول إلى إقناع المتلقي أو إغرائه بسلعة، أو خدمة، ولا شك في أن القول بأن هذه الوظائف ليست مفصولة عن بعضها قولٌ تؤيده كثيرٌ من الشواهد، حيث إن أكثر من وظيفة يمكن أن تلتقي من خلال النشاط الاتصالي الواحد، ولعل ما يؤكد ذلك ما يمكن ملاحظته عن طريق وسائل الاتصال التقليدية والحديثة، التي تعتمد إلى الوصول إلى وظيفة التثقيف عن طريق برامج المعلومات، وهي برامج تدخل من باب وظيفة الإعلام أو الإخبار، أو بملاحظة برامج المسابقات، وهي في الأصل برامج ترفيهية، ولكنها تؤدي دوراً تثقيفياً أو تعليمياً، وهكذا، غير أن كل ذلك لا يقوم مقام التأكيد بأن الإقناع هو وظيفة قائمة بذاتها، وإنما هي هدفٌ أو غرضٌ من أغراض الاتصال بشكل عام، ولعل ما يسوغ وقوفنا عند وظيفة الإقناع هذه أنها ذات علاقة قوية بالدعوة.

(١) شمو، علي محمد. الاتصال الأساسيات والمهارات، الخرطوم: منشورات جامعة السودان المفتوحة، ٢٠٠٦م، ص ٤٢.

هذا من حيث التصنيف المدرسي للوظائف وأقوال العلماء حولها، وهي وظائف وسائل الاتصال التقليدية. أيضاً هناك وظائف كلية تحتوي داخلها جملة من الوظائف الفرعية المشار إليها آنفاً، وتمثل أبعاداً رئيسية للعمل الاتصالي بعموم ولها تأثيرها على الأنظمة الاتصالية العامة.

وعليه يمكن اعتبارها وظائف كلية للنظام الاتصالي بوسائله وأجهزته المختلفة، وسنلاحظ أيضاً أن لها ارتباطها بالمقاصد الكلية، وحتى نميز بينها وبين الوظائف السابقة اعتبرناها أهدافاً رئيسية لوسائل الإعلام في ظل أنظمة الاتصال الدعوي، ل يتم تعريفها على هذا النحو، وأهمها الأهداف المعرفية، الأهداف الاجتماعية والاقتصادية، وأهداف النفسية والسلوكية، والأهداف الدينية والتعبدية.

٢- وظائف الاتصال في النظم الإسلامية:

تقتضي معرفة مهمة الداعية ووظيفته العودة إلى كتاب الله وسنة النبي ﷺ، وبالتدبر في النصوص الكثيرة المتعلقة بدعوة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَام، ندرك أنه كان لهم وظائف أساسية، كانوا يقومون بها تجاه من أرسلوا إليهم، أهمها: وظيفة البلاغ، ووظيفة التعليم والتزكية، ووظيفة التنفيذ والتطبيق، واعتبارها أهم وظائف الدعوة، حيث عرّف بعض الباحثين المعاصرين الدعوة بأنها: "تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة"^(١) وكما ذكرنا آنفاً، فإن الدعوة في السياق الاجتماعي تقتضي تعريفاً أكثر شمولاً يستوعب في ثناياه وظائف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحسبة العامة ومناصرة ولاية الأمر، هذا بخلاف الوظائف التقليدية للدعوة، مثل: الأذان للصلاة، والخطابة المسجدية، والوعظ والإرشاد الاجتماعي.

وينظر الباحثون في مجال الإعلام الإسلامي إلى وظائف الإعلام من خلال زاوية أخرى تأخذ في الاعتبار العمق الرسالي، والغايات التي تعضد الدور الإيجابي التفاعلي

(١) سكحال، نور الدين. مادة مناهج الدعوة، مطبوعة التدريس، السنة (٢)، الجزائر: جامعة الأمير عبد القادر، ٢٠١٢م، ص ٢-٣.

للإنسان كخليفة لله في الأرض، ويعتبرون أن الإعلام الإسلامي يرتب مسؤولية عظيمة تقع على عاتق كل مسلم من جهة، ورجال الإعلام بصفة خاصة، وهذه النظرة تتجاوز الفكرة الوظيفية المجردة التي لا تضع اعتباراً للغاية من هذه الزاوية، يحدد عبد الوهاب كحيل وظائف الإعلام الإسلامي في: ^(١)

- الإقناع بأهمية الاتجاه الإيماني في مواجهة التيارات المادية.

- الإعلام بالدين الإسلامي (التعليم والتوجيه) والتعريف بقواعده لإظهار أنه الدين المناسب لهذا العصر، وحل مشكلاته.

- تنظيم حياة البشر على أسس سليمة مستمدة من الدين الإسلامي.

- التعريف بالآخرة والسعادة فيها.

ونرى أن ما أورده كحيل هو إشارات لما هو مطلوب من وسائل الاتصال في إطار وظيفة الدعوة، والتي تتداخل معها وظائف الإرشاد والتوجيه والتثقيف والتعليم وغيرها، ولا يعني تصنيفاً لوظائف الاتصال كما قد يلتبس على بعضهم.

وبصرف النظر عن تعدد آراء العلماء والخبراء حول وظائف الاتصال، يلاحظ أن معظم علماء الاتصال وخبرائه يتفقون حولوظيفتين أساسيتين، هما: الإعلام والإخبار؛ والترفيه والتسلية.

حيث إن هاتين الوظيفتين، من الوظائف المرنة والقابلة لاستيعاب عدد من الوظائف الأخرى، فالإرشاد والتوجيه يمكن أن يتم من خلال وظيفة الإعلام أو التسلية، وكذلك التعليم والتثقيف، على أن أي نشاط اتصالي تقوم به وسائل الاتصال يمكن تأطيره ووضعه في قالب المعين، ويعتبر ذلك دلالة على الوظيفة الاتصالية.

(١) كحيل، عبد الوهاب. الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامي، القاهرة: عالم الكتب، ط١، (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م)، ص ٨٥.

وقد كان لباحثي الإعلام والاتصال المسلمين محاولات عدة لتقديم قراءة إسلامية لوظائف الاتصال كانت في غالبها شكلاً من المحاكاة، أو التناظر مع الوظائف المشار إليها آنفاً، سوى بعض محاولات سعت لتقديم الجديد من خلال تأسيس نظري مستقل منها أطروحة "فلسفات الإعلام المعاصرة في ضوء المنظور الإسلامي"^(١) التي تعدّ من المساهمات الأحدث صدوراً والأكثر تعمّقاً في الجانب التنظيري، حيث سعت إلى بناء منظور مستقل لوظائف الاتصال يقوم على الجمع بين البُعدين؛ الاجتماعي والمقاصدي، معتبرة أن الغاية الأساسية لما أسمته بـ"الكوزمولوجيا الإسلامية" تتمثل في إقامة مجتمع الاستخلاف الذي تتحقق فيه العبودية المطلقة للخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والذي يحقق لأفراده السعادة في الدنيا، ويضمن لهم الخلود في نعيم الآخرة، ويسعى جاهداً لنشر الدين الحق، وإعلاء كلمة الله في أرضه، ورتب على ذلك أن وسائل الإعلام في المجتمع المسلم مطالبة بالاضطلاع بوظائف عدة، أجمالها في:

أ- ترسيخ عقيدة التوحيد في مجتمع الاستخلاف الذي يتطلب اضطلاع وسائل الإعلام بهذا الدور القيام بمهمتين:

- مقاومة الأفكار والعادات والتقاليد المنافية لعقيدة التوحيد، ونشر وترسيخ تعاليم عقيدة التوحيد في النفوس.

- تدعيم الوظيفة العمرانية لمجتمع الاستخلاف.

ولا يقف الدور المنوط بوسائل الإعلام في إقامة مجتمع الاستخلاف - كما يراه السماسيري - عند حد توعية الفرد المسلم بأمور دينه وبرسالته في مجتمع الاستخلاف، وإنما يمتد إلى الإسهام في توعيته بالسبل المثلى للمشاركة الإيجابية في الوظيفة العمرانية للمجتمع.

(١) السماسيري، محمود يوسف. فلسفات الإعلام المعاصرة في ضوء المنظور الإسلامي، هرنند: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، (١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م).

ب- كشف أي خلل أو قصور في مسيرة مجتمع الاستخلاف

تعد هذه الوظيفة من أهم الوظائف الملقة على عاتق وسائل الإعلام في المجتمع المسلم، ففلسفة الإعلام الإسلامي لا ترى في ممارسة هذه الوظيفة مجرد حق يمكن للقائمين على أمر هذه الوسيلة الاضطلاع به أو التخلي عنه، وإنما تنظر إليه على أنه واجب لا بد من الاضطلاع به، سواء أكان هذا الخلل أو القصور متعلقاً بأمر من أمور الدين، أم بأمر من أمور الدنيا، صادراً من قبل فرد، ولو كان الحاكم نفسه، أم من جماعة،^(١) متمثلاً في الامتناع عن الاضطلاع بمعروف مأمور به، أم في اقتراف منكر منهى عنه.

ت- إعلاء كلمة الله في أرضه، "نشر رسالة مجتمع الاستخلاف".

ث- يتطلب القيام بهذه الوظيفة الاضطلاع بمهمتين، هما: مواجهة الحملات الإعلامية المضادة للإسلام، الاجتهاد وبكل السبل في نشر رسالة الإسلام.

من الواضح أن هذه الوظائف بالطريقة التي عرضت بها لم تكتسب من الإجماع والتوافق ما تحقق للوظائف الاتصالية المذكورة قبلها في السياق الغربي، ولا حتى تلك التي أشار إليها باحثوا الإعلام الإسلامي، مما يعني أنه اجتهاد قابل أن يحدث أثره متى ما تحقق له ذلك القبول، واتخذ طريقة للتداول والتفعيل ضمن أنظمة الاتصال الإسلامي.

ونخلص إلى أن معظم الدراسات في مجال وظائف الاتصال ركزت على تلك الوظائف من جهة القائم بالاتصال، حيث إن الدراسات التي اضطلعت بمهمة تحديد هذه الوظائف من جانب المتلقي قليلة جداً، وقاصرة، ولم يجد الباحث سوى إشارة للدكتور مكاوي في كتابه "الاتصال ونظرياته المعاصرة"^(٢) حول ضرورة التفريق المبدئي بين الوظائف التي تحققها وسائل الإعلام لنا كأفراد، وبين الوظائف التي تحققها للمجتمع، وربما يعود ذلك إلى أن معظم تلك الدراسات تمت في فترة ما قبل البث الفضائي، حيث إن هذه الوظائف يتم تحديدها بالأهداف التي يرسمها القائم

(١) الساسيري، فلسفات الإعلام المعاصرة في ضوء المنظور الإسلامي، مرجع سابق، ص ٥٦٥.

(٢) مكاوي، والسيد، الاتصال ونظرياته المعاصرة، مرجع سابق، ص ٦٦.

بالاتصال، وقد زادت ثورة الاتصالات وانتشار وسائل الاتصال من أهمية المتلقي، ويبقى من المهم إعادة قراءة طبيعة هذه الوظائف من جهة نظر المتلقي؛ لنستكشف على سبيل المثال نوعين من الوظائف ذات الأولوية والأهمية الكبرى لدى الباحثين والقائمين بالاتصال الدعوي، مثل الوظائف الدينية للاتصال، والوظائف المعرفية، وهو ما سيأتي بيانه لاحقاً.

٣- الوظائف العامة للاتصال الدعوي:

أ- الوظيفة الدينية:

وتمثل الوظيفة الدينية روح الممارسة الدعوية، وتتجلى في النواحي التعبدية القائمة على التواصل وجوانب في المعاملات والتفاعلات الاجتماعية المندوب إليها والمؤسس لها دينياً لتبقى على استدامتها وصيرورتها ما دام الدين وبقيت الأمة.

ويمكن القول بإجمال أن وظائف الاتصال الدعوي لا تختلف كثيراً عن بقية أنماط الاتصال، فهو يحوي وظائف التربية والإرشاد والتوجيه، باعتبارها الطرائق المؤدية للهداية في الدنيا، والفلاح في الآخرة، إضافة إلى أنه يهتم بوظائف التعليم والثقيف وغيرها من الوظائف المتعلقة بنشر العلم والمعرفة الصحيحة، إلى جانب وظائف الإعلام والإخبار، فإنه لا يهمل الترويح والتسلية والترفيه، كوظائف أساسية للتواصل.

ب- الوظيفة المعرفية:

وُلدت مصاحبة للنشأة الأولى للاتصال الإنساني من خلال أساليب الخطابة والكتابة، وقد اهتم الفلاسفة والمفكرون القدماء والمحدثون بالمضمون الاجتماعي للمعرفة، وبرزت في هذا السياق مسألة "التواصل المعرفي" بين البشر عبر الاهتمام بالروابط العقلية التي تربط بين الناس وتجعل التفاهم بينهم ممكناً، "فعن طريق المعرفة يستطيع الإنسان أن يخرج من عزلته وانطوائه الذاتي والتغلب على التفكك الناشئ عن التقسيم المكاني والزمني للعالم، فالمعرفة قوة موحدة في عالم مفكك والجانب الاجتماعي من المعرفة يعرف بصحته الجميع و"المنطق" نفسه الذي هو أساس الاتصال

العقلي هو أيضاً ذو طابع اجتماعي، ودرجة الاتصال التي تبلغها المعرفة تعتمد اعتماداً كبيراً على الروح الاجتماعية الموجودة في مجتمع ما. وأمر نجاح التواصل الحضاري راجع في الأصل إلى عناصر تداولية متنوعة على رأسها عنصر الذوات المتفاعلة التي تصنع التفاهم والمعرفة المشتركة Mutual Knowledge بين المتخاطبين، أو ما يسمى بالأرضية المشتركة Common Ground، وهي معرفة بنيوية ذات نسيج معقد التركيب، وعنصر متعلق بموضوعات التفاعل ومنها المعارف والعلوم بأبعادها المختلفة، والوظيفة المعرفية بالشرح السابق وظيفة كلية تتفرع عنها وظائف فرعية، مثل: وظيفة التعليم والتثقيف والأخبار، وفيها يتم استخدام أنظمة الاتصال ووسائل الإعلام المتخصص كعامل مساعد في العملية التعليمية عبر التعليم النظامي وغير النظامي، ويلاحظ انتشار ظاهرة التعليم المفتوح، من خلال القنوات الفضائية المختلفة، كما بدا واضحاً أن استخدام تكنولوجيا الاتصال والمعلومات في نشر الثقافة الإسلامية والمعرفة الدينية غدا ملمحاً ملحوظاً من قبل المنشغلين بالمحتوى التواصل على الشبكة والرسائل المتبادلة عبر شبكات الاتصال والقنوات الفضائية المختلفة.^(١)

ت- الإعلام والإخبار:

وتعتبر وظيفة الإعلام والإخبار بالحوادث ومجريات الأمور حول العالم، من أهم وظائف الاتصال الجماهيري المتخصص، وهي تأخذ موقعها من الأهمية لدى القارئ بالاتصال الدعوي باعتباره حارساً للبوابة الاتصالية على نحو ما، وموجهً لثقافة التلقي لدى جمهوره، ومن ثم له دور في توصيل المعلومة الإخبارية وتحليلها وتوجيهها، يضاف لذلك أيضاً مسؤولية الداعية عن ترشيد السلوك التواصل لجمهور بالاهتمام بمعرفة الكم الهائل من الرسائل التي يتلقاها المواطن يومياً والتي تجعله يعيش في دوامة، وهذا الأمر يحتم على الاتصال الدعوي بناء ثقافة "الميزان المعيارى"

(١) القليني، سوزان. ومدكور، صلاح. الإنتاج الإعلامي النظرية والتطبيق، القاهرة: دار النهضة العربية، ٢٠٠٥م، ص ١٦.

عند المتلقي والتي تجعله ينتقي ما يفيد من هذه الرسائل ويفرض ما لا يقبله بطريقة إيجابية، خاصة فيما يتعلق بالأطفال والأسرة.

ث - وظيفة التفسير والتوجيه والإرشاد:

تقوم وسائل الإعلام والاتصال فيها بشرح وتفسير الأحداث والوقائع المختلفة، بطريقة أكثر تفصيلاً إلى جمهورها المستهدف بما يستلزم توجيه السلوك التوجيه الإيجابي بما يتلاءم وطبيعة المجتمع لرفع المستوى الفكري والمهاري، وتطوير الاتجاهات بما يواكب المستجدات، حيث إن الاتصال الدعوي ومؤسساته والقائمون عليه يتخذون موقع المسؤولية المباشرة عن الجوانب التوجيهية والإرشادية في المجتمعات المسلمة، فالمساجد ودواوين الفتوى والمراكز الإسلامية هي في الأصل مؤسسات توجيه وإرشاد، والاتصال هو أحد الأساليب والنظم التي تعتمد عليها في أداء واجبها الإرشادي والتوجيهي.

ج - الوظيفة التنموية للاتصال:

للاتصال والإعلام دوره في بناء الأمم، وزيادة قدرتها على النمو، وقد ركزت دراسات نظم الاتصال في العالم الثالث على الوظيفة التنموية وقامت تجارب ومؤسسات متخصصة للإعلام التنموي في البلاد النامية، وكان الاهتمام بالتنمية المحلية والتحديث قد احتلّ موقعاً متقدماً في الأجندة البحثية لدراسات الإعلام والاتصال في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي، وبدا التركيز على التنمية البشرية والاهتمام بالتنمية المستدامة هو الاتجاه الغالب على الاهتمام العالمي مع مداخل القرن الحادي والعشرين.

ح - وظيفة الترفيه والتسلية:

تساعد وسائل الإعلام جمهورها على تضيئة وقت الفراغ بطريقة مفيدة، ومن المهمّ للدعاية الوعي بأكثر وظائف الاتصال، والتركيز على وظيفة المتعة والترفيه اللتين يشغلان حيزاً واسعاً من اهتمامات الإنسان المعاصر المنهك في دوامة العمل والإنتاج،

كما يلزمه ضرورة التفريق بين المنابر الإعلامية، ومنبر المسجد من حيث التواصل مع الجمهور، والنظر في مدى تقبله للرسائل الدعوية.

الدعوة بالمفهوم المذكور تتضمن عناصر تكوين من ناحية، وشروط صحة من ناحية أخرى، قد لا يكون لها ذات الأهمية في أنماط الاتصال الأخرى، أول هذه العناصر هو "النية"، وهي فعل قلبي وأساسي في تحديد اتجاه الإرادة الحافز إلى الفعل الدعوي، ولأنه لا بد لهذا الفعل من فاعل فإن القائم بالاتصال الدعوي هنا يبرز باعتباره داعية في الأساس، وهذا يستبعد في تلك اللحظة محترفي الإعلام "الاتصال بأنماطه الأخرى" فالقائم بالاتصال الدعوي في المقام الأول هو الداعية، والذين يقومون بالوظيفة الدعوية من الآخرين إنما يقومون بها بالتبع لا بالأصالة، وهذا يبرز ويؤكد في ذات الوقت أننا لا نفترض هنا مركزية وسائل الإعلام الحديث في بنية النظام الإعلامي الإسلامي، حيث يتعين الإيفاء بحزمة من الفرص الوظيفية في الخدمة العامة تتعلق مباشرة بالاتصال الدعوي، يأتي في مركزها وظائف الأئمة والمؤذنين وخطباء المساجد.

رابعاً: مبادئ وقواعد الاتصال الدعوي

وهي جملة من سمات ولوازم العمل الدعوي لا تدخل في دائرة المقاصد أو الوسائل، يأتي الإلزام في هذه المبادئ من الناحية القيمية والأخلاقية المنصوص عليها شرعاً كما سيتضح، أو المتوصل إليها بطول الخبرة واستدامة الممارسة، وعلاقة المبادئ بالمقاصد والوظائف.

إن عدم الالتزام بهذه المبادئ يؤدي إلى تشويش الممارسة الدعوية، وتشويه العمل الدعوي، وإهدار الجهود المبذولة دون تحقيق للأهداف والغايات، أو القيام بالوظائف والأدوار على النحو الذي يحقق الرضا للدعاة والمدعويين.

وقد توسّع بعض الباحثين في تعداد المبادئ، فوصل بها بعضهم إلى واحد وعشرين مبدأً، شملت مبادئ متعلقة بالقدرات والإمكانات، فصاغت مبادئ للطاقات والقدرات الأساسية، وأخرى للمقدرات الاختيارية، والانتقادية، والإيجابية

البنائية، ومبدأ للمسؤولية الذاتية، ومبادئ متعلقة بالجانب القيمي، فجعل مبدأ للمنطلق الأخلاقي، ومبادئ تتعلق بذات المتفاعلين من الصدق الذاتي، والتجرد، والاعتداد الذاتية الإسلامية. ومبادئ مهنية عيَّنها في الذاتية الإعلامية، والتوازن الإعلامي، ووحدة الإرسال والاستقبال الإعلامي، والحرية الإعلامية، والوحدة الموضوعية، والإحاطة بالظرف الاتصالي، ومبادئ متعلقة بالجوانب النفسية والعاطفية مثل: التكامل الوجداني، والحركة الوجدانية، والتهيئة النفسية والولاء القلبي، والتزكية النفسية، ثم مبادئ متعلقة بالبُعد الغيبي، والدعوة بالمثل، والنظرة الشمولية، والرؤية المستقبلية، والمواجهة الفكرية، ومع أننا لا نؤمن على هذا التوسع الكبير في تعيين المبادئ الدعوية لما يمكن أن يحدثه من تشتت، إلا أن حصرها ومن ثم اختيار ما نرى أنه داخل في المبادئ وفقاً للتعريف السابق هو السبيل الوحيد لاستيعابها، معرفةً وتجاوزها نقداً، أمرٌ لازم لمن أراد تقديم تصنيف جامع مانع لمبادئ العملي الدعوي.

ويمكن تقسيم هذه المبادئ إلى مبادئ متعلقة بالدعوة كوظيفة دينية، وبما أننا لم نستطع أن نضع "النية" ضمن المقاصد على علاقتها بها، فإنها تأتي هنا لتكون أول مبادئ الاتصال الدعوي، فالدعوة ليست عملية وظيفية غريزية عبثية، بل هي وظيفة دينية وعبادة اجتماعية، تدخل في دائرة العمل الصالح الموجب للشواب على فعله والعقاب على تركه في الدنيا والآخرة والنية الصالحة شرط نفسي لصلاح العمل.

١ - الربانية والإنسانية:

فإذا كانت الدعوة فعل إنساني من حيث الممارسة فهي أمر رباني من حيث التكليف والمساءلة؛ لذلك يقول القرآن للنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، فلا يمكن للداعية أن يسير بالدعوة على هواه كيفما اتفق وهنا قال الله لعيسى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلمُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦]، ومع ما شاع من مسميات للدعوة وما التصق بها من لواحق السياسة من العباسية والفاطمية

والأيدلوجيا من السلفية والتجديدية وغير ذلك من الشعارات الصادقة والمدعاة، إلا أن ما لا خلاف حوله أن "دعوة الحق" هي دعوة الله وحده لا تبتغي مساندة لطائفة أو انتصاراً لفئة.

الاتباع لا الابتداع: وهو مبدأ مكتسب من قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلُ أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]؛ أي اتباع النبي ﷺ وعدم اتخاذ سبيل غير سبيل الله ورسوله والمؤمنين، وهذا لا ينافي الاستقلالية أو التجديدية، وإنما يشير إلى أن مفارقة، هذا السبيل تجعل صاحب الدعوة في خدمة غير سبيل المؤمنين وينبغي له حينها أن يكون على وعي بذلك، ولا يظن أن في الاستمسك بمنهج ومشروعات الذين كفروا معها بدا من إنسانيتها وحيادها دعمٌ لدعوة الحق ومنهج النبوة.

٢- التزام مقام الشهود:

يعني من استحضار للمسؤولية الأمية والحضارية للدعوة والداعية، فالداعية فيها يقدمه من خطاب ويُطلّقه من رسائل، ويؤديه من مهام شاهدٌ على نفسه وقومه أولاً وعلى المدعويين والمبلغين ثانياً، والشهادة تقتضي المسؤولية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] هذا على مستوى الآخرة، ولكن الشهادة في الدنيا تستلزم وعياً بموقع الأمة ومجتمعاتها على الخريطة الحضارية، وفي سياق التفاعل البشري، مما يعني المسؤولية تجاه الخطاب الذي يتلقاه أفراد الأمة ومخالفوهم، وهو قابلٌ لأن يوظف من قبل أولئك المتلقين فيما يصلح الأمة وصورتها أو يسوؤها.

٣- البشارة والإنذار:

مبدأ أصيل من أهم مبادئ الإعلام الإسلامي؛ حيث إن الاتصال من خلال المنظور الإسلامي ينبغي له أن يلتزم هذا المبدأ في مخاطبة الناس وتوجيه الأحداث، فالإعلام الإسلامي يُبشّر الناس، ويفتح أمامهم آفاق الأمل، ولا يشبط همهم، وهو أيضاً يُنذّرهم من سوء المصير لمن لم يعتبر بالآيات والسنن، وأتبع نفسه هواها، وتمنى

على الله الأمان، وتتوالى المبادئ الحاكمة على ممارسة الدعوة عمل الداعية التجرد والإخلاص في الدعوة إلى الله.

٤ - الدعوة إلى الهدى:

مع أن الهداية هي غاية ومقصد الفعل الدعوي؛ فإن القرآن دائماً ما يؤكد أن الهداية "فعل إلهي"، لكن تحقيق مقتضياته يقع جزء منه على الإنسان، عبر فعلين متقابلين، هما: فعل "الدعوة إلى الهدى" وفعل "الصد عن الهدى" تمثيل القدوة واجتناب الزلل، والتزام الحكمة في صناعة المضمون والموعظة الحسنة والقول اللين، والجدال بالتي هي أحسن: ولا تجادل إلا بالتي هي أحسن، ومجاهدة الكفار والمنافقين، التلطف والإقبال على الحريصين على الدعوة، وإهمال المستكبرين، والإعراض عن الجاهلين.

تلك مجرد أمثلة للمبادئ الدينية، ولا شك في أن الداعية بخبرته واجتهاده قادر -في كل مرحلة من مراحل الدعوة- على استحضار واستنباط أضعاف هذه المبادئ بحسب احتياجه.

ويحتاج الحديث عن المبادئ الحاكمة للعمل الدعوي مزيد اجتهاد تأصيلي وجهد تفعيلي، وفيما يأتي نأذج لأهم المبادئ التي وردت في تصنيفات الباحثين، مستبعدين منها ما دخل في دائرة المقاصد والوظائف، ولا ندعي أنها بهذا العرض وافية بمقتضى العنوان، باعتبارها مبادئ مجمع عليها، ولكنها تبقى في دائرة ما يحتاج إلى مزيد نظر ومراجعة وتأصيل، ومن ثم فإن الفئات المذكورة تحت عنوان مبادئ الدعوة هنا ليست سوى نماذج لما رأى المؤلف أنه من أهم ما يمكن أن يدخل في هذا الحكم.

خامساً: فاعلية الاتصال الدعوي

ذكرنا فيما سبق أن فاعلية العملية التواصلية تتأثر بجملة من العوامل منها السياق ونطاقات الخبرة المشتركة، كما تتوقف فاعلية الاتصال على الفهم المشترك للموضوع واللغة التي يقدم بها، وإننا لكي نحدد فاعلية الاتصال علينا أن نعرف أنواع النظم الاجتماعية والأطر الثقافية التي ينتمي إليها المتفاعلون، من جهة أخرى تتأثر فاعلية

الاتصال بالحجم الإجمالي للمعلومات المتضمنة في الرسالة، ومدى إيجابتها على تساؤلات المتلقين، كما تتأثر الفاعلية بالتفضيلات والاختيار بين الوسائل، حيث تتسم بعض الوسائل بكونها أكثر فاعلية من وسائل أخرى، وتشير التجارب إلى أن كل فرد لديه قنوات مفضّلة في استقبال الرسائل عن القنوات الأخرى، وإلى جانب الرسالة والوسيلة، ويفيد "رجع الصدى" في إعلام المرسل بمدى فاعلية الرسالة وتأثيرها.

وترتبط الفاعلية من ناحية أخرى بمدى تحقق المتفاعلين من دعاة ومدعويين وقائمين على الاتصال الدعوي في مؤسساته المختلفة بمبادئ الاتصال الدعوي، ما تعلق منها بالجوانب العملية، أو الجوانب القيمية والأخلاقية، أو ما ارتبط بالوسائل الدعوية من القواعد والأحكام، ويمكن قياس الفاعلية بمقدار ما تحدثه من تأثيرات.

١ - قواعد في العمل الدعوي:

ينطبق حُكمنا السابق على ما يأتي من تصنيف لقواعد الدعوة من الناحية الوظيفية، وما ظهر خلالها من اجتهادات لفتت الأنظار، وأثارت جملة من النقاشات علمياً ودعويّاً، كالتقعيد الذي وضعه صاحب كتاب "قواعد الدعوة إلى الله"^(١) إذ أودع في ثناياه خمس عشرة قاعدة عملية للدعوة إلى الله:

القاعدة الأولى: الدعوة إلى الله سبيل النجاة في الدنيا والآخرة. القاعدة الثانية: "لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمُر النعم". القاعدة الثالثة: الأجر يقع بمجرد الدعوة، ولا يتوقف على الاستجابة. القاعدة الرابعة: على الداعية أن يصل إلى رتبة المبلغ، وأن يسعى إلى البلاغ. القاعدة الخامسة: على الداعية أن يقدم الجهد البشري، وهو يطلب المدد الرباني. القاعدة السادسة: الداعية مرآة دعوته، والنموذج المغير لها. القاعدة السابعة: خاطبوا الناس على قدر عقولهم. القاعدة الثامنة: الابتلاء سنة الله تعالى، وهو السبيل إلى تمثل الدعوة وصياغة النفس وفق العقيدة. القاعدة التاسعة: مجال الدعوة واسع، فليختر الداعية لدعوته. القاعدة العاشرة: الزمن عنصر

(١) سعيد، همام. قواعد الدعوة إلى الله، عمان: دار العدوي للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣، (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).

فعّال من عناصر الدعوة. القاعدة الحادية عشرة: الدعوة فن وقيادة، وهي تقوم على التخطيط والمتابعة. القاعدة الثانية عشرة: الدعوة صورة كبيرة من صور الجهاد، وتشارك مع القتال في الهدف والنتيجة. القاعدة الثالثة عشرة: الدعوة سلعة شريفة لا تباع بالأغراض الدنيوية، والأجر الدنيوي يفسد المروءة، ولا يصلح للدعوة. القاعدة الرابعة عشرة: التعرف على المدعو عاملٌ أساسي في كسبه. القاعدة الخامسة عشرة: المعاصرة ومعرفة البيئة العامة من أسباب نجاح الدعوة.

٢- قواعد الوسائل الدعوية:

مع اهتمام الخطاب القرآني بمقاصد الاتصال وأهدافه وغاياته، نجد أنه لم يهمل الوسائل، بل ناقشت جملة من سورہ الكريمة العلاقة بين الدال والمدلول، الأصل والصورة، الأداة والوظيفة، باعتبارها أحد الاستفهامات الفطرية التي استوقفت العقل البشري منذ أمد بعيد، ويزودنا تتبع القصص القرآني بالكثير من الشواهد الدالة في هذا المنحى، فعندما كلّم الله موسى بدأ حواراً معه بسؤال موسى عن أكثر شيءٍ مألوف لديه، قال تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بَيِّمِينَكَ﴾ [طه: ١٧] فجاء رده عَلَيْهِ السَّلَام تعريفاً للوسيلة بوصفها ووظيفتها وغاياتها، ومن جوانب الطرافة في الفقه الإسلامي إشارته للمقاصد حال حديثه عن قواعد الوسائل، "ومن تلك القواعد الشرعية التي تحتاج إلى جمع الكلام عنها، وتحرير بعض مباحثها، القواعد العامة التي تتعلق بالوسائل، مما يدل على مدى الحاجة إلى دراسة أحكام الوسائل وأصولها الشرعية وتوضيحها"، وقد صنّفها إلى قواعد أصولية وقواعد فقهية وقواعد مشتركة.^(١)

"إن من المعلوم أن للوسائل أهمية كبيرة في تحقيق المقاصد، وإن أعظم مقاصد الدعوة إلى الله تعالى تبليغ رسالة الإسلام ونشر الخير، وإن الوسائل المحققة لهذا المقصد العظيم كثيرة لا حصر لها؛ لذا كان من الضروري أن يتعرف الناس عموماً

(١) خدوم، مصطفى بن كرامة الله. قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، الرياض: دار إشبيلية للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م، ص ١٣.

والدعاة إلى الله خصوصاً على أفضل الوسائل لتبليغ دين الله عَزَّجَلَّ، لا سيما ونحن نعيش في زمن تطورت فيه الوسائل وأصبح العالم كالقرية الواحدة.^(١)

لقد لاحظ الإمام القرافي في كتابه أنوار البروق في أنواء الفروق "أن القواعد ليست مستوعبة في أصول الفقه، بل للشريعة قواعد كثيرة جداً عند أئمة الفتوى والفقهاء، لا توجد في كتب أصول الفقه أصلاً، وهو الباعث لصاحب كتاب "قواعد الوسائل" لتأليف كتابه، ونحن هنا نحاول أن نستفيد من تلك القواعد الشرعية التي تحتاج إلى جمع الكلام عنها، وتحرير بعض مباحثها، القواعد العامة التي تتعلق بـ"الوسائل" خاصة، "لا سيما ونحن في عصر تنوعت فيه الوسائل، وكثرت في كل ميدان، ومع ذلك نجد مواقف المسلمين متباينة في بعض تلك المسائل، مما يدل على مدى الحاجة إلى دراسة أحكام الوسائل وأصولها الشرعية وتوضيحها،" وقد صنفها إلى قواعد أصولية وقواعد فقهية وقواعد مشتركة.^(٢)

٣- من صور التأثير الدعوي:

تستهدف الدعوة إحداث تغييرات مقصودة في المدعويين، وهناك تأثيرات وسيطة يستطيع الداعية أن يعمل على تحقيقها، وهي التأثيرات الذهنية والنفسية، وأول التأثيرات الذهنية هي الاقتناع وتغيير الاتجاهات، وقد تعاملت بعض مرجعيات الإعلام الإسلامي مع وسائل الاتصال باعتبارها أدوات للتأثير الإعلامي، ومن ثم اعتبرت أن ما أشرنا له من أساليب ومظاهر للفعل الدعوي مثل: الأذان، والخطبة، والرسالة المكتوبة، والاتصال الشفهي، والقدوة الحسنة، وهو ما يعكس مستوى التعميم الذي تميزت به رؤية رجل الإعلام الإسلامي، خلال العقود الأخيرة من

(١) اللهو، عامر بن عيسى. الدعوة إلى الله وأهميتها، موقع صيد الفوائد (تاريخ الاسترداد: ٠٤ / ٠٣ / ٢٠١٩م). انظر:

- <https://www.saaaid.net/Doat/allahuo/28.htm>

(٢) مخدم، قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٣.

القرن العشرين.^(١) في حين عبرت بعض مؤلفات "علم النفس الدعوي" عن التأثير باعتباره أحد وظائف علم النفس الدعوي الذي يعمل "على الكشف عن الأنماط السلوكية للفرد واتجاهه، وكيفية مساعدته على تكامل نشاطاته المختلفة، والاستفادة من طاقاته وتوظيفها لخير الإنسانية ضمن البيئة التي يعيش فيها لغرض توافقه في كافة مجالاته الشخصية والاجتماعية، اعتماداً على المعلومات والقدرات المتاحة لديه، بما يساعد على الكشف عن الحاجات الحقيقة اللازمة لنمو الأفراد وحمايتهم من الانحرافات والصراعات، ودعوتهم إلى الامتثال لقيم المجتمع الإسلامي."^(٢)

أ- الإقناع:

ذكرنا في الباب الثاني أن الإقناع يعتبر أحد أهم قضايا التأثير في الاتصال الإسلامي، والإقناع تأثير إدراكي معنوي يحدثه القائم بالاتصال في فكر المتلقي، يتغير بموجبه موقفه أو اتجاهه، بما يوافق إرادة القائم بالاتصال دون إكراه، لذلك لا غرابة أن يتم التركيز في جانب التأثير على البعد المعرفي في التأثير.

ب- الهداية:

لا شك في أن "هداية" الأفراد والمجتمعات هو أهم تأثير يمكن أن تحدثه الدعوة، إلا أن من خصائص الدعوة أن أهم تأثيراتها وهو "الهداية" ليس أمراً بيد "الداعية" ولا بإرادة "المدعو" اللذين يحتاج كل منهما للتوفيق الإلهي، قال تعالى: ﴿يَمْنُونُ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِلَّا سَلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمْنُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧]، وعليه؛ فليس من مسؤولية الداعية أن يرهق نفسه في سبيل تحقيق الهداية للمدعويين، بل هو مطالب بالتأكد من قيامه بكل مطلوبات الدعوة والبلاغ، واستبعاد كل أسباب التشويش، ولأن من طبيعة الإنسان الحرص على تحقيق النتائج،

(١) إمام، إبراهيم. أصول الإعلام الإسلامي، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٥ م.

(٢) السامرائي، نبيهة صالح. علم النفس الدعوي مفاهيم ونظريات وتطبيقات، عمان: دار الجنان للنشر والتوزيع، ٢٠١٣ م، ص ٩.

وتحصيل الثمرات توسع القرآن في بيان هذا الأمر أن المستوى النهائي للتأثير لا يرتبط بطبيعة المدعو، فلا يقال إن الدعوة في ظل الظروف غير المواتية فعل عبثي، فلعل هناك من هياه الله لتلقي الدعوة في مثل تلك الظروف، كما أن على الداعية تبعاً لذلك ألا يصنف المدعويين تبعاً لما يظهر له من احتمالات القبول والرفض، تأسيساً على المعرفة الشخصية بهم أو التقييم الذاتي لقدراتهم، وقد عرض القرآن عدداً من الأمثلة الدالة في مسألة توقعات التأثير لدى القائم بالدعوة وأثرها على فاعليته، في دعوة الأنبياء لأقوامهم، ومن قصص الأنبياء البليغة قصة نوح وقصة يونس.

ت- البلاغ:

إذن، هل يمكن القول أن الداعية غير مطالب باستهداف التأثير الإيجابي لدعوته، والجواب أن الفعل الدعوي ينتهي بتمام البلاغ، وأن المشتراط الأول في البلاغ أن يكون مبنياً من قبل الداعية خالياً من الغموض وعدم الوضوح، وأن يكون قابلاً للاستيعاب والفهم من قبل المتلقي، وهذا هو التأثير الذي يمكن للقائم بالاتصال أن يتحصله من المتلقي عبر التغذية المرتجعة، أي ينتهي بالاستجابة الاتصالية، أما الاستجابة التامة والإيجابية للمحتوى الدعوي؛ فهو أمر ليس بمقدوره، ومن أهم صور التأثير تغيير الاتجاهات الاجتماعية نحو بعض العادات، مثل: نكاح الشغار في بعض الدول، والختان غير السني للإناث في دول أخرى، وبعض العادات غير الصحية؛ كالتدخين والمعاملات الاقتصادية المضیعة للمال؛ كالمراهنات واليانصيب وغير ذلك من عادات ومعاملات شاعت ثم تلاشت في كثير من الدول بسبب التوعية الدعوية، ومن صور التأثير الدعوي أيضاً التغير السلوكي في أشكال اللباس كانتشار الحجاب بين النساء، وانحسار عادة تطويل الثياب بين الرجال، ودراسة التغير على تعلقها بعلمي الدعوة والاتصال، لكنها تتم بطريقة أكثر عمقاً في سياق الدراسات النفسية، وهو من ما يحتاجه الداعية للنظر في "علم النفس الدعوي الذي يختص بتهيئة الظروف النفسية والاجتماعية للدعوة إلى الدين مع التركيز على سلوك العاملين في الميدان الدعوي -موظفين، ودعاة،

ومدعويين - وحل مشكلاتهم، والحرص على راحتهم، وصيانة كرامتهم بما يثير دوافعهم نحو العمل، مع الاستفادة من توظيف مفهوم سيكولوجية التعلم لغرض الدعوة، والابتعاد عن الانفعالات السلبية، وكيفية استخدام المعلومات النفسية في الجذب الدعوي، وتطبيقات ذلك في العمل الدعوي.^(١)

ث- التأثير على مستوى القيم:

يستطيع الإعلام بما وصل إليه الآن أن يقدم الكثير للدعوة فقد أنفق الدعاة الكثير من الوقت والجهد في الإجابة عن التساؤل حول ماهية الحقيقة الدينية في الإسلام، يتفق الإعلام والدعوة في أنهما يستهدفان الوعي الإنساني؛ إذ يتعامل الإعلام مع الأحداث الجارية، بينما موضوع الدعوة هو التغيير الإيجابي لاتجاهات الإنسان.

إن الحدث الجدير بالتغطية الإعلامية يجب أن يتمتع بعناصر عرفت اصطلاحاً بالقيم الإخبارية وقيم النشر الإعلامي، منها على سبيل المثال: الحالية والفورية؛ أي إنه يحدث الآن أو حدث قبل قليل، وإذا انتفت هذه الصفة المتعلقة بالزمن يخرج الحدث من دائرة الاهتمام الإعلامي إلى نطاقات علوم أخرى، إذن، فالأصل هو الحالية والفورية والجدة، يلي ذلك مباشرة القيمة بالأهمية وكون الشخصيات أو الأماكن، أو الأزمنة، موضوع التغطية بارزة وشهيرة (مُهمّة) وتتكاثر المعايير والقيم التي ترشح الحدث للدخول إلى دائرة الاهتمام العام، فتأتي الغرابة والصراع والاهتمام الإنساني والقرب المكاني والجنس، وأضيف إليها أخيراً كل ما يتعلق بالإرهاب وحقوق الإنسان، لتسمو بالحدث من دائرة المجريات العادية إلى مصاف الأحداث الإعلامية، وهكذا يصطفي الإعلام الأحداث، ويضعها بين يدي الجميع، والعلماء والدعاة ضمن المستفيدين من هذا الانتخاب الواسع والمنضبط بمحددات واضحة، في المقابل قال البروفيسور (تالكوت بارسونز) مرة: "إن العلم هو نظام انتقائي للتوجهات المدركة للحقيقة" ومن الطبيعي أن العلماء والمحللون في كل زمان ومكان سوف ينتقون

(١) المرجع السابق، ص ٩.

الحقائق ويروونها وفقاً للمعطيات الفكرية والأيدولوجية الخاصة بهم.

هذه العوامل جميعها تسهم في رسم الصورة التي يظهر بها الحدث من خلال وسيلة الاتصال، بغض النظر عن ما حدث فعلاً على أرض الواقع، وهي مفارقة منهجية لا بد لمن يقوم مقام الشهادة أن يعيها وعياً تاماً، فوسائل الإعلام تخلق وعياً بما يحدث على الأرض؛ قد يكون مستقلاً إلا في صورته ومضامينه الشكلية عن حقيقة ما حدث على أرض الواقع، وهو ما يحوجنا إلى فهم الطريقة التي يصوغ بها الإعلام الأحداث، ويشكّل عبرها تصوراتنا لها.

ويرتكز الأثر المعرفي الذي يحدثه الإعلام في عملية بناء التصورات، ف"الفضاء الاتصالي" يتخلّق على مستوى التصور، ومن ثم فهو فضاء تصوري، له تناظره مع الواقع، وتأثيره فيه، وإن يكن له استقلال عنه، فإنه استقلال افتراضي كذلك. "وإذا حاولنا أن نبحث عن أثر الإعلام في معرفتنا الذاتية، فسنجد على سبيل المثال أن لكل منا تصوراً لدولة كالولايات المتحدة مثلاً، مع أننا ربما لم نقم بزيارتها، ولم نشاهدها على الإطلاق، وبموجب ثقتنا في التصور الذي نحمله عنها نملك القناعة التامة التي تجعلنا نحكم على الولايات المتحدة وقوتها وتفوقها الاقتصادي والعسكري.

وتتدرج هذه الخبرة المعرفية الاتصالية لتحتوي إضافة إلى الأحكام الكلية السابقة أحكاماً متفرعة عنها، تجد ما يسندها بخبرتنا الاتصالية التي كونتها ملاحظتنا للصور، ومتابعتنا للأخبار في الصحف والمجلات، وربما مشاهدتنا للأفلام تعزز تلك الأحكام.

وهنا تتم عملية إعادة تصنيف، فالأفلام التي هي في الواقع أفلام أمريكية أو أوروبية، أو هندية، تصنف بعد أن يتم تخزينها في ذاكرتنا باعتبارها الأفلام التي شاهدناها؛ أي تأخذ مكانها كجزء من تكويننا المعرفي، ويبقى القول أن غالب تلك الأحكام لا ينطلق من خبرة قائمة على المعيشة، ولكنها خبرة اتصالية، كونتها وسائل الاتصال، وهي خبرة يحكمها منطق خاص، وهذا المنطق من القوة والتجذر بحيث لا يقبل التشكيك، إننا نملك الجرأة على أن نجزم بمقتضيات تلك الأحكام السابقة بناء

على ما تكون لدينا من خبرة، هي كما ذكرنا اتصالية في الأساس.

وهكذا يتعدّد البناء مع تطور الخبرة الاتصالية، وتصبح الاستجابات للمثيرات المعرفية تلقائية تتغذى من اللاوعي الكامن في هذا العقل الاتصالي، في هذه الأعماق المتباعدة تعمل وسائل الاتصال ومع خط سير المعلومة الاتصالية بين هذه الأبعاد يتكون ما يعرف بالصورة الذهنية.⁽¹⁾

وتشير مفاهيم القيم الإعلامية والصور الذهنية إلى انعكاسات الممارسة العلمية والتطبيقية الدائرة في كل جانب على الوعي الإنساني، ومن ثم فهما يُعبّران عن دلالات معرفية في المقام الأول، ونحاول هنا النظر في آثار هذا البعد المعرفي على الممارسة العلمية والمنهجية في كل مساق.

وقد يأتي الفعل التواصل الإعلامي في بعض الحالات متطابقاً مع الفعل الدعوي غاية التطابق، وشعيرة الأذان خير مثال على ذلك، لقد استندنا في هذه المناظرة إلى معيارين: أحدهما: موضوعي، ومحوره الافتراضات الأساسية حول الحالة التي تتأثر فيها الدعوة بالإعلام كمادة وممارسة، وثانيهما: ما يقابلها من حالة مماثلة يتأثر فيها الإعلام بالدعوة، ومن موقع الإعلام يمكن القول أن الاهتمام بالقيم المهنية والموضوعية التي ترتقي بالحدث إلى مصاف الأحداث الإخبارية، قد حظيت باهتمام كبير، وأُطلق عليها القيم الإخبارية، والقيم الإعلامية وعناصر الخبر، ومن خلال الاستعراض السابق لها يمكن القول: إن المعرفة بها ضرورة لكل متعامل مع وسائل الإعلام.

(1) Boulding, Kenneth Ewart. *The Image: Knowledge in Life and Society*, Ann Arbor: University of Michigan Press, 1950.

الباب الرابع

الاتصال الدعوي في أنظمة التعليم

مقدمة:

هذا هو الباب الأخير من كتاب الاتصال الدعوي؛ لذا فهو معنيٌّ بالمرجات، سواء اتخذت شكل المناهج الدراسية أو البحوث العلمية، فالعلاقة واضحة بين التحقق من ظهور بؤادر الاتصال الدعوي كمساق معرفي صاعد وطبيعة وحجم التمثلات التي تحققت له على مستوى مناهج الجامعات، وما تعلق منها بمجالات الدعوة والاتصال.

وهو أثر نُحْتَمَ حاجة معرفية، واحتياج ماثل في واقع الفعل الدعوي في البيئات الإسلامية، مما يتطلب استحداث روابط وتواصلات بين مناهج الجامعات والتوجهات الدعوية العامة، سواء على مستوى الأقطار، أو على مستوى الأمة. ومن ثم؛ فإن مجرد وجود علاقة موجبة بين مخططتي برامج الجامعات ومخططي استراتيجيات العمل الدعوي يمثل تعبيراً عملياً عن تحقق قدرٍ من الاستيعاب للعمل الدعوي داخل البنى الهيكلية للحياة العامة، وهو ما يعبر عنه بقيام نظام للاتصال الدعوي، وهو تقريباً ما انتهى إليه الباب الثاني، واستيعاب للفكر الدعوي داخل الجهاز الأكاديمي عبر قيام أقسام وكليات الاتصال الدعوي، وهو موضوع عمل هذا الباب.

ومع التسليم بعدم كفاية النظم الأكاديمية العاملة في مجال تدريب ممارسي الاتصال الدعوي وباحثيه، إلا أن وجود عدد من التجارب والنماذج دال على توفر الإرادة المؤسسية، والإمكان المنهجي للسير بهذا الاتجاه، وربما تفحص فصلي هذا الباب اللذين جاءا صغيرين مقارنة بفصول الكتاب السابقة، وضيق المساحة المشغولة، وندرة المنجز في مسار البناء المنهجي للاتصال الدعوي؛ يفتح الأفق لكثير من العمل المؤسسي والبحثي في سبيل سد الفجوة وتجسير الهوة.

كانت المناهج الجامعية في مجال الاتصال الدعوي موضوع عمل الفصل الأول من هذا الباب الذي ابتدأ معرفاً بالمفاهيم المتعلقة بالمنهج الجامعي، ومن ثم استعرض

عدداً من تجارب الجامعات في مجال تدريس مناهج ومقررات الاتصال الدعوي، وما ارتبط بذلك من تحولات وتحويرات داخل المؤسسة الأكاديمية من إنشاء كليات وأقسام للدعوة والاتصال، وتصميم المقررات العلمية والمناهج الدراسية فيها، ومدى قُربها وبُعدها عن مفهوم الاتصال الدعوي.

أما الفصل الثاني؛ فقد سعى لاستكشاف واقع البحث في مجال الاتصال الدعوي، وذلك من خلال الصيغ المختلفة للبحث العلمي من بحوث الجامعات وبحوث المجالات العلمية وبحوث المؤتمرات منشغلاً بالوقوف على طبيعة البحث العلمي في مجال الاتصال الدعوي، وأهميته وأهم اتجاهاته.

الفصل الأول:

الاتصال الدعوي في المناهج الجامعية

إنَّ أمر الدعوة الإسلامية على ما يحسُّده من تحدٍّ للعقل الإنساني لا يمكن أن يتبلور في هيئة علوم ومعارف ونظريات ونماذج حتى يصبح محوراً للاهتمامات المنهجية الجادة والشاملة، وموضوعاً لعمل الأساتذة والباحثين في الجامعات عبر التدريس، والبحث والإشراف على طلاب الدراسات العليا، وهو ما لا يبدو أنه يتم بالطريقة المناسبة داخل مؤسساتنا الجامعية، وكان ذلك سبباً من أسباب تأخر ظهور "علم الدعوة" بين علوم النسق المعرفي الإسلامي إلى النصف الثاني من القرن العشرين، وبقيت دراسات الدعوة -رغم تعقد وإلحاح الواقع الدعوي- تحتل ترتيباً متأخراً في أولويات الأجندة البحثية الإسلامية، وموقعاً هامشياً في بنية المؤسسة الجامعية.

وقد أكدت الفصول السابقة خلال تعريفها للدعوة باعتبارها فعلاً تواصلياً وممارسة دينية، ووظيفة اجتماعية أكدت أنها لا تلقى من الاعتناء المنهجي بالقدر الذي يؤهلها لتطرح ضمن المقررات الدراسية في كليات الإعلام والاتصال التقليدية، أما في الجامعات الإسلامية؛ فإنه من النادر أن يكون من يشرفون على أقسام الدعوة والإعلام في كليات الدعوة والدراسات الإسلامية متخصصون في الإعلام والاتصال، مما يظهر أن قضية الإصلاح المنهجي التي شكَّلت محور عمل دعوات أسلمة المعرفة، وتأصيل العلوم، ظلَّت منبَتةً ومحصورة في حدود الجدل النظري، دون أن تجد طريقها لتتنزل من أفق التجريد إلى حيز التطبيق، ومن فضاء التنظير إلى واقع الممارسة المنهجية الفعلية، عبر التدافع والتفاعل العلمي الحقيقي في الساحة العلمية والأكاديمية، ولا خلاف أن صياغة المناهج وبناء البرامج الأكاديمية، وإنتاج الكتب المنهجية والمقررات الدراسية هي وحدها السبل المفضية إلى تحقيق ذلك، بل هي صميم الممارسة المنهجية الفعلية في الأقسام العلمية والكليات الجامعية.

ولعل من أهم الأسباب وراء ذلك ضعف الإنتاج المعرفي في مجالات الدعوة والاتصال، وإذا ألقينا نظرة على قوائم منشورات المؤسسات التي جعلناها نماذج للتمثيل في هذا الفصل وهي ثلاث جامعات إسلامية، وثلاث جامعات عامة، ومؤسستين بحثيتين، هما: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ومعهد إسلام المعرفة، كنماذج لمؤسسات استهدفت تأصيل العلوم الاجتماعية والإنسانية، حيث لا تكاد الكتب المنتجة في مجالات الدعوة والاتصال يتجاوز العشرة عناوين من بين ما يقارب من (٥٠٠) عنوان، هي متوسط ما نشرته ما نشرته تلك المؤسسات، كذلك هو حال البحوث الدعوية والاتصالية في دوريات إسلامية المعرفة وتفكر، ولعلنا نلاحظ الضعف البين في الإنتاج المعرفي للأساتذة في بقية الكليات موضوع الدراسة، في المقابل هناك كثافة في إنتاج البحوث الجامعية تبعاً للتنامي في أعداد الطلاب المنتظمين في برامج الماجستير والدكتوراه في مجالات الدعوة والاتصال التي تطرحها تلك الكليات، مما يعني أن ثمة فرصة متاحة لتجسير الهوة، إذا تم التخطيط للبرامج الدراسية والتوجيه لمخرجاتها البحثية.

أولاً: المناهج الدراسية، وأهميتها في مجال الاتصال الدعوي

مع وجود تجارب لإنشاء أقسام وكليات تحت مسميات تجمع الدعوة بالإعلام والاتصال، استمر الشد والجذب بين دراسات الإعلام من جهة والدراسات الإسلامية، وأبدت بعض أقسام الإعلام في بعض الجامعات تحفظاً نحو هذه التوجهات، كما أحجمت أقسام الدراسات الإسلامية في الجامعات الأخرى عن إسناد المقررات الدعوية لغير متخصصي العلوم الشرعية والدراسات الإسلامية، وقد تأثر التكيف المنهجي لمقررات "الدعوة والإعلام" تأثيراً سلبياً بهذا التجاذب، فظلت أقسام الدعوة في مختلف الكليات تعمل وفق المنظور المنهجي للدراسات الإسلامية، بينما ظلت المنهجية الإعلامية -غربية المنشأ- هي الحاكمة على أقسام الإعلام حتى في الكليات المسماة كليات للدعوة والإعلام، وبقي ذلك التجاذب حائلاً دون التفاعل الضروري بين الطرفين، ومن ثم تطوير كلا التخصصين في اتجاه تكاملي، أو بناء تصور جديد للاتصال الإسلامي ويتضمن الاتصال الدعوي مكوناً فرعياً له.

١ - المقصود بالمنهج الجامعي:

"يشير مصطلح المنهج في الفكر التربوي، بصفة عامة إلى بنية التعليم ومحتواه، باعتبار أن تطوير المنهج أو تصميمه بطريقة منظمة يتطلب القيام بتحليل الأهداف التربوية، وتحديد بوضوح، وإلى وضع محتوى المقررات، وتخطيط البرامج المختلفة، وتحديد طرائق التدريس والتعليم، وطرائق التقويم، وما إلى ذلك من أمور لا غنى عنها في هذا الصدد، وعلى أساس من هذا التصور اشتهر مفهوم المنهج في التعليم المدرسي، وأصبح مجال اختصاص محترم منذ النصف الأول من القرن العشرين."^(١)

٢ - أهمية المناهج التدريسية في مجال الاتصال الدعوي:

تعمل المناهج والمقررات الدراسية لتوجيه الطالب الجامعي نحو رؤية منهجية تخدم في سياق النظام المعرفي الذي تنتمي إليه المؤسسة الجامعية الحاضنة، وتعد المناهج الدراسية عموماً والجامعية خصوصاً وسيلة هامة من وسائل التربية، كما أنها تعتبر جوهر العملية التربوية والتعليمية؛ لما تحتوي عليه من القيم والمبادئ والخبرات والمهارات والعلوم والمعارف..، فمتى تم بناء المناهج أو تطوير الموجود منها بما يحقق الأهداف المرجوة منها.^(٢)

وتمثل المناهج الصورة القابلة للقراءة لنوعية القضايا وطبيعة الأفكار التي تشغل الجماعة العملية في الحقل المعرفي والمجال التخصصي موضوع المنهج، كما تشير في ذات الوقت إلى نوع المشكلات الحاضرة في واقع الظاهرة موضوع الدراسة والتدريس.

والشأن فيما يتعلق بالاتصال الدعوي يتلخص في أن هذه الرؤية المنهجية مندرجة في صيرورة التكوّن من خلال التجارب والنماذج لمقررات دراسية، وهي في ذلك عالية

(١) إبراهيم، أبو بكر محمد أحمد. التكامل المعرفي وتطبيقاته في المناهج الجامعية، هرنند: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ٢٠٠٧م، ص١٨٩.

(٢) الجادعي، يحيى صالح حسين. المناهج الجامعية ودورها في تكوين وتنمية الشخصية القيادية، موقع الألوكة، تاريخ النشر: ١٣/٣/١٤٣٣هـ الموافق ٦/٢/٢٠١٢م. انظر:

على جمهور الباحثين من ناحية، وتدابير المؤسسة العلمية والأكاديمية من ناحية أخرى، وهذا ما يجعل واقع الاتصال الدعوي تجسيدا حياً لطبيعة الرؤية المنهجية واتجاهاتها نحو هذا المساق الناشئ، وهو ما يعبر عنه بالمحتويات التدريسية والأهداف المنهجية، والطريقة التي يتم بها صياغة المقررات، وعددها وموقعها في بنية النظام التعليمي، فحيثما ظهرت مقررات الدعوة في أقسام الإعلام ومقررات الإعلام في سياق الدعوة، وحيثما وجدت مقررات دراسية أو توصيفات منهجية تحت مسمى الاتصال الدعوي، أو ما يقع في حكمة من المحتويات، وأينما وجهت المخرجات البحثية للعمل في إطار أولويات البحث الاتصالي الدعوي حيث وجدت هذه المؤشرات كان بإمكاننا التقرير بأن حالة الاتصال الدعوي تتجه بحيث تمثل فرصة سانحة للمساهمة في توجيه المنهج بما يحقق نوعاً من الاستقرار والتفعيل لهذا المساق.

وفي كل الأحوال؛ فإن المناهج التدريسية في صورتها الكلية أو في وحداتها الجزئية المتمثلة في مقررات دراسية خاصة، أو مكونات منهجية داخل المقررات العامة لدراسات الإعلام والاتصال، هي الطريقة الوحيدة لتنظيم العلاقة بين مكونات الواقع الاتصالي الذي ينتمي إليه الطالب، والحقائق والنظريات العلمية التي يتعرض لها أثناء دراسته الجامعية، وهو الواقع الذي تم التعامل معه وفق منهجيتين؛ منهجية تتجاهل الواقع الاتصالي وتتعامل مع مناهج دراسة الإعلام والاتصال الوافدة باعتبارها نسقاً معياراً للدراسة الجامعية للإعلام والاتصال، وأخرى تحكم جزءاً من معطيات هذا الواقع، وتسعى إلى السيطرة عليه عبر الانفراد بمشروعية دراسة الدعوة وتدريسها، باعتبارها مسألة متعلقة بالتخصص الشرعي، وفي كلا الحالتين ظلت المعالجة المنهجية على حالها الذي يحكه واقع دراسات الاتصال الدعوي في الجامعات الإسلامية، وفيما يأتي استعراض لبعض النماذج، التي يمكن اعتبارها رائدة في محاولتها وضع تكييف منهجي يتيح للمضامين المنهجية للاتصال الدعوي أن تعبر عن نفسها، كل نموذج منها بحسب طبيعته.

ثانياً: تجارب الجامعات في تدريس مناهج الاتصال الدعوي

من حسن الحظ فيما يتعلق بالواقع المنهجي للاتصال الدعوي في الجامعات العربية والإسلامية أن لدينا قدراً معقولاً من المقررات والبرامج الدراسية والأقسام والكليات العلمية، والكادر التدريسي والبحثي يمكن أن يمثل نواة عمل لجامعة علمية جادة في مجال الاتصال الدعوي وفروع علوم الدعوة والاتصال، ويسمح بوضع تصورات عملية لتطوير الواقع باتجاه بناء أساس معرفي متماسك، يصلح لأن يكون قاعدةً لممارسة دعوية رشيدة.

كذلك فإن الإنتاج البحثي والمنهجي في تلك الجامعات وغيرها يؤكد وجود عناوين لرسائل علمية وبحوث أكاديمية تخدم في إطار قائمة الأولويات البحثية للاتصال الدعوي، وإن كان ذلك يتم بوعي حيناً، ودون تخطيط مسبق في أحيان أخرى. فاستغراق كلا الجانبين المتعلق بالمناهج الدراسية والمخرجات البحثية بما يشمل ويستوفي الجزئيات، والحقائق التفصيلية في كل جانب أمر لا يستهدفه أو يستطيعه هذا الفصل؛ لذا سنكتفي بمناقشة نماذج نرى أنها دالة على الموضوع، كل في سياقه.

تحفل التجربة التدريسية في جامعات العالم الإسلامي بعدد من المعالجات ومنهجيات التعامل، والتي يمكن تقسيمها إلى فئات:

الفئة الأولى: جامعات (إسلامية) أنشأت كليات للدعوة والإعلام، وتشمل جامعات الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وأم درمان الإسلامية بالسودان، والأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بالجزائر.

والفئة الثانية: قوامها جامعات أنشأت أقساماً للدعوة والإعلام داخل كليات للإنسانيات والعلوم الاجتماعية، وتمثلها تجربة كلية علوم الاتصال قسم الدعوة ونظم الاتصال بجامعة الجزيرة.

والفئة الثالثة: وتشمل جامعات أنشأت برامج وأقسام للدعوة والإعلام، تقوم على التكامل بين كليات الشريعة، وكليات الإنسانيات والعلوم، ويمثلها قسم الدعوة

والثقافة الإسلامية بكلية الشريعة بجامعة قطر.

١ - الفئة الأولى: جامعات (إسلامية) أنشأت كليات للدعوة والإعلام:

أ- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية:

تعدُّ جامعة الإمام محمد بن سعود رائدة في هذا الجانب، فقد قامت سياسة الجامعة عند تأسيسها على فكرة التأصيل الإسلامي للعلوم، مما جعل كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود رائدة، ككلية متخصصة في الاتصال الإسلامي.

بدأت الدراسات الدعوية في الجامعة في (١٥/٦/١٣٩٦هـ، الموافق ١٢ يونيو ١٩٧٦م)، بإنشاء المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالرياض، وكان المعهد يضم قسمًا للدعوة والاحتساب على مستوى الدراسات العليا، يمنح درجتي الماجستير والدكتوراه، وقسمًا للإعلام على مستوى الدراسات العليا أيضًا، ويتكون من شعبتين، هما: شعبة الإذاعة والتلفاز، وشعبة الصحافة.

وفي عام (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) بدأت الدراسات الدعوية في المرحلة الجامعية بافتتاح قسم للدعوة والاحتساب في كلية أصول الدين بالرياض.

وفي عام (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) صدرت موافقة المجلس الأعلى للجامعة على ضم المرحلة الجامعية لقسم الإعلام بكلية اللغة العربية إلى مرحلة الدراسات العليا في المعهد العالي للدعوة الإسلامية، ليتحول القسمان إلى كلية الدعوة والإعلام.

وفي تاريخ (١٤/١١/١٤٣٣هـ الموافق ٢٩ سبتمبر ٢٠١٢م) وافق مجلس التعليم العالي في جلسته -الحادية والسبعين- على إعادة هيكلة كلية الدعوة والإعلام بالجامعة بحيث يُعدَّل اسم الكلية إلى المعهد العالي للدعوة والاحتساب، وتضم ثلاثة أقسام؛ قسم الدعوة، وقسم الحسبة والرقابة، وقسم الدراسات الإسلامية المعاصرة.^(١) وتم إنشاء كلية للإعلام والاتصال، تضم أقسام الصحافة والنشر الإلكتروني، وقسم

(1) <https://units.imamu.edu.sa/colleges/DawahInstitute/Pages/default.aspx>

الإذاعة والتلفزيون والفيلم، وقسم العلاقات العامة، وقسم الإعلام والاتصال التسويقي، وقسم الجرافيكس والوسائط المتعددة، وقسم الإعلام المتخصص.

ب- تجربة جامعة أم درمان الإسلامية

تعدُّ كلية الإعلام بجامعة أم درمان الإسلامية من أعرق كليات الإعلام عربياً وإفريقياً، حيث بدأت بمسمى قسم الصحافة والإعلام بكلية الآداب، وتخرجت أول دفعة في هذا القسم في العام ١٩٧٣م، وعمل بالتدريس فيه عدد من كبار أساتذة الإعلام والاتصال العرب، ورواد تدريس الإعلام في الجامعات السودانية.^(١)

تأسست دراسات الإعلام كما هو الحال في معظم كليات الجامعة تأصيلاً على المرجعية الإسلامية، إلا أن التحول الذي حدث تبعاً لتطوير القسم إلى كلية قد أحدث نوعاً من الارتباك في هذه التجربة، بدأ بتسمية الكلية بـ "كلية الدعوة والإعلام"، وما تلا ذلك من إشكالات لاحقة لأول محاولة، لتوزيع طلاب الكلية بين تخصصات الإعلام (الصحافة والعلاقات العامة، والإذاعة والتلفاز) وتخصصات الدعوة (الدعوة والاحتساب، مقارنة الأديان)، وهو ما انتهى بالتجربة للتراجع ليعاد تسكين قسم الدعوة في كلية أصول الدين والدراسات الإسلامية، ويغير اسم الكلية إلى "كلية الإعلام" لتشمل أقسامها العلمية تخصصات الإعلام (الصحافة والعلاقات العامة، والإذاعة والتلفاز) وتخصصات الدعوة (الدعوة والاحتساب، مقارنة الأديان) وبقي قسم الدعوة في كلية أصول الدين والدراسات الإسلامية.

ويمعن كتاب "اتجاهات البحث في علم الاتصال" في تحليل مشكلة التداخل المفاهيمي وانعكاساتها على المؤسسات الجامعية حين يقول: "إن حاملي شهادات الدبلوم أو الماجستير أو الدكتوراه في مجال الدعوة هم بالتخصص حملة شهادات في الاتصال، وينبغي أن يكون هؤلاء متخصصون في الاتصال الإقناعي في المقام الأول، ومتبحرين في علوم الدين؛ من تفسير وفقه وحديث في المقام الثاني، فالأساس في مثل

(1) <http://fc.oiu.edu.sd/>

تخصصهم هذا هو الاتصال الذي بموجبه يصبحون متكلمين باسم الدين، ومنافحين عنه بالحجة والمنطق، وداعين إلى سبيله بما يجيدونه من فنون الاحتجاج والتكلم، وما يملكونه من ملكات الإقناع وسرد الحجج المنطقية، وبذلك فإن الفصل بين الدعوة والاتصال، أو عطف الدعوة على الاتصال كما في "كلية الإعلام والدعوة" أو عطف الإعلام على الدعوة "كلية الدعوة والإعلام" أمرٌ غير موضوعيٍّ في تقديرنا، خاصة حينما يضاف إلى ذلك العطف استقلال الاثنين عن بعضهما بعضاً كقسمين برئيس وأعضاء هيئة.^(١)

ت- تجربة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية (الجزائر)

يعمل نظام الجامعة على أن يتم توزيع الطلبة بحسب رغباتهم، وتطابقها مع الشروط البيداغوجية الموضوعية في ذلك على ثلاثة ميادين، هي: ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية: ويضم (١٦) تخصصاً. وميدان العلوم الاقتصادية والتسيير والعلوم التجارية: ويضم (٣) تخصصات. وميدان اللغة والأدب العربي: وفيه تخصصان اثنان. ومن بين تخصصات العلوم الإنسانية والاجتماعية يعمل قسم الدعوة والإعلام والاتصال عبر شعبة تخصصية في مجال الدعوة والثقافة الإسلامية. وينتمي قسم الدعوة والإعلام والاتصال الآن لكلية أصول الدين، ويضمن القسم بتخصيصه تكويناً متكاملًا في أصول الدعوة والثقافة الإسلامية، كما يزود الطالب بالمهارات اللازمة التي تمكنه من الممارسة الإعلامية الهادفة في شقيها النظري والمهني.

(١) قلندر، والعوض، اتجاهات البحث في علم الاتصال؛ نظرة تأصيلية، مرجع سابق.

الهيكلة البيداغوجية

ليسانس		ماستر	
سنة أولى	سنة ثانية	سنة ثالثة	سنة أولى وثانية
جذع مشترك علوم إسلامية (دائرة الجذع المشترك بملحقة الجامعة)	سنة ثانية علوم إسلامية (كلية أصول الدين)	ليسانس الكتاب والسنة	ماستر تفسير وعلوم القرآن
			ماستر الحديث وعلومه
			ماستر العقيدة
		ليسانس العقيدة ومقارنة الأديان	ماستر مقارنة الأديان
			ماستر دعوة وثقافة إسلامية
		ليسانس علوم الإعلام	
جذع مشترك علوم إنسانية (كلية الآداب والحضارة الإسلامية)	سنة ثانية علوم الإعلام والاتصال (كلية أصول الدين - قسم الدعوة وعلوم الاتصال)	ليسانس علوم الإعلام	

٢ - الفئة الثانية: جامعات أنشأت أقساماً للدعوة والإعلام داخل كليات

للإنسانيات والعلوم الاجتماعية:

أ- تجربة جامعة الجزيرة:

تتمثل في تجربة جامعة الجزيرة في قسم الاتصال الدعوي، الذي تطور لقسم الدعوة ونظم الاتصال، وبرنامج ماجستير علوم الاتصال بمعهد إسلام المعرفة، وبالنسبة لجامعة الجزيرة عموماً نقول: إن السودان كان قد عرف توجهات عامة استهدفت تأصيل أنظمة التعليم العالي، وأبدت الجامعات استجابة وتعاوناً، وكان

لجامعة الجزيرة كسبها المقدر في هذا الجانب، حيث أصبح التأصيل المعرفي محورياً رئيسياً في وثيقتها الاستراتيجية، وجاءت كل الكليات ومؤسسات الجامعة التي أنشأت مناهجها التعليمية، وهياكلها الإدارية في هذه الفترة أنشئ مع معهد إسلام المعرفة عام ١٩٩٠م وكلية علوم الاتصال عام ١٩٩٤م، وهو ما يجعل الوقوف على تجربة المؤسستين أمراً له أهمية في إطار هذا الفصل، وسنبداً بكلية علوم الاتصال، ونثني بمعهد إسلام المعرفة الذي أنشأ أول برنامج له في مجال علوم الاتصال عام ٢٠٠٤م.

- الاتصال الدعوي في كلية علوم الاتصال:

تميزت هذه الكلية التي أنشئت كما ذكرنا بوجود قسم متخصص، وبمسمى "قسم الاتصال الدعوي" وقد تم تطويره فيما بعد ليصبح "قسم الدعوة ونظم الاتصال" بدأت كلية علوم الاتصال بمنح درجة بكالوريوس العلوم (شرف) في علوم الاتصال، وبناءً على إجازة المنهج المطور لكلية علوم الاتصال المجاز من مجلس الأساتذة بتاريخ ٢٠ يونيو ٢٠١٠م، والذي تمنح بموجبه جامعة الجزيرة بناءً على طلب كلية علوم الاتصال درجة بكالوريوس العلوم (شرف) في:

- علوم الاتصال في الإعلام في التخصص الإذاعة والتلفاز، وتخصص الصحافة والنشر، وتخصص العلاقات العامة.

- علوم الاتصال في تخصص الدعوة ونظم الاتصال.

ويجدر بنا هنا التعريف بقسم الدعوة ونظم الاتصال، الذي تصفه ديباجة القسم بأنه قسم أصيل في كلية علوم الاتصال مع قرينه قسم الإعلام، نشأ القسم مع بدء الكلية، في عام ١٩٩٤م، تحت مسمى (قسم الاتصال الدعوي)، ويقوم القسم بتدريس مقررات الدعوة المختلفة والمقررات المساعدة من العلوم الإسلامية المختلفة. وكان الطالب يتخرج في كلية علوم الاتصال بتخصص واحد عام؛ ونظراً للحاجة إلى التخصص تم فصل القسم ليكون قسماً مستقلاً داخل منظومة علوم الاتصال بمسمى "قسم الدعوة ونظم الاتصال" أضيفت مقررات كثيرة مواكبة للتطور والتقدم في

القسم، كما عُدّلت بعض المقررات بالإضافة، أو الدمج، أو الحذف، فأصبح مجموع مقررات القسم للفصول الدراسية الثانية (٧٠) سبعين مقررًا، بعدد (١٨٢) اثنين وثمانين بعد المائة من الساعات المعتمدة.

وتتمثل رؤية القسم في "تخريج الداعية الإعلامي الذي يُحسن التعامل مع وسائل الدعوة والإعلام الحديثة وتوجيهها لخدمة قضايا الأمة"، وتنص رسالة القسم على "القيام بالدعوة إلى الله على بصيرة، وفق منهج الإسلام الوسطي، وذلك بزيادة أعداد الطلاب المقبولين بالقسم مع زيادة كفاياتهم العلمية، والتوسع في العمل الدعوي المصاحب للعملية الأكاديمية داخل وخارج الكلية."

- برامج القسم:

برنامج بكالوريوس العلوم (شرف) في علوم الاتصال - تخصص "الدعوة ونظم الاتصال" ويشترط للقبول في هذا البرنامج أن يكون الطالب مستوفياً لشروط القبول حسب ما تقرره لائحة القبول بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ويتكون المنهج من ثمانية فصول دراسية، مدة كل فصل (١٥) أسبوعاً، وتمنح الجامعة ممثلة في مجلس أساتذتها درجة بكالوريوس العلوم (شرف) في علوم الاتصال في تخصص (الدعوة ونظم الاتصال) لطلاب البرنامج الحاصلين على معدل تراكمي ٢.٠٠ فما فوق، بعد إكمال المنهج بنجاح، وتشمل مجالات البحث مجالات تخصص الدعوة المختلفة.

الاتصال الدعوي في معهد إسلام المعرفة: ذكرنا أن التجربة ترتبط بالتحويلات النوعية في مسيرة التعليم العالي بالبلاد في بداية تسعينات القرن الماضي، والتي جعلت بموجبها التأصيل مقصداً استراتيجياً، أحدث نقلة نوعية هامة، هيأت البيئة الضرورية لبروز توجهات منهجية، وبناءات مؤسسية متخصصة في هذا الجانب، وكانت جامعة الجزيرة سباقة في تقعيد هذا المقصد، فأُسست في الأول من يناير من عام ١٩٩١م معهد إسلام المعرفة؛ ليكون مؤسسة للبحث العلمي والدراسات العليا في مجال التأصيل المعرفي، وقد حدّد المعهد موقعه بشكل دقيق، مستهدفاً برسالته تحقيق جملةٍ من

الأهداف، لعل أهمها القيام بالبحوث الجادة في مجال منهجية المعرفة التوحيدية، والعمل على تأصيل العلوم الاجتماعية والطبيعية والتقنية المعاصرة، وتوظيفها بما يحقق المقاصد الإسلامية، والسعي لتحقيق التواصل المتبصر مع التراث المعرفي الإسلامي والفكر الإنساني، والعمل على إعداد أجيال من العلماء المتسلحين بالعلم الإسلامي، وإيجاد مناهج دراسية تقوم على نظرية المعرفة الإسلامية، وتوظيف ناتج العلوم التوحيدية (اجتماعية، طبيعية) في دراسة الواقع السوداني وتشخيص علله، وتوصيف أسباب النهوض به، جاعلاً رسالته "الاهتمام بالبحث العلمي والدراسات العليا المصوبة نحو تأصيل العلوم الاجتماعية والطبيعية، وإنتاج علوم من مصادر المعرفة الإسلامية، وتوظيفها للنهوض بالأمة الإسلامية، واستئناف حضارة التوحيد، وفي إطار هذه الرسالة تمثل الدراسات العليا حلقة أساسية في منهج المعهد القاصد إلى تحقيق أهدافه التأصيلية، ومحوراً رئيساً من محاور العمل فيه، ويرتكز نظام الدراسات العليا بالمعهد بصورة أساسية على نظام الفصول الدراسية على مستوى الماجستير، حيث يتعين على الطالب دراسة أربعة فصول دراسية، تجمع بين مطلوبات التأصيل ومواد التخصص والبحث التكميلي، وقد تم تأسيس برنامج "ماجستير علوم الاتصال" كواحد من روافد الدراسات العليا بالمعهد عام ٢٠٠٤م وتخرج في هذا البرنامج عددٌ من الدارسين من داخل وخارج السودان، تشرف دائرة علوم الاتصال على البرنامج الذي يمنح درجة ماجستير العلوم في علوم الاتصال M. Sc. in Communication Science.

- شروط الالتحاق بالبرنامج:

- الحصول على درجة البكالوريوس من جامعة معترف بها.

- خبرة لا تقل عن سنتين من جهة إعلامية معترف بها.

أن يستوفي المتقدم للتسجيل في البرنامج الشروط الواردة في اللائحة الأكاديمية للدراسات العليا لسنة ٢٠١٠م.

- أهداف البرنامج:

- حث وتشجيع الدارسين على بناء الرؤى الاجتهادية في مجال الإعلام، انطلاقاً من مصادر المعرفة الإسلامية.

- الوقوف على الأصول والأسس الفلسفية التي بُنيت عليها أخلاقيات الإعلام وتشريعاته في الدول الغربية والدول الإسلامية، مع تشكيل رؤية نقدية لتلك الأصول والأسس الفلسفية.

- محاولة بناء قيم إسلامية تجاه الإنتاج الإذاعي والتلفازي تمثل بديلاً للقيم الغربية التي تعتمد على الربح كهدف لا كوسيلة أساسية لتسيير عجلة الإعلام المسموع والمرئي والمقروء.

- تشكيل رؤية نقدية لواقع الإعلام الدولي من منطلقات إسلامية، وطرح الحلول والبدائل.

- توضيح الأهداف المعلنة والمستورة من السياسات التي تحرك عجلة الاتصال الدولي بإسقاط الرؤية الإسلامية على هذه الأهداف للخروج برؤية تأصيلية كلية.

- محاولة استنباط رؤية إسلامية في مجال الاتصال.

يقوم نظام الدراسة في هذا البرنامج على نظام ثلاثة فصول دراسية، وفصل رابع بحثي يُخصّص لإنجاز البحث التكميلي والساعات المعتمدة على غرار ما هو معمول به في جامعة الجزيرة.

- المخرجات البحثية للبرنامج:

لعل أهم ما يميز برنامج معهد إسلام المعرفة في مجال الاتصال الدعوي هو مخرجاته البحثية، كما تشير وثائقه التأسيسية إلى أن إنتاج المعرفة العلمية التأصيلية هدفٌ رئيس للبرنامج؛ كما استهدف البرنامج تمكين الدارس من تحصيل فهم متقدم في مجال علوم الاتصال، وتشكيل رؤية نقدية للأصول الفلسفية للإعلام؛ نظرياته

وتشريعاته وأخلاقياته. وبناءً عليه؛ كان طبيعياً أن تخدم البحوث العلمية المنجزة ضمن البرنامج هذه الأهداف. فهل تحقق ذلك الهدف من أهداف البرنامج؟ سنحاول في الفصل القادم إلقاء الضوء على الجانب البحثي من تجربة هذا المعهد.

٣- الفئة الثالثة: جامعات أنشأت برامج وأقساماً للدعوة والإعلام:

تقوم على التكامل بين كليات الشريعة وكليات الإنسانيات والعلوم، جامعة قطر كلية الشريعة، ويمثلها قسم "الدعوة والإعلام" الذي تطور ليصبح قسم الدعوة والثقافة الإسلامية. أحد أقسام كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ويُعنى بخدمة المتطلب العام "الثقافة الإسلامية" على مستوى الجامعة، وخدمة قسمي أصول الدين والفقه والأصول في مقررات دعوية وثقافية وفلسفية، ويقدم القسم درجة البكالوريوس في الدعوة والإعلام، ويعدّ برنامجه برنامجاً بينياً، بين كلية الشريعة وكلية الآداب والعلوم.

وتتلخص رسالة البرنامج في أن "يسهم البرنامج في تحقيق رسالة الكلية بإعداد كوادر دعوية إعلامية قادرة على حمل رسالة الإسلام السمحة التي تجمع بين الأصالة والمعاصرة، وتُسهم بإيجابية في الحوار الحضاري والتفاعل الثقافي، وتخدم بذلك المجتمع القطري على وجه الخصوص، والمجتمع العربي والإسلامي والإنساني على وجه العموم.

- أهدافه:

- سدّ حاجة المجتمع القطري من الأئمة والدعاة والإعلاميين والباحثين ومدرسي التربية الإسلامية.

- خريج الكوادر اللازمة للعمل في المؤسسات الإسلامية والثقافية على المستوى المحلي والعالمي، مع القدرة على التواصل باللغة الإنجليزية.

- تخريج دعاة يجمعون بين الأصالة والمعاصرة؛ يفهمون دينهم ويتسمون بالانفتاح والاعتدال والتسامح.

- تزويد الدعاة بمعرفة رصينة موضوعية، واعية بتيارات العصر الفكرية، واتجاهاته الدينية ومذاهبه الفلسفية.

- تخريج إعلاميين يعملون في حقل الإعلام الديني.
- ترسيخ روح الحوار الديني، والتسامح الفكري بعيداً عن الغلو والتطرف.
- تزويد الخريجين بأدوات تمكّنهم من فهم الإسلام، وتقديم عقيدته وحضارته بأسلوب علمي معاصر.
- تعميق فهم الخريج ظروف العالم والقوى الاجتماعية والسياسية المؤثرة فيها.
- تمكين الخريج من التحليل الواعي للقيم الاجتماعية الجديدة والأنماط السلوكية الحديثة، ومساعدتهم على اتخاذ مواقف موضوعية منه.
- أما على مستوى المخرجات؛ فيتوقع أن يكون خريج البرنامج قادراً على أن:
 - يفهم طبيعة العالم الذي يعيش فيه من حيث التيارات الفكرية والمذاهب الفلسفية والمستجدات الاجتماعية.
 - يفكر بطرق متنوعة، نقدية وابتكارية، لاتخاذ القرارات وحل المشكلات.
 - يقدر منظومة الأخلاق والقيم الإسلامية.
 - ينشر رسالة الإسلام السمحة.
 - يُسهم في الحوار الحضاري والتفاعل الثقافي.
 - يتواصل مع الآخر الثقافي من منظور إسلامي أصيل.
 - يظهر كفاية عالية في التعامل مع وسائل الإعلام.
 - يتقن استخدام أدوات البحث العلمي ومصادر المعلومات المتنوعة
- ومن مزايا هذا البرنامج تأكيده صفة خريج برنامج الدعوة والإعلام، ممثلة في أن يكون داعية ديني، وإعلامي مستنير متفهم للعصر، يغلب عليه الاعتدال والتسامح والانفتاح على الآخر، ويتسلح بمعرفة رصينة موضوعية واعية لتيارات العصر

الفكرية واتجاهاته الدينية ومذاهبه الفلسفية.

يتكون البرنامج من تخصص رئيسي، وهو الدعوة وتخصص فرعي هو الإعلام، ويتطلب أن يكون طلابه مهئين للدراسة باللغتين العربية والإنجليزية، ويمنح الطالب الدرجة بعد اجتيازه (١٢٠) ساعة معتمدة؛ منها: (٥١) إحدى وخمسون ساعة في تخصص الدعوة الرئيسي، و(٢٤) أربع وعشرون ساعة في تخصص الإعلام الفرعي، و(٣٤) أربع وثلاثون ساعة من متطلبات الجامعة العامة، و(١١) إحدى عشرة ساعة من مقررات المتطلبات الحرة.

إنَّ الوقوف على تجربة تدريس الاتصال الدعوي في كثير من الجامعات الأخرى كفيلاً بأن يُثري التجربة ويطورها، ويفتح آفاق المعرفة الدعوية وينمّيها، ويمكن الانتباه هنا إلى تجارب الجامعات الماليزية، مثل: جامعة الملايا، والجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا، وتجربة الجامعة الإسلامية العالمية في باكستان، ونأمل أن تعمل الجامعات السائرة على ذلك المنوال على تطوير هذا المنظور ورعايته، وحفزه بالأنشطة والجهود التقويمية والملتقيات التفكيرية بين مختلف تلك الأقسام والكليات والمراكز والمعاهد العاملة في إطار مفهوم الاتصال الدعوي، أيضاً النظر في القوائم الببليوغرافية لتأصيل دراسات الإعلام والاتصال، فسيجد أن جُلَّ من قدموا إسهامات مقدرة في هذا الجانب هم من أعضاء هيئات التدريس في الأقسام والكليات والجامعات المذكورة، أو من أُتيح لهم الإسهام بالتدريس والإشراف العلمي في الأقسام والبرامج المشار إليها، مما يعني أن تشجيع وتطوير هذا النوع من التجارب والنماذج يعتبر خطوة متقدمة في سبيل بناء المعرفة العلمية لمساق الاتصال الدعوي، وتعزيز وتوسيع الجماعة العلمية الناشطة في هذه الدائرة.

ولا بد لتحقيق ذلك من:

- لفت اهتمام دوائر البحث العلمي لأهمية ما يجري من ممارسات اتصالية دعوية، وحفزهم لإجراء البحوث والدراسات الضرورية لاستكشاف وتوجيه وتقويم

هذه الممارسة، باعتبارها بيئة غنية، ومعين ثر حافل بالظواهر الاتصالية الحقيقية بالاهتمام العلمي والبحثي.

- تصميم المقررات العلمية والمناهج الدراسية في الاتصال الدعوي، وتأكيد الدور الريادي الذي ينبغي أن تقوم به كل من المؤسسات الدعوية والإعلامية في هذا الجانب، ويشمل ذلك تكثيف البحوث التحليلية والتقويمية للممارسة الاتصالية للمؤسسات الإعلامية المتخصصة في المجال الدعوي.

- التنسيق والتخطيط المشترك بين باحثي الدراسات الإسلامية وباحثي دراسات الإعلام والاتصال، لإعادة بناء علم الدعوة على أساس من التكامل بين التخصصين، بحيث تُغطي الدراسة البعدين الأساسيين للظاهرة الدعوية، وهما:

▪ البعد الديني والشرعي، المتمثل غالباً في مضمون الرسالة الدعوية.

▪ البعد الاتصالي والإعلامي، المتمثل في أشكال وأنماط الممارسة الدعوية.

إن المقارنة بين حزمة المقررات التي يدرسها طالب الدعوة في كلية دعوية، وحزمة المقررات التي يدرسها طالب الاتصال بإحدى كليات الإعلام والاتصال كفيلة بتحديد حجم الفجوة المطلوب ردمها بين دراسات الدعوة والاتصال.

الفصل الثاني:

البحث العلمي في الاتصال الدعوي

قام الاتصال بوسائله وتقنياته الدائبة في التطور بدور مغاير، حيث وردت تلك التحولات والتقنيات والوسائل على المجتمعات الإسلامية، مُحَمَلَةً بِجُمْلَةٍ مِنَ الْقِيَمِ والرسائل المرتبطة بثقافتها الأم؛ لتحتل موقعها في مركز الأنظمة الاتصالية للمجتمعات الإسلامية، لتتسم الممارسات الاتصالية والمحتويات الإعلامية بطابعها الغربي، ومما زاد في تكريس الوضع السابق عدم استيعاب الاجتهادات العربية والإسلامية في مجال دراسات الاتصال على المستوى الكلي للعلم "عربياً وإسلامياً وعالمياً"، مع توالي التأكيد عالمياً أهمية توسيع الأفق النظري لعلوم الاتصال. وما يجب تأكيده هنا أن مسألة التأصيل المعرفي تصبح عديمة الجدوى إذا لم تجد مكانها ضمن السياق الكلي للفكر الاتصالي العالمي، والانطلاق من أن النموذج التأصيلي هو نموذج قائم بذاته، ومنعزل باهتماماته الخاصة عن مجمل الحركة الكلية لعلوم الاتصال، هو وضع غير طبيعي؛ وسيجعل الأطروحات التأصيلية تعمل خارج دائرة التأثير والتفاعل المنتج. وربما انتهى بالمحاولة التأصيلية إلى نمط أيديولوجي مغلق ومنغلق في ذات الوقت، أو خيار طرفي ميؤوس منه، وإذا كان إهمال الآخر الغربي للمنتج النظري العربي الإسلامي مبرر باكتفائه بذاته أو تحيزه، فإن المستغرب ألا يتم استيعاب تلك الاجتهادات في صلب المؤسسة "الجامعية" في بلدانها، ولا يتاح لها أن تجد طريقها لتظهر في هيئة مسابقات دراسية، أو كتب منهجية، أو برامج بحثية جادة وفاعلة، وهو ما عمل عليه هذا الكتاب على.

وتنتهي بنا رحلة الفصول السابقة إلى أن أكثر علوم الاتصال في النسق الإسلامي أهمية هو علم الدعوة، والذي يحتاج حتى يتبلور علماً اتصالياً مكتمل البناءات إلى تطورات في القاعدة المعرفية والطرائق البحثية في كل من دراسات الدعوة والاتصال، وهو ما دفع بنا في الجانب المنهجي إلى اقتراح التأسيس لمساق تخصصي وسيط، هو دراسات الاتصال الدعوي، وتسكينها بين كليات الإعلام والاتصال، وأقسام الدعوة

والدراسات الإسلامية، وأن يكون الاتصال الدعوى باعتباره ممارسة راسخة في حياة المجتمعات الإسلامية، ومعلماً من معالم التميز الحضاري والخصوصية الثقافية، موضوعاً لذلك التخصص، فالاتصال الدعوي كما هو مضمار تتجادل فيه الرؤى وتتقابل الأنساق هو مضمار للتواصل الإنساني يستحق أن يجد ما يواكبه من الاهتمام العلمي والأكاديمي.

وقبل الحديث عن غاية هذا الفصل ومحتواه، فلا بد لنا من التأكيد على النقطة الأهم، والتي تعبر عن مستوى الإرادة الفاعلية باتجاه إعادة بناء علم الدعوة على أساس من علوم الأصل ومعارف العصر، وهي تلك المتعلقة بالجماعة العلمية القائمة على تلك الغاية، والتي تظهر حقيقة وجودها من خلال فاعليتها في ساحة البحث العلمي.

ونقول في ختام هذه المقدمة أنه وفي سياق الموضوع العام للاتصال الدعوي وباتجاه غاية ومقصد التهيئة لإعادة بناء علم الدعوة كأحد أهم علوم الاتصال. يأتي هذا الفصل ليُعرّف ببحوث الاتصال الدعوي بمفهومها وأهميتها وأنواعها، والسبل والآليات المناسبة لتوجيه البحث العلمي في مجال الاتصال الدعوي، ويختتم الفصل بمقترحات لبحوث مستقبلية في مجال الاتصال الدعوي.

أولاً: مفهوم بحوث الاتصال الدعوي وأهميتها

بعد هذه المقدمة عن البحث الإعلامي بما هو نشاط علمي منظم، وطريقة في التفكير واستقصاء دقيق يهدف إلى اكتشاف الحقائق معتمداً على مناهج موضوعية من أجل معرفة الترابط بين هذه الحقائق واستخلاص المبادئ العامة والقوانين التفسيرية، وسيلة للاستعلام والاستقصاء المنظم والدقيق الذي يقوم به الباحث بغرض اكتشاف معلومات أو علاقات جديدة، إضافة إلى تطوير أو تصحيح المعلومات الموجودة فعلاً، متبعاً في ذلك الفحص والاستعلام الدقيق، وخطوات المنهج العلمي، واختيار الطريقة والأدوات اللازمة للبحث، وجمع البيانات والمعلومات الواردة في العرض، بحجج وأدلة وبراهين ومصادر كافية. يتأسس السؤال عن ماهية بحوث الاتصال

الدعوي، وما هي أهميتها في هذه المرحلة من تطور علم الدعوة ودراسات الاتصال؟ وللإجابة نقول: ^(١) إن البحث العلمي الذي هو دراسة متعمقة تمثل كشفاً لحقيقة جديدة، أو تأكيد حقيقة قديمة سبق بحثها، وإضافة شيء جديد لها، أو حل لمشكلة كان قد تعهد بها شخصٌ باحثٌ بتقصيها وكشفها وحلها، هو بكل هذه الدلالات والمعاني القاعدة الإجرائية التي يستند إليها باحث الاتصال الدعوي في إنجاز دراساته، بعد أن يكون قد تحقق على نحو تخصصي بالرؤية المنهجية الإسلامية والخبرة العملية في التعامل المعرفي مع أصول المعرفة في الإسلام، ذلك أن من طبيعة البحث العلمي الذي يمثل المنتج الرئيس للمؤسسات العلمية والأكاديمية والأداة الفاعلة في تطوير المعرفة الإنسانية، وتوجيه مساراتها أن يستهدي في مهامه ومراحلها المختلفة بالرؤى الكلية والأنظمة المعرفية التي تعمل في إطارها المؤسسات العلمية وأفراد الباحثين.

وكما كان الوعي بأهمية البحث العلمي حافزاً لقيام برامج دراسية على مستوى الدراسات العليا خاصة، وبدأ الاهتمام بالبحث العلمي في مجال الإعلام والاتصال مقترباً بمحاولات فهم تأثيرات وسائل الإعلام الجماهيري مع مطلع القرن العشرين، ويورد مؤلف كتاب "مدخل إلى مناهج البحث الإعلامي" ^(٢) أن من أهم العوامل التي ساهمت في تطوير بحوث وسائل الإعلام دخول الإعلان عاملاً اقتصادياً مهماً في اقتصاديات الصحافة والإذاعة، مما ساهم في دعم الأبحاث في مجال اختبار تأثيرات وسائل الإعلام على الجمهور المستهلك، إضافة لاستخدام هتلر للدعاية في الحرب العالمية الثانية، واستخدام وسائل الإعلام الجماهيري (الراديو والتلفزيون) حلبة

(١) قاسم، أجد. تعريف البحث العلمي وأهميته وأهدافه وخصائصه، منشور في ٣٠ أبريل ٢٠١٢م، على موقع آفاق علمية وتربوية. انظر:

- <http://al3loom.com/?p=4018>

(٢) ويمر، روجر. ودومينيك، جوزف. مدخل إلى مناهج البحث الإعلامي، ترجمة: صالح أبو أصبع وفاروق منصور، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠١٣م، ص١٧١.

الحملات الانتخابية لتوظيف وسائل الإعلام لاستقطاب الناخبين، وصعود موجة الاهتمام بتنمية الدول المتخلفة لدراسة مدى تأثير وسائل الاتصال في التنمية القومية، والثورة التكنولوجية في مجال الاتصال، التي حوّلت العالم إلى قرية كبيرة جعلت الباحثين يدققون في تأثير هذه الثورة في مستويات محلية وقومية وعالمية. والتقدم في مجالات مناهج البحث وطرائق جمع البيانات وفرزها وتحليلها، إضافة إلى استخدام الكمبيوتر في البحوث، كل ذلك ساهم في تطوير البحوث الإعلامية وإيجاد أفضل السبل لدرس المشكلات الإعلامية، وهي عوامل فاعلة في بحوث الاتصال الدعوي من ناحية تعلقها بوسائل الاتصال، ويُضاف إليها عوامل خاصة بالمجال الدعوي، وما يرتبط به من صعود للظاهرة الإسلامية على مستوى الحياة الاقتصادية والسياسية، والاجتماعية، وما صاحب ذلك من تفشٍ للدعاية المعادية للإسلام على نحو لا يمكن تجاهله إضافة لانعكاسات الثورة في مجال تكنولوجيا الاتصال والمعلومات على الخطاب الدعوي في تمثلاته الموجبة والسالبة، والتسهيلات التي وفرها التطور في مناهج وتقنيات البحث العلمي لباحثي الاتصال الدعوي، إلا أن أهم التحديات الجديدة أمام الممارسة الدعوية يتمثل في ثلاث دوائر؛ الدائرة المحلية، وتتجسد في المسؤولية الوطنية للداعية، مما يجعل الفعل الدعوي متقاطعاً على نحو مباشر مع الفعل السياسي والاجتماعي، والدائرة الإسلامية ومسؤوليات بناء الأمة واستدامة بقائها، والدائرة الدولية والمسؤولية العالمية الواقعة على الدعوة والداعية والمدعويين، تلك المسؤولية المترتبة على انفساح الأفق العالمي لكل من عاملي المشاركة والمراقبة، مما يجعل الفعل الدعوي فعل عالمي، سواء أراد الداعية ذلك أو لا، وهو ما يمنح البحث العلمي في مجال الاتصال الدعوي أهمية كبرى، وحثمية على الأفراد والمنظمات المدنية والدول القومية والنظام العالمي، ويُعطي أمر بناء منظومة بحثية تأسيسية في مجال "الإعلام وعلوم الاتصال" وفي مجال "الاتصال الدعوي" مسؤولية كبرى، وهو جهد يتطلب أسساً منهجية علمية جادة، كما يتطلب خططاً علمية واضحة الهدف والاتجاه، وخبرة بحثية تراكمية عميقة ومستدامة.

ثانياً: توجيه البحث في مجال الاتصال الدعوي

إن التحديد الدقيق للأهداف الكلية للبحث العلمي في مجال الاتصال الدعوي، ووضع محددات منهجية وإجرائية له يساعد في التمييز بينه وبين البحوث التقليدية في مجال الدعوة أو الاتصال، وفي سبيل ذلك جاء قوام هذا الفصل محتوياً لمؤشرات منهجية تتعلق بتحديد الأولويات البحثية، وعرض لأهم أشكال البحث العلمي، وصيغته في مجال الاتصال الدعوي، وتقديم لمقترحات ونماذج لدراسات الاتصال الدعوي.

ومعلوم أن تحديد أولويات البحث الحقيقية يمكن الباحث من اختيار القضايا الأجدر بالاهتمام في مجتمع محدد وظرف محدد، فليس كل ما يبحث في مجتمع يلزم بحثه في مجتمع آخر.^(١) وقد درجت الجامعات على الاهتمام بتوجيه نتائج البحوث العلمية الجامعية لصالح الجامعة والمجتمع وفق خطط للجامعات والجهات التي تخدمها.^(٢) مما يتطلب معرفة بواقع اتجاهات البحث العلمي ومدى إمكانية الاستفادة الفعلية من نتائجه لخدمة الجامعة ورسالتها، وتلبية متطلبات المجتمع، وتحديد نوع الاستفادة المطلوبة من البحوث المنتجة، مما يستدعي التمييز بين البحوث المنتجة من قبل طلاب الدراسات العليا، والبحوث العلمية المقدمة من أعضاء هيئة التدريس.

ولا شك في أن المعرفة بالعوامل التي تعوق الاستفادة من منتوج البحوث العلمية ضرورية لتذليل تلك العقبات وتحقيق أعلى معدلات الإفادة من مخرجات البحث العلمي، مما يعني ضرورة الاهتمام بالجهات الموكول إليها خدمة هذا الهدف، والتنسيق بين من يقومون بتوجيه البحث العلمي وبين الجهة المستفيدة منه في التطبيق العملي.

(١) ملكاوي، فتحي حسن. منهجية التكامل المعرفي؛ مقدمات في المنهجية الإسلامية، هرنند: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، (١٤٣٢هـ/٢٠١١م)، ص ٢٩٥.

(٢) عمر، فدوى فاروق. والقاعد، ماجدولين محمود. "توجيه نتاج البحوث العلمية الجامعية لصالح الجامعة والمجتمع: رؤية إستراتيجية"، مجلة كلية التربية، جامعة بنها، المجلد (٢٦)، العدد (١٠٣)، ٢٠١٥م، القسم الثاني، ص ١٨٥-٢٢٣.

١ - الانتظام في الإنتاج المعرفي الشامل:

إذن، فإن التجسير المطلوب موقوف على استكمال خطوات الإصلاح المنهجي بإنتاج معرفي منتظم، يعمل على مراقبة سلوك الظاهرة الاتصالية في تمثيلاتها المحلية والإسلامية والعالمية، ويقاربها في معالجاته عبر مداخل الاتصال بمستوياته الذاتية، والجمعية والثقافية والحضارية، ليتحقق تبعاً لذلك إنتاج علمي وتراكم معرفي، قادر على تذليل المشكلات، وإحكام المنهجيات، وتعزيز النتائج، وإبراز ملامح الرؤية المنهجية الإسلامية.

سنلاحظ أن تلك المؤسسات الأكاديمية وفي بدايات خطواتها باحثة عن مداخل للتأصيل انطلقت من استقراء الشواهد والأدلة في أصول المعرفة الإسلامية، وطرح الأسئلة المنهجية لدراسات الإعلام والاتصال على أصول المعرفة الإسلامية، فأنتحت الدراسات الرائدة منحاً معيارياً، وكان القرآن بما هو مادة تواصلية مسموعة ومكتوبة موضع الاهتمام الأول لتلك الدراسات، ومحلاً للدراسة والتحليل من قبل رواد البحث الاتصالي الإسلامي، وطرحت في هذا الإطار موضوعات المضامين الإعلامية في القرآن الكريم والتفسير الإعلامي للقرآن، واستدعت ظواهر معرفية متعلقة بالقرآن، مثل: تنزلات القرآن، وتلقي جمهور المسلمين له بالحفظ والمدارسة، وأثر القرآن على الثقافات الإسلامية، ومظاهر الإعجاز الإعلامي في القرآن الكريم، وغير ذلك من القضايا التي وثقت لرحلة بحث الاتصاليين عن موطئ قدم ومنطق قرآني للرؤية الإعلامية، ومع أننا لا نستطيع أن نقول أن تلك الدراسات قد أفضت إلى تلك الرؤية، ولكنها اكتسبت قيمتها كمرجعيات تاريخية يصعب إغفالها في مثل ما نحن بإزائه من عمل، إلا أننا بعد النزول إلى مستوى التطبيقات المنهجية والبحوث الجارية نسعى إلى النظر في آليات وموجهات مباشرة لتلك البحوث التي تحفل بها الأقسام العلمية والكليات الجامعية على مختلف المستويات، ونواتج التفاعل المعرفي بين أساتذة الجامعات والأكاديميين من ناحية، وواقع الظاهرة الدعوية من ناحية أخرى، وهو ما يمكن أن نسميه بحوث المستويين "الأدنى والمتوسط"، التي تُشكّل غالب البناء المعرفي للتخصصات العلمية.

٢- تقنين الجهات وتقويم مخرجات بحوث الدراسات العليا:

للمعهد العالمي للفكر الإسلامي إسهامات مقدرة في مجال توجيه البحث العلمي على نحو عام، وبحوث الدراسات العليا على نحو أخص، لعل منها إصدار قوائم بالأولويات البحثية في أطروحات الماجستير والدكتوراه، حيث لاحظ القائمون على هذا المشروع "أن طلبة الدراسات العليا في جامعات العالم العربي والإسلامي يصرفون وقتاً غير قصير، وجهداً غير قليل، في اختيار موضوعات البحوث العلمية، التي يطلب إليهم أن يقوموا بها، ضمن متطلبات الحصول على درجة الماجستير أو الدكتوراه، ويمرون بكثير من المعاناة وهم يحاولون صياغة مشكلة البحث، وتحديد أسئلته، وأهدافه، وأهميته، ومنهجيته، وتأتي كثير من البحوث بعد إنجازها في موضوعات لا تمثل أولوية في مجال حركة البحث العلمي، أو في خدمة قضايا الأمة، ولا تسهم في جهود الإصلاح والنهوض الحضاري، ولا تتضمن جديداً في العلم، أو مفيداً في العمل، وقد سعى المعهد أن يقدم بعض الجهد الذي يساعد طلبة الدراسات العليا في اختيار موضوعات بحثهم؛ بإعداد قوائم بعناوين البحوث المقترحة في التخصصات المختلفة، ويعطي فكرة عن سعة الميادين البحثية في كل تخصص، والجهد الذي يتضمنه هذا المشروع هو إعداد كتاب يتضمن عناوين البحوث المقترحة مع نبذة موجزة عن كل عنوان، مع دليل إرشادي يعين الباحث في مراحل عمله البحثي، وذلك بعمل جماعي شارك فيه عدد كبير من الأساتذة من تخصصات وبلدان متعددة، ممن يقومون بالتدريس في برامج الدراسات العليا، ويشرفون على الطلبة في إنجاز أطروحاتهم الجامعية.

وقد كان لدراسات الإعلام والاتصال ومنها "مجال الاتصال الدعوي" نصيب من هذا العمل، ولعل الموضوع الختامي من هذا الفصل يصبُّ في ذات الاتجاه الذي ابتغاه المشروع المذكور.

وربما كان من المفيد التقويم المستمر لمثل هذا النوع من المشروعات، ومتابعة آثاره التراكمية على مستقبل المعرفة العلمية، إلى جانب ما تمت الإشارة إليه من نماذج

وغيرها مما تحفل به الساحة الأكاديمية العربية والإسلامية من التجارب الرائدة في مجال تسكين دراسات الاتصال الدعوي داخل الأقسام والكليات الجامعية.

ومما يخدم في ذات السياق تأتي المراجعات الجارية على المخرجات البحثية لبرامج الدراسات العليا في مجال الاتصال الدعوي، إن معاناة البحث العلمي في العلوم الإسلامية ومقارنته بنوع من النظرة المتأنية تتطلب أن تشمل عملية التحليل المتغيرات المتعلقة بالتاريخ، والمكانة العلمية للباحث وعلاقته بالمحيط الثقافي والاجتماعي للمجتمع الذي يوجد فيه، وتنتمي إليه تلك الدراسات، وعلاقة تلك الدراسات بسلم الأولويات في مجال البحث، والوسائل المستخدمة في إنجاز ذلك المتوج، وعلاقة ذلك بالنظام الاجتماعي والسياسي وبالمحيط الدولي والحضاري. مما يستدعي سلسلة من الأبحاث الجادة.

ويمكن التمثيل بالمقاربة النقدية التي قدمها الباحث الجزائري نصير بوعلي لبحوث الماجستير في جامعة الأمير عبد القادر، والتي جاءت بعنوان "البحث العلمي في الدعوة والإعلام"،^(١) التي حاول فيها تسليط الضوء على واقع البحث العلمي بقسم الدعوة للإعلام والاتصال بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية من زاوية أن هذا التخصص الذي يجاور فيه الطلبة الباحثون بين العلوم الدعوية، وهي من العلوم الإسلامية، وأساليب الإعلام والاتصال، وهي من العلوم الاجتماعية، واستعرضت الورقة أهم الأسس التي يقوم عليها البحث العلمي بجامعة الأمير عبد القادر، وفيها يقول: "تأسيس نظام الدراسات العليا بهذه الجامعة ابتداء من أواخر الثمانينات، ويهدف البحث العلمي إلى تحقيق جملة من الأهداف، منها: تكوين الطلبة تكويناً إسلامياً علمياً، ونشر الروح العلمية، وإعداد الأبحاث والدراسات الأكاديمية، وحفظ المخطوطات وتحليلها، وفتح باب التعاون مع الجامعات والمراكز والمواقع العلمية... إلخ".

(١) بو علي، نصير. "البحث العلمي في الدعوة والإعلام؛ مقارنة نقدية لبحوث الماجستير"، مجلة المعيار، جامعة الأمير عبد القادر، المجلد (٨)، العدد (١٥)، ٢٠٠٨م، ص ١٦٩-١٧٨.

وأشارت الورقة إلى الغاية الكبرى للبحث العلمي على مستوى قسم الدعوة والإعلام والاتصال، وهي إحداث نوع من التجاور المتفاعل بين هذه التخصصات، حتى تنحصر في تخصص واحد يؤدي وظيفة "البلاغ المبين، ويشير بو علي أن مذكرات الماجستير بهذا القسم وفق دائرة اهتمام الطلبة أن ٤٠.٦٪ من هذه الأبحاث حول الدعوة بينها ٣٢.٨، منها: عبارة عن بحوث في الإعلام الإسلامي ١٣.٣٪ إعلام ديني (تحليل محتوى الخطاب الديني في رسائل الإعلام)، ٤٠٪ اتصال دعوي (ك نماذج الاتصالية والبلاغية للإمام).

بينما الثلث المتبقي يربط بين الوسيلة والرسالة، أو بين الوسيلة الإعلامية والغاية الدعوية، ضمن تخصص الإعلام الإسلامي، وينطلق هؤلاء الطلبة من القاعدة العامة بأن للإعلام مرجعية ومركزة ومركز رؤية، ويستحيل أن تبتعد أو تحيد هذه الخلفية عن الممارسة الإعلامية.^(١)

ويتضح من خلال المعاينة أن معظم بحوث الطلبة على مستوى الماجستير يعتمد فيها على المقاربات المنهجية Les Approaches، أو أن هذه الدراسات قد تتوفر على سياق منهجي (وهي قليلة) أو لا تتوفر على الإطلاق، ومن ذلك فهي بحوث نظرية، فـ ٤٢.١٨٪ من هذه البحوث عبارة عن الدراسات إعلام ديني تراثي (وسائل الاتصال في عهد النبوة والخلافة الراشدة). انظر الجدول رقم (٣)، ص ١٧٥، "نصير". وما يمكن استنتاجه أن المذكرات أو الرسائل الخاصة بالإعلام تتوفر فيها إلى حد ما المنهج والأدوات وطرق العد والقياس، وهي في معظمها دراسات إما تطبيقية (من خلال تحليل المضمون)، أو ميدانه (من خلال دراسة الجمهور المتلقي)، عكس البحوث الخاصة بالدعوة التي يميل فيها الطلبة إلى جوانب النظرية أو المعرفة التراكمية الخاصة بالموضوع المدروس، ويمكن من باب النزاهة أن نشير هنا إلى بعض الاستثناءات في هذا المجال.^(٢)

(١) المرجع السابق، ص ١٧٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٧٤.

٣- تفعيل التواصل عبر المجالات العلمية:

بقراءة عامة للقوائم البيلوغرافية للمجلات العلمية والفكرية الأشهر منذ بدايات القرن الخامس عشر الهجري تقريباً، يمكن ملاحظة أن الفضاء النشط للباحثين المهتمين بدراسات الإعلام الإسلامي والتأصيل المنهجي للدراسات الدعوية، تمثل في مجلات، مثل: المسلم المعاصر (مصرية، تأسست عام ١٩٧٧م) والأمة (قطرية تأسست عام ١٩٨٠م) وإسلامية المعرفة (أمريكية تأسست ١٩٩٠م) والبيان (بريطانية تأسست عام ١٩٨٩م) وتفكر (سودانية تأسست عام ٢٠٠٠م) والتأصيل (سودانية تأسست عام ٢٠٠٢م) وبحوث دعوية (سودانية تأسست عام ١٩٩٩م) والتجديد (صدر العدد الأول منها في رمضان ١٤١٧/ يناير ١٩٩٧) وسلسلة دعوة الحق ومجلة الرابطة (السعودية)، ولعل هذه المجالات هي الأكثر تأثيراً في توجيه بحوث الاتصال الدعوي، وإن كانت تُشير في عناوينها للإعلام الإسلامي أكثر من الاتصال الدعوي، الذي لم يكن مألوفاً في ذلك الوقت، ولفقه الدعوة أكثر من علم الدعوة، تماشياً مع المستوى التطوري الذي وصلت إليه بحوث الدعوة والاتصال في هذه الفترة، وما يهم في الجانب المتعلق بدور المجالات العلمية هو أن تكون لها فيما يتعلق ببحوث الدعوة والاتصال استراتيجية واضحة في إدارة أجندتها البحثية، وتوجيه البحث العلمي بحيث يحقق اختراقات علمية ومعرفية، تنتهي ببناء معرفة علمية منظمة في مجال الاتصال الدعوي، وتأسيس جماعة علمية متواصلة وفاعلة، والمأمول من هذه الاستراتيجية أن تخرج ببحوث الاتصال الدعوي من دائرة الاهتمامات العامة، إلى مستوى أعمق من التخصصية، وذلك باتباع آليات وأساليب النشر العلمي المفضية إلى ذلك، بنشر الملفات وتنظيم الندوات والمناشط العلمية المتخصصة، والتنسيق أو التشبيك مع المؤسسات التي تعتبر مظاناً للمادة الأولية في مجالات الاتصال الدعوي، مثل: مراكز تدريب الدعاة، ومراكز دراسات الحج والزكاة والأوقاف ومنظمات وهيئات الدعوة والإرشاد، إلى غير ذلك من المؤسسات والهيئات والمراكز.

من المؤكد أن أهم التوصيات في هذا المقام أهمية هو ذلك المتعلق بالجماعة العلمية المشار إليها في أكثر من موضع سابق، وأن يكون لسان حال هذه الجماعة العلمية مجلة علمية عالمية محكمة متخصصة، يكون موضوع عملها تطوير دراسات الاتصال الدعوي وعلوم الدعوة، بما يحقق تأصيل تلك الدراسات والعلوم، وتوجيهها لما يحقق مقاصد الأمة، ونمو واستقرار مجتمعاتها، وأن تبدأ هذه المجلة باستيعاب النشاط المنهجي والبحث العلمي المنتج في الجامعات والكليات والأقسام التي لها كسب في تلك المجالات، وفي مقدمتها الجامعات المشار إليها في النماذج السابقة.

٤ - وضع خريطة افتراضية للدراسات الدعوية:

في خاتمة هذا الفصل نحاول أن نعرض استفادتنا في حدود الرؤية الفردية للمؤلف، وإمكاناته العلمية المحدودة هي الأخرى بمحدودية قدرة الفرد على الإلمام بظاهرة واسعة النطاق مثل: ظاهرة الدعوة، والتفكير المفرد لصالح جماعة علمية، تنتشر على أفق القارات الخمس، وتمثل تلك الإفادة في وضع علامات على خريطة افتراضية للدراسات الدعوية تقوم على مركزية البعد التواصلي في الدعوة وجوهرية الاهتمام الدعوي في الاتصال في البيئات الإسلامية، وتعين نقاط اهتمام بحثي على ضوء معايير منهجية متعلقة بعلمي الدعوة والاتصال.

وتقديراً لرسوخ القناعة بأهمية البعد التواصلي في العملية الدعوية نفترض أن معالم الخريطة المنهجية لمجال الاتصال الدعوي تشمل محاور متعلقة بالمقاصد التواصلية للدعوة ومنهجها، دراسة بعدها الاتصالي وملامح بنية نظامها الاتصالي، وطبيعة وسائل الاتصال الدعوي وطرائق عملها.

ثم يأتي الموضوع حول مقاصد الاتصال الدعوي، مؤكداً الجانب المعياري، وتقرير الموقف الشرعي مدخلاً أولاً لتأصيل أي نشاط إنساني، ومن ذات المدخل يمكن النظر في موضوعات تتعلق بالنظام الاتصالي الإسلامي وعلاقته بمختلف جوانب الدين، باعتباره نظام معتقدات، فتتم دراسة موقع الشعائر والعبادات من النظامين.

ويمثل التحدي الذي تطرحه وسائل الاتصال في طرائق واتجاهات الاستخدام، مما يفسح المجال لطرح سؤال عن إمكانية توظيف هذه الوسائل في السياق الدعوي.

كما تستدعي دراسة الظاهرة الدعوية معرفة الباحث الدعوي بمناهج التحليل الثقافي ونوع الموضوعات المندرجة تحتها، والاتجاهات المنهجية المتنافسة على معالجتها، وتأتي في مركزها اتجاهات ما بعد الحداثة، وفي هذا السياق يمكن دراسة صورة المرأة في وسائل الاتصال، ومقاربة ما تتضمنه من علاقة جدلية بين الديني ومثل له باتجاهات ما بعد الحداثة، والديني، متمثلاً في الرؤية المنهجية الإسلامية.

وحينما يكون الحديث عن سُبُل التكيّف مع الثورة الرقمية بمظاهرها، والعلاقة بين معطيات الثورة الرقمية وواقع الاتصال الإنساني، ومن ثم تأثيرها على الاتصال الدعوي، فإن أي مدى أدى تقليص فوارق الزمان والمكان واللغة التي أحدثتها هذه الثورة في دوائر الإمكان الدعوي، لتجاوز حواجز الزمن والمسافة والخبرة الثقافية واللغوية.

لقد جمعت التقنية البشر أين كانوا وحيثما وجدوا، ضمن سياق تواصلي واحد، تمثله شبكات الاتصال والمعلومات "الدعوة في زمن الاتصال الرقمي". واستكشاف محاولات العلماء المسلمين للتعامل مع التنوع الثقافي والتعددية الدينية للأسرة الآدمية، والوقوف على نماذج مثل البيروني في الجغرافيا البشرية، وآثاره في مقارنة الأديان، (الحياة الدينية في الهند) وأثر ذلك في العلاقة الإنسانية بين المسلم والعالم الخارجي، ويتم اقتراح دراسة موضوع "الدعوة الإسلامية والتدافع الحضاري".

ثالثاً: مقترحات لبحوث جامعية في مجال الاتصال الدعوي

مقصد الاتصال الدعوي كمساق تخصصي ومدخل منهجي هو النظر في الدعوة من حيث هي عملية تواصلية، ذلك هو الموضوع العام للاتصال الدعوي، وفيما يأتي استعراض لنماذج من الموضوعات التي يمكن أن تخدم في إطار ذلك الموضوع العام للاتصال الدعوي، ويصلح كل منها أن يكون موضوعاً للبحث العلمي في جانب من جوانب الاتصال الدعوي، وهي:

١ - الاتصال الدعوي من منظور مقاصدي:

يُعد تحديد الموقف الشرعي مدخلاً أولياً للتأصيل لأي نشاط إنساني، وتترتب عليه كل الخطوات اللاحقة في عملية التأصيل، وهو ما يعنى بالضرورة معرفة القائم بالتأصيل بالأدلة الشرعية وطرق التعامل معها، وأدوات وآليات استنباط الحكم الشرعي، والمعرفة بمرجعيات وكتب الفقه والأصول، ويعرّف الاتصال عادة بأنه علم وسائل، فما هي العلاقة بين الاتصال والمقاصد؟

وتبني الإجابة على نتائج المقابلة بين الاتصال ذلك السلوك البشري الظاهر والمقاصد: تلك السلوكات النفسية الكامنة والموازنة بين الاتصال والعلم ذي المنهجية المرسومة والموضوعات المحددة والوسائل المعلومة من ناحية؛ والمقاصد العلم الأصولي الذي ينظر في مآلات الأحكام والشرائع في الملل المختلفة من ناحية أخرى، والذي انتهى إلى قاعدة جليلة، حوت خمسة مقاصد معتبرة لدى كل الملل والشرائع، هي: حفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ الدين، وحفظ المال، وحفظ النسل.

وقد يلاحظ المتأمل في المكتبة الإسلامية ندرة في المعالجات الفقهية للأحكام المتعلقة بالإعلام والاتصال، مع أنها أصبحت مما تعمُّ به البلوى بلغة الفقهاء. إذن، لا بد من الوقوف على تلك الأسئلة المتعلقة بالموقف الشرعي من الإعلام والاتصال.

ولنا هنا أن نميِّز بين القيمة المعرفية لأسئلة من قبيل: متى يكون الاتصال واجباً؟ ومتى يكون مستحباً أو مندوباً؟ وهل يمكن أن تدخل بعض أنماط التواصل والنشر الإعلامي في دائرة المحرمات؟ وكيف عاجلت كتب الفقه ظواهر وأشكال الاتصال الإسلامي من الخطابة والكتابة والأذان والحسبة وغيرها؟ وكيف يمكن أن تسهم المعرفة الفقهية في زيادة فاعلية الخطاب الدعوي على مستوى كوني؟ وما هي الدلالات المعرفية للقصص القرآني فيما يتعلق بدعوة الرسل؟ على سبيل المثال، وما هي محددات موقف إبراهيم والذين معه من قومهم عامة؟ وموقفه من والده خاصة؟ ما هي خطوط الفصل والوصل بين فقه أحكام الدعوة وفقه الممارسة الدعوية؟

جملة هذه الأسئلة يمكن أن تكون محاور للنظر والبحث في علاقة الاتصال الدعوي بالفقه والمقاصد.

وعلينا أن نُسلِّم أولاً أنَّ الفعل الإسلامي في معظم أوقاته يجري وفق منطق الفقه وأصوله، فالفقه هو العلم الذي شكَّل خط الصلة بين المعرفة والواقع في حياة المسلمين، وبقيت الملامح الثقافية للمسلمين تتشكَّل على أساس من التباينات المذهبية القائمة في أساسها على الاجتهاد الفقهي.

وقطعاً فإنَّ النشاط الاتصالي الإعلامي قد تأثر بهذا الجانب، فلو أخذنا شعيرة الأذان على سبيل المثال نجدها تمثل من جانبٍ معلِّماً من معالم الوحدة الثقافية للمسلمين، وكأنها تعرض في تفاصيل أدائها مظهراً من مظاهر التنوع الفقهي.

ومن ناحية أخرى؛ فإنَّ تحرير الموقف الفقهي يساعدنا في استكشاف تباينات النظر في إطار الرؤية الكلية الإسلامية، تبعاً لتباينات العقل الإسلامي، سواء على أساس مذهبي، أو على أساس منهجي، على نحو من قسَّمه إلى عقل بياني، وعرفاني، وبرهاني.

سنلاحظ أيضاً ونحن نعالج الاجتهادات الحاكمة على مسألة الاتصال والموقف منها؛ أن ثمة أحكام تأتي من خارج النسق الفقهي، وأنها تترك أثرها القوي على مسار التواصلات الإسلامية.

والتأمل في الآثار الحديثة الواصفة لحال خطباء آخر الزمان، والدعاة والوعاظ يجد من الوعيد والتهديد ما يجعل العمل في هذه المجالات ينطوي على مخاطر دينية وعقدية جمة.

وعلى المستوى الواقعي تقابلنا اجتهادات تضع الدعوة وأنشطتها خارج نطاقات الممارسة المعرفية، ويصنفها آخرون ضمن أدنى مستويات التفكير الديني.

كل تلك الاستفهامات والتقارير والمواقف يمكن أن تشكل مادة دراسية ثرة لباحثي الاتصال الدعوي ما أحسنوا التعامل معها من حيث المنهجية وطرائق المعالجة العلمية.

من جانبه فإنّ القيمة التواصلية للمقاصد تظهر من ناحية:

- أهميتها للحفاظ على الجوانب الأهم في الحياة الإنسانية.

- تأكيدها للقيم الإنسانية المشتركة.

- دلالتها على الخصوصية في إطار التنوع.

- أنها تجمع بين البعد الغائي والبعد القيمي للفعل الاتصالي للمجتمع والجماعة والأمة.

- تُساهم في ضبط وتكييف البعد النفسي للسلوك التواصلية؛ للأفراد والمؤسسات.

٢- موقع الشعائر الدينية في نظام الاتصال الإسلامي: الحج باعتباره مظهراً للاتصالات الجمعية وعبر الثقافية:

أكد القرآن الكريم معاني الاتصال بوصفها مقاصد وجودية لحياة الإنسان، فللشعائر الدينية في الإسلام متضمنات تواصلية مهمة؛ إذ تلعب الشعائر الدينية - كما ذكرنا - دوراً هاماً في تنمية وتنظيم السلوك التواصلية لدى الأفراد والجماعات، وتؤكد الانتظامية في التواصل بين الفئات الاجتماعية واستدامة التواصل اليومي وتنظيم العلاقات في إطار الحي من خلال المسجد في الصلوات الخمس، تليه دائرة أوسع تشمل الجماعة المحلية التي يجمعها لقاء أسبوعي يوم الجمعة، وعلى نطاق أوسع تنظيم التواصل من خلال لقاء موسمي في الأعياد، أما شعيرة الحج؛ فهي تأكيد لأهمية الاتصال المباشر في نطاق الانتماء الكلي للأمة الإسلامية من ناحية، وللأسرة الإنسانية من ناحية أخرى. وتأكيد قرب المسافة ومباشرة العلاقة بين بني آدم.

لقد أولت مناهج الفقه الإسلامي ومذاهبه عنايةً بالغة بالحج وشعائره، وأسهمت في بيان كيفياتها، وعزّزت مداخل الفكر الإسلامي ومدارسه معاني الحج وتعظيم شعائره - على نحو كاد معه فقه الحج يغدو ثقافة عامة للمسلمين - وإذا برز ما يقدر في حقيقة ذلك التعظيم هنا وهناك، وبين فينة وأخرى، فمرده أن شيئاً من الضعف قد

اعتري الوعي بحقيقة المقاصد الكلية لهذا الركن العظيم والعبادة الجليلة.

ولا شك في أن التفكير في كيفية إذكاء روح المحبة والتعظيم والإجلال لشعائر الله بين المسلمين اليوم يُعد أمراً بالغ الأهمية؛ كونه مطلباً دينياً أولاً، ويحقق المقصد والحكمة من هذا الركن الجليل من أركان الإسلام ثانياً.

وإذا كانت الشعائر الدينية تؤدي في ظاهرها على نحو مستدام منذ أن أذن إبراهيم في الناس بالحج، إلا أن المتفق عليه أن الأبعاد الروحية والعقدية المرتبطة بتلك الشعائر قد تفاوتت تفاوتاً كبيراً، واحتالت في بعض العهود إلى مراسم شكلية وطقوس خاوية من الروح، وأفعال بدنية لا تعبر عن حقيقة مراد الله من هذه العبادات وتلك الشعائر.

واليوم ومع بقاء الالتزام بالشعائر على حاله إلا أن كثيراً من الدلالات الكونية والدعوية لتلك الشعيرة الدالة في معانيها الكلية على وسطية الأمة وعراقة تقاليد الإيمان فيها، وموافقة الإسلام للمعاني الفطرية التوجهات الجبلية للذات الإنسانية، وتجسد شعائر الحج بقدسيته ورمزيتها تسجيلاً حياً للتوافق مع مبتدأ ذلك الاعتقاد ومنتهاه، كما تجسّد حالة الاجتماع الفعلي للأسرة البشرية بجذورها وأعراقها، وثقافتها المختلفة في مكان واحد، وتوجهها نحو قبلة واحدة؛ ما يعكس مظهراً من مظاهر الشهود على الناس، ويحوي التراث الأدبي المتمحور حول رحلة الحج تعبيرات إنسانية راقية عن عمق التأثير الذي خلّفته هذه الرحلة في نفوس المؤمنين، خاصة المسلمين الجدد، مما يربّب على باحثي الاتصال ضرورة العمل على توسيع نطاقات التقصي، والبحث في البعد التواصلّي باعتباره أحد المقاصد الكلية لشعيرة الحج، والنظر لوسائل تحقيقها في المجتمعات المعاصرة.

كل ذلك يدعو للتوسّع في النظر للحج في أبعاده المتعلقة بالجانب المقاصدي، كشعيرة دينية تؤكّد "عبودية المسلم لله اختياراً، كما هو عبدٌ لله اضطراراً" والجانب المعرفي المتعلق بالحج باعتباره موضوعاً للبحث والدراسة من المعارف والعلوم الإنسانية المعاصرة، ومنها علوم الاتصال، والتعرف على مقدار ما تكشفه من جوانب

دالة على عظمة هذه الشعائر؛ بما يناسب مناهج تفكير الإنسان المعاصر ويعزز نتائج المعرفة الإسلامية، إلى جانب البعد التواصلی والثقافي الذي يعرض الحج ظاهرة إنسانية فريدة بين ظواهر الاجتماع والتواصل الإنساني.

ولا شك في أن تعظيم الخالق وتقديسه وتعظيم حرمان الله وعدم تجاوزها، يمثل المقصد الكلي لفريضة الحج وشعائرها، وهو على مستوى الواقع حاجة إنسانية عامة، وهم مشترك بين الثقافات المختلفة، وقد أشارت آيات الكتاب العزيز لتعظيم تلك الشعائر باعتباره فعلاً قلبياً في الأساس، ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآنَعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣٠-٣٢] إلا أنها لم تُغفل الأشكال والكيفيات الدالة على هذا التعظيم، فهي التي تعكس حقيقته، وتُعبّر عن مقاصده، فمع إقرار الإسلام لتعظيم عرب الجاهلية للبيت الحرام، وتنويه القرآن به، إلا أنه شجّب ما اتبعوه من طرائق وابتدعوه من شعائر وطقوس ليعبروا بها عن ذلك التعظيم، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٥] وهو ما يجعل النظر في العلاقة بين الكيفيات والمقاصد المتعلقة بالتعظيم أمراً بالغ الأهمية.

على المستوى المعرفي نرى أن تطور المعرفة الإنسانية المعاصرة قد كشف وأبان عن معالم للعظمة، يجسدها هذا الركن لم تكن بيّنة في العهود السابقة، وهو ما يستوجب استيعابها والتعريف بها، مما يزيد الأمكنة والأزمنة والمشاعر والشعائر المتعلقة بالحج عظمةً في نفوس المؤمنين، فقد تطورت فروع المعرفة التي تدرس ظواهر الاجتماع البشري والتواصل الإنساني، وتعدّد مناهجها.

وقد اتسعت مباحثها التي تشهد ويشهد الواقع الإنساني الماثل بأن الحج يمثل ظاهرة فريدة من ظواهر الاجتماع البشري، فما مدى قابلية توظيف نظريات وفرضيات

علوم مثل علم النفس الاجتماعي والاتصال والاجتماع لدراسة حشود الحجيج التي تهزم بانتظامها نظرية الفوضى وتواصلها نظرية الحشد والكتلة وتفاعلها وانفعالها نظرية عدم التجانس، إنَّ الحج ظاهرة إنسانية فريدة، تشهد بذلك حقائق العلم الاجتماعي، كما شهدت حقائق الوحي الإلهي.

أما في الجانب التواصلي؛ فقد أكد التطور المذهل لوسائل وأنظمة الاتصال المعاصرة أن رهان الإسلام على الفطرة في تعزيزه للتواصل الإنساني المواجهي والمباشر بين أبناء مختلف الثقافات الإنسانية أمرٌ ممكنٌ تحت راية التوحيد، وضمن دين الفطرة، مما جعل الحج يبدو ظاهرةً إنسانيةً فريدةً، تعكس قوة الإسلام كروية عقديّة، وفعلٍ حضاري متجاوز، لأكثر الأنظمة والتقنيات الإنسانية تقدماً وتطوراً.

ولعل سؤالاً يبرز هنا عن الانعكاسات التي تركها تطاول الزمان، وبُعد الشقة بين مسلمي اليوم ومنابع الهدى الصافية على واقع تعظيمهم لشعار الحج، ونفترض هنا أن ما برز من مظاهر سالبة تتعلق بالكيفيات والوسائل له ارتباطه بالمعتقدات والمقاصد من ناحية، وبالأفكار والمعارف من ناحية أخرى، وبالثقافات والمعتقدات من ناحية ثالثة؛ مما يعني أهمية توظيف الأبعاد الثلاثة في تحديد الكيفيات والوسائل المحققة للتعظيم، بما يتناسب مع مقتضى الأصل وطبيعة العصر، وهو الأساس في دعوتنا لاعتبار هذه الجوانب في شعيرة الحج موضوعاً رئيسياً للاتصال الدعوي.

نفس هذا المنهج يمكن تطبيقه على شعيرة الصلاة، وكذلك الصيام والزكاة، وسنلاحظ أن الاتصال يمثل مكوناً جوهرياً في تلك الأركان، وسنكتشف بسهولة أن مفهوم الاتصال ودلالاته يبدو مختلفاً كثيراً عن الرؤية الأكاديمية للاتصال، فنظام الاتصال هنا هو نظام حقيقي فطري غير مصنوع، ولا يتم التحكم فيه من أي جهة سوى المتفاعلين أنفسهم، وأنه يكتسب أبعاداً روحية، ومعانٍ إطلاقية تشبع في الذات الإنسانية شعورها بالانتماء للوجود بكل ما فيه من أبعاد.

٣- صورة المرأة في وسائل الاتصال: جدل الديني والدنيوي:

تلعب المضامين التي تقدمها وسائل الإعلام عن قطاعات معينة في المجتمع دوراً مهماً في تكوين الصور الذهنية المنطبعة لدى الجماهير عن هذه القطاعات، وتكتسب هذه الوسائل أهمية كبرى في مجال تكوين الصور الذهنية في الحياة المعاصرة، بسبب انتشارها الواسع، وقدرتها الكبيرة على الاستقطاب والإيهار، وسيطرتها على أوقات الأفراد.^(١) وتمثل المرأة موضوعاً هاماً لتغطيات وسائل الإعلام.

ونبدأ في موضوع صورة المرأة بالمبررات التي تجعله يندرج ضمن بحوث الاتصال الدعوي، وإذا سلمنا أن موضوع الصورة الإعلامية موضوع اتصالي في المقام الأول؛ فإن اشتباكه مع الجانب الدعوي يبدأ من الحاجة إلى حكم شرعي لهذه الظاهرة الاتصالية، مروراً بالتوظيفات "ما بعد الحداثية" لهذه الصورة بما يمثل دوراً مضاداً للرسالة الدعوية للاتصال ومقوضاً لها، وموضع الإشكال أن النمط ما بعد الحداثي في توظيف صورة المرأة قد انتقل إلى القنوات الإعلامية المسلمة بنسب متفاوتة، ولكن بذات المبررات المادية المناقضة لمبدأ رئيس من مبادئ الاتصال، ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦].

وتعتبر علاقة "الإعلام بالمرأة" واحدة من أكثر القضايا إثارة للجدل في مختلف المجتمعات خاصة، في ضوء تنامي ما يوصف بأنه دور سلبي لوسائل الإعلام في تقديم صور لا تتناسب مع كرامة المرأة ودورها وإنجازاتها، وذلك بما تقدمه تلك الوسائل من محتويات ترفيحية وتجارية تُعزز الصورة السلبية للمرأة، وقد أُنجزت عشرات الدراسات في المنطقة العربية، حيث وجدت في معظمها أن المرأة تظهر في وسائل الإعلام، وخاصة التلفزيون، وفي أطر تقليدية وأدوار ثانوية وغير قيادية، مثلما تظهر في الإعلانات التجارية كرمز للجنس والمتعة، وكأداة للتسويق، وذلك موضوع

(1) <http://repository.yu.edu.jo/bitstream/handle/123456789/437506/493277?sequence=1%20%20%20%20.pdf>

يمكننا امتلاكه بربط صورتها بصور السلع والخدمات التي يتم التسويق لها."

وتعدّ دراسة صورة المرأة في وسائل الاتصال هامة لعدة اعتبارات؛ حضارية، ومنهجية، وإعلامية، انطلاقاً من أهمية وخطورة الدور الحضاري للمرأة في سياق تاريخي وثقافي، تلعب فيه وسائل الإعلام دوراً أساسياً في صياغة تصورنا للعالم من حولنا، والمجتمع الذي نرغب في العيش فيه، وفي أي صورة من الديمقراطية، أو الاشتراكية،^(١) أو حتى الإسلامية، نريد له أن يكون أيضاً لارتباط صورة المرأة في وسائل الاتصال الحديثة بالهوية الاجتماعية في تشكيلها البصري، وقد كانت فكرة الهوية في النموذج ما بعد الحداثي تُبنى انطلاقاً من مظاهر التغير والتغير في أساليب تقديم الذات، والتفكير في الذات كصورة ذهنية مستقلة عن الواقع.

كما أن واقع الممارسة التواصلية يبين كيف أنّ كلا الموضوعين؛ المرأة من ناحية، والإعلام من ناحية أخرى، يمثلان مرايا تظهر عليها التباينات الثقافية بوضوح تام. لدرجة أننا لو حاولنا تصنيف وسائل الإعلام بحسب موقفها من قضية المرأة أو خلافه، فإننا دون جهد شديد سنجد أننا وضعنا تصنيفاً لعرض تباينات الخريطة الثقافية والفكرية. ورسمنا مساحة يلعب فيها الدين والقيم والحالة الاقتصادية والاتجاهات السياسية أدواراً متبادلة لخلق تتابعات من الصور الذهنية مشكلاً المشهد الذي يسعى بعضهم لتغييره، ويسعى آخرون للإبقاء عليه.

ويترتب على ذلك ظهور الحاجة إلى معالجة الموضوع بطريقة شاملة، تُبرز فيه الجوانب الثقافية والإعلامية والمعرفية، مع استحضار الأبعاد الدينية والقيمية والحضارية، وهو ما يشرح هذا الموضوع؛ ليكون محوراً للبحث من قبل دراسات الاتصال الدعوي، ونبدأ بالبعد الديني للموضوع.

(١) تشومسكي، نعوم. السيطرة على الإعلام، ترجمة: أميمة عبد اللطيف، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط١، ٢٠٠٣م، ص٧.

فالدين في المجتمعات التقليدية يمثل سقف القيم وغاية المعيارية، وإن كان بالنسبة للأفق المناظر يتشكل ضمن موقفين منهجين؛ الأول: موقف لاهوتي كنسي يبحث عن المحافظة على دور اجتماعي ثقافي للدين في سياق علماني صارخ، إذا نظرنا إليه من الأفق الإسلامي، وموقف ما بعد الحداثة: يرى أن الدين يعني أول ما يجب الانعتاق من ربقته، ويعمل على التخلص من كل ما له علاقة بالرؤية الدينية للعالم والإنسان والكون، بانياً على الرصيد المنطقي للعلمانية الغربية الشاملة.

ولأن الرؤية الغربية للدين لها خصوصيتها التي قد لا تناسب التعريف الإسلامي، فإننا هنا نتحدث عن المعيار الإسلامي كأفق ثالث متجاوز للأفق العلمي، أو العلماني؛ مثلاً في الحداثة، والأفق الديني اللاهوتي؛ مثلاً في الكنيسة.

أ- البعد القيمي:

لا شك في أن موضوع المرأة لا يمكن معالجته بمعزل عن مسألة القيم والمعايير، والقيم في الإعلام أمرٌ حتميٌّ، فلا رسالة إعلامية إلا ولها محتوى قيمي، ترتب له أو تسعى إلى تعزيزه، ولعلنا نستفيد في هذه المقاربة المنهجية من نواتج نظرية الحتمية القيمية، كمقاربة إسلامية لمسألة القيم التواصلية، ويؤكد مدخل القيم أن ما يُثار حول صورة المرأة في وسائل الإعلام أمرٌ يتساوى فيه المسلمون والمسيحيون، فحالة التوتر والخوف من موجة البث المباشر كان أمراً انتظم شعوب العالم شرقاً وغرباً، كلٌ حسب ثقافته.

ومن إشكالات الصورة ما بعد الحداثية للمرأة أنها تأتي لتقوِّض تلکم الصورة الأخلاقية الدينية، وتعيد المرأة إلى موقعها في جمهورية أفلاطون؛ أداة للمتعة واللهو، حيث تشتكي معظم الدراسات المنجزة حول الموضوع أن المرأة قد تحولت عن طريق وسائل الإعلام إلى كائن جماهيري، يسعى إلى الإثارة عبر مظهره الخارجي أكثر من سعيه إلى تحقيق ذاته الوجودية، والكائن الجماهيري كما يقول (أورتيغا دي جازيت): لا روح له، وهو مثالٌ نموذجيٌّ للإنسان ذي البعد الواحد، الذي ندَّدت به الاتجاهات النقدية، فهو كائنٌ غيرٌ هادفٍ، يعيش حياته تحت شعار "أنا أثير الاهتمام العام؛ إذن

فأنا موجود" وبذلك فقد اختلَّت مرجعية التقييم الاجتماعي للمرأة من المعيار الوظيفي والتقييم الأخلاقي إلى المعيار الشكلي والجمالي، وضاعت المرأة العادية، دعك عن المعاقة أو الدميمة، أو حتى البدينة والملونة، وأصبحت المرأة التلفزيونية كائنٌ افتراضيٌّ، خُلق ليناسب شطحات عقل ما بعد الحداثة، دون أن يكون له أي تمثيل اجتماعيٍّ، أو وجود حقيقي في تضاعيف الواقع، وهو في حقيقته واقع مستفزٌّ للتربويين، ومقلِّقٌ للمتدينين، ومربكٌ للمحللين الاجتماعيين، وأهم من ذلك لا يتناسب ونظرة المرأة لنفسها.

ب- الأبعاد الثقافية والدلالات الحضارية:

لا بد لنا ونحن نحاول التعرف على الأهمية الثقافية والحضارية التي أصبحت تحتلها قضايا المرأة ومنها "صورة المرأة في وسائل الاتصال" من أن نتوقّف على مجموعة من الشواهد الإعلامية الدالة على موضوع الدراسة، لقد أثارت موجة التحولات المفجعة لصورة المرأة في تلفزيون ما بعد الحداثة اهتمام باحثي الإعلام في الغرب، والتي اشتكت من جنوحات إعلام ما بعد الحداثة، وخلف آثاره الضارة على المجتمعات الغربية بمستوى أثر على تعريف الإنسان لنفسه، ونظرته لذاته، مما يكشف عن الوجه السلوكي والمعرفي للإشكال الذي يخلّفه التعريف الحداثوي للجسد، كفضاء ذاتي وملكية خاصة، وإذا كانت عمليات الاستغلال والعنف تأتي من طرفٍ آخر يمكن السيطرة عليها عن طريق وسائل الضبط الاجتماعي، بدءاً بالقانون، وانتهاءً بالإرشاد والتوجيه، فإنّ التعدي على حرمة الذات لا يمكن التعامل معه بتجرّد.

وإذا كان التلفزيون قد قام بدورٍ كبيرٍ في جوانب التوعية والتثقيف عن طريق رسائله الإخبارية والتوعوية، فإنه متهم من خلال وظيفته الترويحية والترفيهية بإسهامه في تفشي ظاهرةٍ يختلف الناس حول تسميتها، ولكنهم يكادون يُجمعون على كونها ظاهرةً سالبّةً، هي ظاهرة الاستغلال الجسدي للنساء، ليس في الإعلانات فقط، بل حتى عبر برامج المنوعات والرياضة والدراما، مما دفع بعض الأسر الأوروبية لأن

تمنع أطفالها من مشاهدة الأفلام والقنوات الأمريكية. ولعل مما يؤسف له أن بعض تلك الحالات قد تسربت إلى مجتمعاتنا في صور مزرية، في تجسيدٍ لمصيرٍ غير مرغوبٍ فيه ثقافياً لدى الإنسان العربي المسلم، وعلى الرغم أن هذه التحفظات ثقافية بالأساس ولكن ما يقف خلفها ويسندھا هو قوى اقتصادية عملاقة، تتجسّد في النموذج الغربي في صناعة الترفيه، والتي تتخذ فيه المرأة في صورتها الجماهيرية موقع القلب، وتُشير معظم الدراسات الغربية في هذا الصدد إلى نماذج تلفزيون الواقع، وظاهرة الفيديو كليب، باعتبارها بعض مظهرات الحداثة في المجال الإعلامي.

تري، هل يبدو الوضع مختلفاً على المستوى الحضاري، حيث يتم توظيف وسائل الإعلام كقنوات للتفاعل والتواصل الثقافي، وتوظيف هذه الوسائل في سياقات حوارٍ جدليٍّ، فكيف تبدو ملامحه؟

قد تسعفنا بعض الشواهد الإعلامية في الإجابة، وسنكتفي منها بقصة الأكاديمية الأمريكية، إفريقية الأصل الدكتورة "آمنة ودود" والتي عرفت على نطاق واسع في العالم الإسلامي، باعتبارها أول امرأةٍ تصلي إماماً للرجال، لقد ظلت الصورة منقوشة في أذهان الكثيرين بعد أن تناقلتها أجهزة التلفزة العالمية، وتعرّضت لحملة من الانتقادات في الأوساط الإسلامية، والسؤال: هل كانت دوافع تلك الانتقادات الموقف الفقهي من "إمامة المرأة"؟ يبدو أن ما جوبهت به من انتقادات لم يكن بدوافع فقهية، فآراء ودود الفقهية كانت قد عُرفت قبل ذلك، بدراساتها حول النوع في القرآن، وحواراتها أثناء عملها في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، وحينما جمعت ودود تلك الآراء في أحد كتاباتها وافق الأزهر على ترجمته وطباعته في مصر على الرغم انه خالف بديهيّات في الفقه والتفسير إثراءً للحوار العلمي كما جاء في تقرير الأزهر. كان التحفظ موجهاً ناحية الصورة الإعلامية والسياق الدعائي الذي عرضت فيه، كانت المرأة مفردة قوية في تلك الرسالة التي تناقلتها وسائل الإعلام الغربية، والتي أفسحت للحدث مساحات واسعة، ووظفته في سياق جدلها مع الآخر المسلم، كان

المسلمون في الغرب أكثر وعياً بدلالة السياق الإعلامي السالب الذي عرضت فيه آمنة ودود، وهو ما ترتّب عليه رد الفعل المسلم، الذي اتسم بالسلبية والانتقاد.

إن صورة المرأة (البروفيسور/ المجتهدة/ الفقيهة) لم تكن هي التي تتحدث، ما كان يتحدث هو الإطار الذي وضعت فيه، والاتجاه الذي يخاطبه، ورد الفعل الذي يحفزّه، لمثل هذه الشواهد وسواها، وللدور الذي تقوم به وسائل الإعلام في واقعنا نجد أنفسنا مدفوعين للتساؤل حول الصورة التي تعرضها تلك الوسائل لنا ولعالمنا ولمجتمعاتنا سواءً أكانت وسائل إعلام محلية، أو دولية. تثبت البعد الحضاري للصورة، وتثبت أيضاً أنّ المرأة كانت مفردة في سياق الجدل والتفاعل بين نسقين حضاريين مختلفين، هما: النسق الغربي والإسلامي، كل قضية كانت تُشير إلى نقطة توتر في العلاقة بين كلا النسقين، وإذا حاولنا التماس قضية يبدو فيها هذا التوتر في صورة قياسية وتتفاعل فيه متغيرات مشابهة هي المرأة ووسائل الاتصال، فلن نجد أفضل من النهاية المأساوية لأميرة ويلز الليدي (ديانا سبنسر) والتي كرّستها وسائل الإعلام أيقونة للمرأة الغربية الصالحة والمحافظة، ولكن دراما الحياة الغربية قد ذهبت بها إلى الاتجاه المعاكس، لقد ذهبت واحدة من أكثر النساء تمتعاً بكاريزما الصورة ضحية لما يسميه (ريجيس دوبريه) بعنف الصورة وتطفل الـ(باباراتزي) نعم كانت علاقة النسق الإسلامي غائبة وبعيدة. ولكن الصمت الإعلامي المطبق من قبل "ما بعد الحداثة" لم يعطها حتى فضيلة البقاء في ذاكرة الصورة، على نحو ما فعل مع (مارلين مونرو)، عمل الإعلام في الاتجاه المعاكس لقيم المجتمع الغربي، وفرض الصمت لصالح أيديولوجيا الصورة الإعلامية، والتنفّذ القوي لتلك الأيديولوجيا الغامضة، يقول: إن أجيال لاحقة ستظل عقولها تدور حول سبب انتحار (مونرو) بينما لن يتم ذكر قصة أميرة ويلز القتيلة، ولو لجيل قادم.

إذا حاولنا أن نقارن بين ما تم نشره حول الحادثة في وسائل الإعلام الغربية والإسلامية، فلا بد أننا سنكشف عن مستوى آخر من التباينات في النظر إلى الصورة

الإعلامية للمرأة، وهي تباينات في الغالب (ثقافية، وسياسية، واجتماعية)، فالعاشقة البطلة في نظر مجتمع الغربيين الحداثيين، هي مستهترة في نظر المحافظين، لا لمجرد إقامتها علاقة غير شرعية، ولكن لعدم مراعاتها لموقعها الاجتماعي حال تأسيسها لتلك العلاقة، فهي وقبل كل شيء تنتمي إلى العائلة الملكية، بينما عشيقها القتل هو مجرد عربي من مغامري الطبقة الوسطى.

في العالم الإسلامي - كما استنكر أحد كبار السياسيين - تم قراءة الحملة الإعلامية باعتبارها تقديس لعلاقة محرمة وجدت الأميرة في صورة لا يمكن التعبير عن محتواها الذهني بالكلمات، ولكنها تُسفر عن بعد الشقة الثقافية بين النسقين. وكما كانت أميرة بريطانية موضوعاً لدراما الأميرة والثري المغامر، كانت المسافة شاسعة بين طريقة اتباع كل نسق في التفكير حولها، فقد كانت أميرة عربية موضوعاً لدراما سابقة في عقد سبعينات القرن العشرين، ولأهميتها كحدث إعلامي مؤثر على صورة الإسلام في الغرب جعلها إدوارد سعيد أحد موضوعات كتابه ذائع الصيت "تغطية الإسلام"، لكن ما يعنينا منها هنا هو التباين في طريقة التفكير في الموضوع بين مسلمي السبعينيات والثمانينيات، ومسيحي أوروبا وأمريكا في ذلك الوقت، ومن المؤكد أن هذا التباين في التعامل مع صورة المرأة قد تغير كثيراً في الألفية الثالثة، وكان للإعلام دورٌ كبير في ردم الهوة، ولكن السؤال: إلى أي النسقين أصبحنا أقرب؟

يتميز خطاب الحداثة بانشغاله بالمرأة كائناً وموضوعاً، وبالإعلام سلطة ووظيفة، وهو ما تعرضه صور التعبير عن ذلك الاهتمام في سياقات البحث العلمي وجدل الحقوق المدنية، والعدالة الاجتماعية، ودوائر الانشغال بقضايا النوع ومذاهب النسوية في تجلياتها المنهجية والأيدولوجية، هذا بجانب الحوار الأزلي حول قضايا الأسرة والمجتمع، وفي إطار اهتمام دراسات الاتصال باتجاهات التغطية الإعلامية للقضايا الاجتماعية، ومن أهمها قضية المرأة والإعلام.

تتجه وسائل الاتصال المرئية في نزعتها ما بعد الحداثوية، ناحية تكثيف الصورة حتى تصل إلى حالة من عدم الوضوح في التمييز بين "الموضوع" و"الصورة"، إن ما قد

يبدو أنه يحدث في اللعب بالصورة المتعلقة بالأنواع المختلفة هو تخفيض "الذات" و"اختزالها" حتى تصبح مجرد صورة. ومن ثمّ ترجع أهمية المدخل ما بعد الحداثي لكون ثقافة ما بعد الحداثة هي ثقافة الصورة الذهنية في الأساس، وبصورة المرأة بشكل أكثر تأكيداً، بمعنى أنها ثقافة مستأنثة كما توصف في كثير من الأحيان، كما يساعدنا هذا المدخل على تخصيص وتشخيص الصورة الذهنية موضع القلق وفرزها عن التوظيفات الإيجابية لصورة المرأة في نظم ووسائل وأنماط اتصال أخرى.

ويتوقع أن تنظر دراسات الاتصال الدعوي للموضوع باعتباره تحليلاً للمقابلة الحضارية بين نسقين من القيم الإعلامية، النسق الغربي وتوجهاته التحررية بإزاء مسألة النوع، والذي يتخذ مظهره الأكثر حدة في الاتجاه ما بعد الحداثة، والنسق الإسلامي ونزعتة الأخلاقية حال تعامله مع هذا النوع من القضايا، والذي يكسب قوته من استناده إلى نظام حضاريّ كامل، يمسّد تلك القيم ويمثلها باعتبارها الوضع المعياري للوجود الإنساني؛ مقدماً حالة من حالات الشهود الحضاري للمجتمع المسلم.

وترتبط القيمة المنهجية لموضوع "صورة المرأة في وسائل الإعلام" بالآتي:

- التأكيد الدائم للآثار الاجتماعية والثقافية السالبة، المرتبة على الوضع الراهن.
- العمل على إغناء الساحة الإعلامية الدولية بنماذج بديلة، تعرض المرأة في سياق أدوارها الاجتماعية ووظيفتها الوجودية.
- تفسير الهوية الثقافية بين توجهات الأنظمة التربوية والتوجيهية من ناحية، وتوجهات أنظمة وقنوات الاتصال من ناحية أخرى، بما يحقق الاتساق والانسجام بين مكونات النظام الاجتماعي.

ونختم بالتأكيد على أن علاقة ما سبق بالإعلام الدعوي، هي محكُّ اختبارٍ لاستيعاب الباحث لرحابة الأفق المعرفي المتاح له التحرك فيه تحت عنوان الاتصال الدعوي، دون أن يكون ملزماً إلى الاستناد على مفاهيم الدعوة والبلاغ والبيان، ما دام يعمل في إطار البحث الاتصالي، منطلقاً من رؤية إسلامية للاتصال، حيث تمثل

الدعوة قُطِبَ رَحَى تلك الرؤية.

٤ - ظاهرة انتشار الإسلام، وظاهرة الإسلاموفوبيا:

أصبح من المعروف علمياً أن الأديان الستة الكبرى في العالم يمكن تقسيمها إلى دين مختص برسالة، ودين غير مختص، فاليهودية والبرهمية والزرادشتية من القسم الأخير، أما البوذية والمسيحية والإسلام؛ فهي من القسم الأول وقد وفق في تحديد ما ينبغي أن يدل عليه اصطلاح "دين الرسالة" بقوله: إنه الدين "الذي يسمو فيه نشر الحق، وهداية الكفار إلى واجب مقدس، على يد مؤسس الدين أو خلفائه من بعده، إنها روح الحق في قلوب المؤمنين التي لا تستقر حتى تتجلى في الفكر والقول والعمل، ولا تقنع حتى تؤدي رسالتها إلى كل نفس إنسانية، وتعترف أفراد الجماعة الإنسانية بها تعتقد أنه الحق".^(١)

أ- الإسلام دين رسالة:

إن الذي دفع المسلمين إلى أن يحملوا رسالة الإسلام معهم إلى شعوب البلاد التي دخلوها، وجعلهم ينشدون لدينهم بحق مكاناً بين ما نسميه أديان الرسالة، لهي حماسة من ذلك النوع، من أجل صدق عقيدتهم، وليس موضوع هذا الكتاب إلا صورة من تاريخ ظهور هذه الحماسة في تبليغ الدعوة ودوافعها وألوان نشاطها، وإن انتشار مائتي مليون من المسلمين في العالم في الوقت الحاضر هو الشاهد على ما كان لهذه الحماسة من أثر خلال الثلاثة عشر قرناً التي تلت ظهور الإسلام.^(٢)

بهذه الكلمات بدأ توماس آرنولد كتابه حول الدعوة إلى الإسلام، وهو ما أكده المستشرق مونتهجمري وات حين قال: إن هناك "اهتماماً في الإحصاءات الإرسالية" التبشيرية" بعدد المتحولين للمسيحية، وزيادة الأعضاء المنتمين للكنائس المحلية.

(١) أرنولد، توماس. الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين وإسماعيل النحراوي، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط١، ١٩٤٧م، ص ١٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٠٣.

ويقول: "إن المسيحية في هذا الصدد تصل إلى حَدِّ التناقض مع الإسلام، فرغم أنه دين دعوة كالمسيحية، إلا أنه أقلّ تهايلاً بالداخلين فيه، فالمجتمع الإسلامي يجذب أناساً إلى الإسلام لمجرد قبولهم كإخوة "في الإسلام" وهذا الاتجاه لا يتخذه إلا أصحاب دين واثقون من دينهم ثقة عظيمة، لا تجعلهم يؤكدونها بالإحصاءات، بينما نجد المسيحيين الغربيين يَمرون بأزمة ثقة في النفس..."^(١) ولعل في حديث (وات) مقدمة لتفسير تعقيدات واقع العلاقة بين المجتمعات الإسلامية والمسيحية.

ومع أننا في دراستنا هذه نطلق من المفهوم الإسلامي للتبليغ الديني؛ إلا أننا نحاول -في ذات الوقت- تلمُّس علاقة التأثير والتأثر بين الدعوة للإسلام والتبشير بالمسيحية باعتبار المسيحية الديانة الأقرب إلى الإسلام، وباعتبار التبشير بالمسيحية ظاهرة حاضرة في أجزاء مهمة من العالم الإسلامي، ولا يمكن إنكار وجود قدرٍ من التنافس بين الإسلام والمسيحية على صعيد الدعوة والتبليغ، خاصة في قارتي أفريقيا وآسيا.

فكما أن الرعايا من المسلمين ظلوا هدفاً رئيسياً لحمالات التبشير المسيحي، في ذات الوقت شهد الغرب ممثلاً في أوروبا والولايات المتحدة منذ عقود ظاهرة ضخمة من التحوُّل باتجاه الإسلام، وهو تحوُّلٌ على حساب المسيحية، وعلى أراضيها، وسنلاحظ في سياق هذا الموضوع الذي يعتبر بيئة خصبة لدراسات الاتصال الدعوي أن أساليب المناظرة والحوار، إضافة إلى استخدام وسائل الاتصال بأنواعها كان مكوناً رئيسياً، وسمة عامة لتلك المنافسة، وتبعاً لذلك انتقلت الأساليب والمفاهيم بين حركة العمل الدعوي والتبشيري، وقد يتحفظ بعضهم على القول: إن مفاهيم مثل: الأخوة والخدمة والتبشير الإسلامي، هي من الواردات من سياق تجربة التبشير المسيحي، وإن دراسة حركة التواصل والتبادل في الخبرات بين الأفقين ضرورية على المستوى المعرفي، ولا شك في أنَّ الوعي بحركة التبليغ في الأديان الأخرى يُعدُّ مفيداً

(١) وات، مونجمري. الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ: القاهرة: مكتبة الأسرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب)، ٢٠٠١م، ص ٢٢٣-٢٢٦.

للعاملين والباحثين في شأن الدعوة، حتى لا تتحكم الرؤى الفردية والمواقف الارتجالية، والتحييزات الساذجة على الموقف الدعوي بصورة عامة، وعلى سلوك الدعاة والمؤسسات الدعوية بشكل خاص.

ويعتبر توسيع البحث العلمي في هذا الجانب مطلوباً في المجتمعات ذات الطبيعة التعددية والمجتمعات الإسلامية التي تنشط فيها حركات التبشير المسيحي في إفريقيا وآسيا بشكل خاص.

لقد عرضت دراسة توماس أرنولد المشار إليها سابقاً "الدعوة إلى الإسلام" وعياً مسيحياً عميقاً بالدعوة الإسلامية، وعرضت معلومات مفيدة عن تاريخ الدعوة إلى الإسلام، ومثلت أساساً وقاعدة للتواصل المعرفي بين العاملين في تجربتي الدعوة الإسلامية والتبشير المسيحي.

مما يؤكد أهمية تتبع التراث العلمي المسيحي الذي اهتم بدراسة الدعوة كظاهرة دينية عامة أو كنشاط منافس وتمثل تقارير مجالس الكنائس والبعثات التبشيرية معيناً ثرياً لهذا النوع من المعارف، وإن الوعي باتجاهات حركة الانتقال إلى الأديان وبينها وتطور التبشير المسيحي يجب أن يقع في ترتيب متقدم في الأجندة البحثية لدى باحث الاتصال الدعوي.

وتشير الإحصائيات الحديثة إلى أن الإسلام هو الديانة الأسرع انتشاراً في العالم، إلى درجة يتوقع معها أن معظم مجتمعات أوروبا الغربية ستتحول إلى مجتمعات ذات أغلبية إسلامية خلال عقود انظر الجدول رقم (١)، ونجد بالمقابل اتساع دائرة الخوف من الإسلام، أو ما عُرفَ برهاب الإسلام أو "إسلاموفوبيا"، وبعيداً عن المتعلقات السياسية وصراعات الهيمنة والمصالح، نريد هنا أن ننظر للموضوع في سياقه الدعوي.

جدول إحصائية توزيع الأديان ٢٠١٤م^(١)

الرقم	الأديان	عدد الملتزمين إليه	النسبة المئوية
١	المسيحية	٢.٢ مليار	٣٠٪
٢	الإسلام	١.٦ مليار	٢١٪
٣	اللا دينية	١.١ مليار	
٤	الهندوسية	٩٠٠ مليون	
٥	الديانات التقليدية الصينية	٣٩٤ مليون	٦٪
٦	البوذية	٣٧٦ مليون	٦٪
٧	البدائية الأصلية	٣٠٠ مليون	٦٪
٨	المعتقدات التقليدية الأفريقية	١٠٠ مليون	
٩	السيخية	٢٣ مليون	
١٠	جوتشي	١٩ مليون	
١١	الروحانية	١٥ مليون	
١٢	اليهودية	١٤ مليون	
١٣	أخرى		

ولا نحتاج لأن نتوسع كثيراً في القول بأهمية دراسة ظاهرة انتشار الإسلام والتعامل معها، كاهتمام يقع في مقدمة الأولويات البحثية لمبحث الاتصال الدعوي، إنَّ دراسة مثل هذه الظاهرة هو بلا شك فعلٌ مستقل عن ممارسة الدعوة نفسها، فهو فعلٌ معرفيٌّ في الأساس، يهدف إلى دراسة الدعوة والتعامل معها كظاهرة وموضوع للبحث والمراقبة العلمية، ولا شك في أنَّ الحقائق المترتبة على دراسة العوامل والأسباب المؤثرة في انتشار دعوة الإسلام وتوسيع دائرة المتنقلين إليه وطبيعة الأصول الثقافية والمعتقدات السابقة للمسلمين الجدد ستقوم بدور إيجابي في ترشيد وتوجيه

(1) www.adherents.com/religions

حركة الدعوة الإسلامية، وإضفاء العلمية على جوانبها المختلفة.

وتستدعي دراسة الانتقال إلى الإسلام استخدام مناهج وأساليب بحثية مختلفة، متضمنة البحوث المسحية، وإجراء الدراسات الإحصائية، فالوصول إلى رقم دقيق لعدد المسلمين في العالم يشكل مقصداً نبيلاً لحركة بحثية نشطة في مجال المسوحات والإحصائيات لدى أتباع الديانات المختلفة.

ب- ظاهرة الإسلاموفوبيا:

الإسلاموفوبيا أو رهاب الإسلام، أو الخوف المرضي من الإسلام، ظاهرة إعلامية بالدرجة الأولى؛ قوامها تعاضم الصور النمطية السالبة عن الإسلام في المجتمعات الغربية، وتُرجعها كثيرٌ من الدراسات إلى جذور تاريخية بعيدة، لكنها مرتبطة ولا شك في واقع هجرة المسلمين إلى الغرب من ناحية، وتنامي عدد الداخلين في الإسلام من سكان تلك البلاد، وتزايد مظاهر الثقافة الإسلامية في الشارع الغربي، ومع أن المفهوم ظهر على ساحة الفكر أولاً؛ إلا أن الإعلام هو الذي فعّله ثقافياً. والسؤال: ما السبيل إلى معالجة تلك الظاهرة ذات الأثر السلبي على صورة الإسلام؟

الملاحظ أن معظم الحكومات والهيئات الإسلامية التي وعت المشكلة قامت بوضع أهداف عالية، وتنفيذ حملات تثقيفية ومشروعات نموذجية، والعديد منها تبنت سياسات بارعة يمكن أن تساعد أو تؤدي إلى تحقيق تقدم ملموس لأهداف تحسين صورة الإسلام، والخروج من ظاهرة الإسلاموفوبيا، ويمكن تصنيف العناصر ذات الصلة من هذه السياسات إلى ثلاث فئات:

- تقديم حوافز للأنشطة التي من شأنها أن تُساهم في الحد من ظاهرة الإسلاموفوبيا.

- إقامة شراكات بين الجهات الفاعلة.

- تأمين فعالية السياسات، من خلال أساليب التوعية والتعريف بالإسلام.

إن ظاهرة "الخوف من الإسلام" هي الوجه الآخر من حقيقة الانتشار المتسارع للإسلام غرباً، ومن هنا تأتي أهميتها.

ويتولد هنا سؤال: أين الطرح العلمي الذي يحدد دور الدعوة في مواجهة ذلك؟ والإجابة تتوقف على نتائج الدراسة المقترحة التي يتوقع أن يكون وضع معالجات استراتيجية للتعامل مع ظاهرة اتصالية مزمنة، مثل ظاهرة "الإسلاموفوبيا"، وهو سؤال الأزمة الذي يعمل الخطاب الدعوي بإزائه، وهو في ذات الوقت السؤال المنهجي الذي تعمل هذه للدراسة متضافرة مع دراسات أخرى في تحديد مسارات الإجابة المعرفية عليه، وكما ذكرنا سابقاً؛ فإن التوصيف الظرفي للوقائع وتقديم توصيفات استقرائية للظواهر بغية إصدار أحكام عامة قائمة على مبدأ الإعذار الأخلاقي، والتحليل الآني من تبعات المسألة المنهجية ليس بالضرورة مساراً حتمياً ووحيداً للبحوث، ولا محددًا حتمياً لمخرجاتها.. فعندما تكون العلوم في طور التكوّن يصبح للبحث الفلسفي قيمة لا تقل في دلالته على الحقيقة العلمية عن البحث الوصفي التطبيقي.

٥- الدعوة في زمن الاتصال الرقمي، واستخدام وسائل الاتصال في نشر الإسلام:
تعدُّ الثورة الرقمية تحولاً جوهرياً في طبيعة الحياة المعاصرة، خاصة ما يتعلق منها بجوانب الاتصال الإنساني، والحوار والتفاعل الثقافي بين المجتمعات والشعوب، وحينما يكون الحديث عن سبل التكيّف مع الثورة الرقمية بمظاهرها المختلفة، تتولد جملة من التساؤلات، لعل من أهمها: كيف يمكن أن نفكر في العلاقة بين معطيات الثورة الرقمية وواقع الاتصال الإنساني؟ ومن ثم تأثيرها على الاتصال الدعوي؟ لقد وسعت هذه الثورة دوائر الإمكان الدعوي بتقليصها فوارق الزمان والمكان واللغة، فأصبح ميسوراً تجاوز حواجز الزمن والمسافة والخبرة الثقافية واللغوية، ولقد جمعت التقنية البشر أين كانوا وحيثما وجدوا، ضمن سياق تواصلي واحد، تمثله شبكات الاتصال والمعلومات.

وقد نظر بعض الباحثين في إمكانية إعادة تكييف أساليب الدعوة وتحديثها لتواكب إنسان القرن الحادي والعشرين، والعمل على إيجاد البدائل واستنباط السبل الأنجع لممارسة الدعوة في عصر التقنيات الحديثة، ومع اعتقاد الباحث أن هناك تشويهً لحقائق الإسلام، ناتجٌ عن جهل الجمهور بتلك الحقائق، إلا أنه يرى أن الدعوة الإسلامية موعودةٌ بكثيرٍ من الازدهار في ظل التطور التقني الحديث، ولكنَّ هذا الازدهار لن يتأتَّى ما لم يؤمن القائمون بأمر الدعوة بأهمية التطور التقني، ويعملوا على استخدامه بصورة أفضل.

قد يقول قائل: إن على الدعاة في هذا المجال أن ينزعوا عصابة الخوف من معطيات التقنية الحديثة، ويؤمنوا بأنها ليست أكثر من وسيلة لتحقيق غاية.

ومن مزايا الثورة الرقمية أنها تساعد في تفعيل الرسائل الدعوية، سواء أكان بإعادة بث ما أُنتج منها ضمن أنساق تواصلية أخرى، أو ما أُنتج خصيصاً ليلائم أنظمة التواصل الرقمي. والأمثلة كثيرة على دور الأنظمة الرقمية في رفع مستوى تأثير الكثير من الخطباء والأئمة، وأصبح مألوفاً أن نجد أمام أبواب المساجد، وفي أماكن بيع المواد الرقمية تسجيلات رقمية لخطب سابقة للإمام، كما أصبح مألوفاً في بعض المساجد أن نجد أدوات العرض الرقمي داخل المساجد، أما على شبكة الإنترنت؛ فيمكنك متابعة خطبة الجمعة في مساجد على امتداد القارات الخمس، هذا بخلاف وجود مواقع إلكترونية وقنوات فضائية وإذاعات مسموعة، متخصصة في مختلف مجالات الدعوة، وبعضها باسم دعاة وقرّاء مشهورين للقرآن الكريم.

وبناءً عليه؛ يتضح جلياً أن الدعوة الإسلامية في ميادينها المختلفة لم تكن بمعزل عن الثورة الرقمية، ومرجحة لكفة التأثير على كفة التأثير، إلا أن النتائج الإيجابية التي حققتها هذه الثورة تستحق أن يُفرد لها من الوقت والجهد والدراسة ما يحقق المأمول، ويوصل إلى النتائج المرجوة.

ولعل أهم النتائج الإيجابية للثورة الرقمية على المستوى التواصلى - إلى جانب ما سبق ذكره - أنها قربت المسافات بين شعوب وثقافات العالم الإسلامى، وجعلت الشعور بالانتماء للأمة أمراً ممكناً ومحسوساً، وأنها أسقطت الحدود الفاصلة بين المسلمين (مجتمع الإجابة) وبقية شعوب العالم (مجتمع الدعوة)، فوضعت أمام الدعوة صورةً جديدةً للعالم باعتباره "فضاءً للشهادة".

٦ - الدعوة الإسلامية والتدافع الحضارى:

مع القيمة العلمية المقدرة لأطروحات مثل: صدام الحضارات، ونهاية التاريخ، ورسالة المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين، إلا أن التناسب العكسي في الصعود الحضارى بين الإسلام والغرب يدعونا إلى الذهاب إلى مستويات أعمق في أدبيات التاريخ، وملازمة محاولات العلماء المسلمين للتعامل مع ظاهرة التنوع الثقافى والتعددية الدينية للأسرة الآدمية، والوقوف على نماذج مثل: البيرونى فى الجغرافيا البشرية، وآثاره فى مقارنة الأديان، الحياة الدينية فى الهند، وأثر ذلك فى العلاقة الإنسانية بين المسلم والعالم الخارجى. لقد حكم الإسلام الهند، وهو لا يشكل أغلبية فيها، وامتدادات ذلك إلى مجيء الإنجليز والأثر الجليل الذى خلفه (رحمت الله الهندي) فى المناظرة الدينية على نحو ما وثّق له فى كتابه "إظهار الحق"، وغير ذلك من مساهمات، تُظهر كيف استطاعت الدعوة الإسلامية أن تتسرّب إلى معظم بلاد وشعوب آسيا ذات التراث الروحى العريق، والآثار الحضارية والثقافية الباقية؟ فما السر فى انتشار الإسلام التاريخى شرقاً؟ هل هو جيوش الغزو، أم أنهم التجار فقط؟ أم هي بعثات تبشيرية منظمة استهدفت تلك الأرجاء الشاسعة من القارة الآسيوية؟ وما سر انتشاره الحالى غرباً فى أوروبا والولايات المتحدة فى عزّ نشوئها وماديتها؟

ولعل فى حديث ولي عهد بريطانيا ما يساعد فى الإجابة، يقول الأمير (تشارلز) فى محاضراته الشهيرة: "لقد أصبحت الحضارة الغربية مولعة بالكسب واستغلاله على نحو متزايد، بما يتنافى مع مسئوليتنا البيئية، إنّ هذا الشعور الهام بالوحداية والوصاية على

الطابع القدسي والروحي للعالم من حولنا شيءٌ مهم يمكن أن نتعلّمه من جديد من الإسلام، إنني على ثقة بأنَّ بعضَ الناس ستسارع في اتهامي، كما يفعلون عادةً بأنني أعيش في الماضي، وأنني أرفض التأقلم مع واقع الحياة العصرية، إنَّ الأمر على خلاف ذلك، فما أدعو إليه هو فهمٌ أوسع وأعمق، ومتأنٌّ أكثر لعالمنا، إنني أدعو إلى إيجاد بُعدٍ غيبي، إضافةً إلى البعد المادي لحياتنا، بغية استعادة التوازن الذي تخلينا عنه، والذي أعتقد أنَّ غيابَه سيثبت أنه مدمر في الأمد الطويل.^(١)

مسيحيًا فإنَّ عصرَ الحماسة التي أظهرها الرسل في نشر الدين -كما يقول توماس أرنولد- قد يليه فترة جهود وعدم اكتراث، وربما حلَّ الاضطهاد والتنصير الإجباري محل الدعوة الهادئة إلى "كلمة الله". كذلك كانت الدعاية الإسلامية في شتى عهود التاريخ الإسلامي بين مدٍّ وجزرٍ، ولكن لما كانت الغيرة التي عرفها هؤلاء العاملون على نشر الدين ظاهرةً جليةً في بثِّ كلِّ من الديانتين، رأينا من المناسب أن نُفرد لتاريخ الدعوة دراسةً خاصة، بحيث لا ينأى بنا ذلك الاتجاه، عن ذكر ما سواه من المعلومات التي تتعلّق بالحياة الدينية، على أن نحصر عنايتنا في دراسة مظهر من مظاهره، يكون له مميزاته الخاصة، وعلى ذلك ففي مقدورنا أن ندرس الأخبار التاريخية المتعلقة بهذه الدعوة، منفصلة عن أخبار الاضطهاد، في تاريخ الكنيسة المسيحية، أو في تاريخ العقيدة الإسلامية.

(١) من محاضرة ألقاها الأمير تشارلز فيليب (أمير ويلز) بعنوان: الإسلام والغرب، في مركز إكسفورد للدراسات الإسلامية عام ١٩٩٣م، نقلاً عن:

- مصطفى، من أساليب الإقناع في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ١٠٤.

الخاتمة

حاولنا في هذا الكتاب أن ننسّق مع الهدف العام له الماثل في تقديم مادة علمية قادرة على إبراز طرح تأسيسي لمبحث "الاتصال الدعوي" بوصفه واحداً من مخرجات التكامل المنهجي بين دراسات الدعوة ودراسات الاتصال؛ وذلك من خلال التأكيد على أهمية دراسات الاتصال الدعوي بوصفها مظهراً لخصوصية علم الاتصال الإسلامي، وبيان القيمة المنهجية لدراسات الاتصال الدعوي من بين مباحث علم الاتصال العام؛ والتأكيد على أن "الاتصال الدعوي" مبحث محوري لمباحث علم الدعوة المعاصر، مما يكشف عن الحاجة الكبيرة إلى توفير مادة مرجعية لدارسي الاتصال الدعوي في المجتمعات الإسلامية المعاصرة.

ويكفل السير في تحقيق هذه الأهداف عبر مسار واضح ومخطط، تأسيس قاعدة منطقية رشيدة لممارسة دعوية قوامها المعرفة الأساسية بأصول الدعوة، والخبرة العملية بشؤون المجتمع وقضايا الواقع، وهو ما لا ندّعي أن هذا الكتاب قد قام به مؤفياً حقه، وإن كان هو الاتجاه الذي تشير إليه فصوله وموضوعاته تقريباً. مما يجعل الحاجة ملحة لاستكمال الدرس المعرفي لهذا الموضوع.

لقد لاحظت الدراسة أن الدعوة تكاد تمثل النشاط التواصلي الجوهرى في الحياة الإسلامية، ومع ذلك فإن دراسات الدعوة لا تحظى بالقدر الذي تستحقه من الاهتمام العلمي والتحقق المنهجي إلا من بعض باحثي الدراسات الشرعية والدراسات الإسلامية، في حين تضرب بحوث الاتصال ودراساته صفحاً عن الموضوع؛ إذ أصبح التعامل مع الدعوة بوصفها مساقاً مستقلاً محل تردد، سواء من قبل الدارسين، أو حتى بالنسبة للأقسام العلمية والمؤسسات الأكاديمية غير الإسلامية.

إلا أنه لم يعد مقبولاً في ظل التطورات المعرفية والتقنية من ناحية والانتشار المستمر للظاهرة الإسلامية بتجلياتها المختلفة أن تظل دراسات الدعوة في حالة تأرجح بين الاهتمامات الثقافية العامة للجمهور، والاتجاهات الذاتية لبعض أفراد العلماء والمهتمين، مما ينبه إلى أهمية إعادة تنظيم وتنسيق الجهود العاملة في مجال الدراسات الدعوية، وتعريف وتحديد اتجاهات التأليف والإنتاج العلمي في هذا المجال، وأنساق العلاقات الحاكمة لتواصلها مع بقية مكونات النظام المعرفي الإسلامي، بحيث تتخذ في المنتهى صيغة منهجية مكتملة البناءات معرفياً ومنضبطة منهجياً، وهو أمر على منطقيته، تكتنفه العديد من الصعوبات والتحديات، يتعلق بعضها بالبنية الهيكلية للمؤسسة الأكاديمية الإسلامية، ويرتبط بعضها الآخر بواقع الازدواجية في المناهج العاملة في الجامعات الإسلامية، وهو ما مثّل هذه المبادرة الساعية للبحث في التواصل الدعوي والتأسيس له كمدخل ضروري ومهم لمقاربة الدعوة الإسلامية من ناحية المناهج والأساليب والوسائل.

وقد ظلت العلاقة بين الدعوة والإعلام محلاً للشد والجذب بين كل من تخصصات الإعلام من ناحية والدراسات الإسلامية من ناحية أخرى. ففي الوقت الذي لم تتحمّس فيه أقسام الإعلام في الجامعات لتناول مقررات في الدعوة، مع مساهمة أساتذتها بالتأليف والتأصيل البحثي للإعلام الإسلامي ومفاهيمه كانت الكليات الشرعية وأقسام الدراسات الإسلامية تطرح مقررات في الدعوة والإعلام، والإعلام الإسلامي، ولكنها بالمقابل تتحفظ عن إسناد تدريس تلك المقررات لمتخصصين من خارج دائرة العلوم الشرعية، وهو التجاذب الذي ترك أثره على التكيف المنهجي لمقررات الدعوة والإعلام تبعاً لاختلاف المنظور بين التخصصين. لذلك سعينا في دراستنا إلى استثمار مفهوم الدراسات البينية بين العلوم، وتمثّل أهميتها في تقريب الدرس المعرفي لعلم الدعوة وعلم الاتصال؛ إذ قامت الدراسة بتحديد موقع "الاتصال الدعوي" على خريطة مفاهيم علوم الاتصال الإسلامية، كما عرضت

"الاتصال الدعوي" بوصفه صيغةً للتكامل المعرفي بين كل من هذين العلمين؛ ليصبح مساق الاتصال الدعوي بهذا المعنى مجالاً للدراسات البينية بين كلٍّ من علم الدعوة وعلوم الاتصال.

ودراسة الدعوة في إطار مناهج علوم الاتصال سيكون:

أ- تسليط أضواء كاشفة على الجوانب الاتصالية للأنشطة والممارسات الدعوية، ومن ثم زيادة فعالية وتأثير النشاط الدعوي من خلال استكشاف الإشكالات الحادثة في هذا الجانب، وتفهمها والسعي لمعالجتها.

ب- المساهمة في زيادة فاعلية الممارسة الدعوية بتزويدها بالأبعاد المنهجية والمعارف المتعلقة بفنون وتقنيات الإقناع والتأثير التي تحفل بها دراسات الاتصال.

ت- العمل على تطوير الممارسة الدعوية بتمليك الدارسين المعرفة الضرورية لتوظيف تقنيات الإعلام والاتصال في مجال الدعوة.

لقد كشفت لنا الدراسة كيف أن المفهوم الاتصالي تولّد في بيئة مفعمة بالتعددية في الجذور المعرفية، وأن مباحث العلوم المتداخلة في دراسة وتحليل الظاهرة الاتصالية هي من الكثرة والتنوع بمكان. وتبعاً لذلك، لا بدّ لمباحث الاتصال الدعوي أن يكون ملماً بالجوانب المنهجية المتعلقة بمجال دراسته، وبالأسس المعرفية التي يمكن أن يستند إليها التأصيل النظري لقضايا الاتصال الدعوي، وبالمبادئ المنهجية الحاكمة على علاقة الاتصال الدعوي بفروع العلم الأخرى، وموقعه من البنية الكلية للعلم الإنساني.

وأخيراً اهتمّت الدراسة اهتماماً كبيراً بالمخرجات، سواء اتخذت شكل المناهج الدراسية أو البحوث العلمية، فالعلاقة واضحة بين التحقق من ظهور بوادر الاتصال الدعوي كمساق معرفي صاعد وطبيعة وحجم التمثيلات التي تحققت له على مستوى مناهج الجامعات، وما تعلق منها بمجالات الدعوة والاتصال. وهو أثر تحثّمه حاجة معرفية، واحتياج ماثل في واقع الفعل الدعوي في البيئات الإسلامية، مما يتطلب

استحداث روابط وتواصلات بين مناهج الجامعات والتوجهات الدعوية العامة، سواء على مستوى الأقطار، أو على مستوى الأمة. ومن ثم؛ فإن مجرد وجود علاقة موجبة بين مخططي برامج الجامعات ومخططي استراتيجيات العمل الدعوي يمثل تعبيراً عملياً عن تحقق قدرٍ من الاستيعاب للعمل الدعوي داخل البنى الهيكلية للحياة العامة، وهو ما يعبر عنه بقيام نظام للاتصال الدعوي، واستيعاب للفكر الدعوي داخل الجهاز الأكاديمي، عبر قيام أقسام وكرليات الاتصال الدعوي.

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

- إبراهيم، أبو بكر محمد أحمد. التكامل المعرفي وتطبيقاته في المناهج الجامعية، هرنند: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ١، ٢٠٠٧ م.
- أدهمي، رياض. بُعد الأمة في الخطاب المقاصدي عند الإمام ابن عاشور، مقال على موقع الرشد الإلكتروني، (٢٤ / أيار / ٢٠١٦ م).
- أرنولد، توماس. الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين وإسماعيل النحراوي، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط ١، ١٩٤٧ م.
- أبو أصعب، خليل. الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، ط ٤، عمان: دار مجدلاوي، ٢٠٠٤ م.
- إمام، إبراهيم. أصول الإعلام الإسلامي، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٥ م.
- إمام، إبراهيم. الإعلام والاتصال بالجماهير، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٥ م.
- الأهدل، محمد بن سليمان. أهمية يوم الجمعة وخطب مختارة ليوم الجمع، سلسلة: دعوة الحق، مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، العدد (١٦٥)، لسنة ١٤١٦ هـ.
- أيلول، جاك. خدعة التكنولوجيا، ترجمة: فاطمة نصر؛ القاهرة: مكتبة الأسرة، ط ١، ٢٠٠٤ م.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، بيروت: دار ابن كثير، ط ٣، (١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م).
- بخوش، أحمد. الاتصال والعولمة: دراسة سوسيوقثافية، القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨ م.

- برغوث، الطيب. منهج النبي في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية، هرنندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ١، ١٩٩٦م.
- بروتون، فيليب. وبرو، سيرج. ثورة الاتصال: نشأة أيديولوجية جديدة، ترجمة: هالة عبد الرؤوف مراد، القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٩٣م.
- البريكي، فاطمة. مدخل إلى الأدب التفاعلي، بيروت: المركز الثقافي العربي، ط ١، ٢٠٠٦م.
- البستي، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي، صحيح ابن حبان «بترتيب ابن بلبان»، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٢، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).
- بليق، عز الدين. موازين الإعلام في القرآن الكريم، بيروت: دار الفتح للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ.
- البيانوني، محمد أبو الفتح. المدخل إلى علم الدعوة، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٩٩١م.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين. سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكة المكرمة: مكتبة دار الباز، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى. جامع الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون: بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د. ت.).
- تشومسكي، نعوم. السيطرة على الإعلام، ترجمة: أميمة عبد اللطيف، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط ١، ٢٠٠٣م.
- ثابت، سعيد بن علي. الجوانب الإعلامية في خطاب الرسول ﷺ، الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٧هـ.
- ثقبايث، حامدة. "بلاغة الجمهور في تلقي الخطاب الديني في الجزائر؛ دراسة في نسق الاستجابة والرد"، مجلة الخطاب، مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، العدد (١٥)، ٢٠١٣م.

- الجادعي، يحيى صالح حسين. المناهج الجامعية ودورها في تكوين وتنمية الشخصية القيادية، موقع الألوكة، تاريخ النشر: ١٣/٣/١٤٣٣هـ الموافق ٦/٢/٢٠١٢م.
- جبرون، محمد. "الفعل الدعوي وخيار العمل بالمشروع"، على موقع حركة الوحيد والإصلاح، (الخميس ٣٠/ كانون الأول (ديسمبر) / ٢٠٠٤م).
- جورافسكي، أليسكي. الإسلام والمسيحية، ترجمة: محمد خلف الجراد، سلسلة عالم المعرفة (٢١٥)، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٦م.
- حجاب، محمد منير. الاتصال الفعال في العلاقات العامة، القاهرة: دار الفجر للنشر، ط١، ٢٠٠٧م.
- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي. فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.
- الحراني، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية. مجموع فتاوى ابن تيمية، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، بيروت: دار الوفاء، ط٣، (١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م).
- حمزة، عبد اللطيف. الإعلام في صدر الإسلام، القاهرة: دار الفكر العربي، ط٢، ١٩٧٨م.
- الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر البغدادي. سنن الدارقطني، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يمانى المدني، بيروت: دار المعرفة، (١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م).
- رشتي، جيهان أحمد. الأسس العلمية لنظريات الاتصال، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٨م.
- زرمان، محمد. "الفعل الدعوي الحديث وإشكالية القصور المنهجي"، مجلة الإحياء، كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة، الجزائر، مجلد (٣)، العدد (١)، ٢٠٠١م.
- زيدان، عبد الكريم. أصول الدعوة، بغداد: مكتبة القدس، ١٩٧٦م.
- أبو زيد، وصفي عاشور. الدعوة بلا مقاصد يترتب عليها مشكلات وسلبات لا تحصر (حوار)، موقع رسالة الإسلام، بتاريخ ١٣/١١/١٤٣٢هـ، الموافق ١١/١٠/٢٠١١م.
- السامرائي، نبيهة صالح. علم النفس الدعوي مفاهيم ونظريات وتطبيقات، عمان: دار الجنان للنشر والتوزيع، ٢٠١٣م.

- ستيفلغيتز، جوزيف إ. خيبات العولمة، بيروت: دار الفارابي، ط ١، ٢٠٠٣ م.
- السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث. سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: دار الفكر، (د. ت.).
- سعيد، عبد الجبار. "منهجية التعامل مع السنة النبوية"، مجلة إسلامية المعرفة، السنة (٦)، العدد (١٨)، خريف ١٩٩٩ م.
- سعيد، همام. قواعد الدعوة إلى الله، عمان: دار العدوي للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٣، (١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م).
- سكحال، نور الدين. مادة مناهج الدعوة، مطبوعة التدريس، السنة (٢)، الجزائر: جامعة الأمير عبد القادر، ٢٠١٢ م.
- السماسيري، محمود يوسف. فلسفات الإعلام المعاصرة في ضوء المنظور الإسلامي، هرنند: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ١، (١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م).
- شمو، علي محمد. أساسيات الاتصال ومهاراته، الخرطوم: منشورات جامعة السودان المفتوحة، ط ١، ٢٠٠٥ م.
- شمو، علي محمد. الاتصال الأساسية والمهارات، الخرطوم: منشورات جامعة السودان المفتوحة، ٢٠٠٦ م.
- أبو شوك، أحمد إبراهيم. "موت مؤرخ: محمد سعيد القدال (١٩٣٥-٢٠٠٨ م)"، صحيفة الأحداث، الصادرة بتاريخ ١٠ / ٠١ / ٢٠٠٨ م.
- صالح، قاسم حسين، سايكولوجيا اللغة والاتصال، عمان: دار غيداء للنشر والتوزيع، ٢٠١٦ م.
- صالح، ناهد حمزه محمد. القيم الإعلامية في حياة الرسول: دراسة وصفية تحليلية للعهد النبوي. الخرطوم: دار السداد للطباعة، ٢٠٠٥ م.
- طاش، عبد القادر. "إضاءات حول الإعلام الإسلامي"، في: مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي، تقديم: عمر عبيد حسنة، سلسلة كتاب الأمة (٢٨)، الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ١٤١١ هـ.

- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. جامع البيان في تأويل آي القرآن، بيروت: دار هجر، ط ١، (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١ م).
- ابن عاشور، محمد الطاهر. مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق: الميساوي محمد الطاهر، عمان: دار النفائس، ط ٢، (١٤٢١هـ / ٢٠٠١ م).
- عباس، هشام محمد. القائم بالاتصال، رؤية في الواقع السوداني، الخرطوم: مطبعة الجمهورية، ٢٠٠٤ م.
- عبد الباري، وائل إسماعيل حسن. "تكنولوجيا الاتصال والتغير الاجتماعي الأبعاد التنموية للمعلوماتية"، بحث مقدم لمؤتمر تقنيات الاتصال والتغير الاجتماعي، جامعة الملك سعود، قسم الإعلام، الرياض، ١٨-٢٠ / ٣ / ١٤٣٠ هـ.
- عبد الحليم، محيي الدين. إشكاليات العمل الإعلامي بين الثوابت والمعطيات العصرية، تقديم: عمر عبيد حسنة، سلسلة كتاب الأمة (٦٤)، الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (ربيع الأول ١٤١٩هـ / يوليو ١٩٩٨ م).
- عبد الرحمن، عواطف. قضايا التبعية الإعلانية والثقافية في العالم الثالث، سلسلة عالم المعرفة (٧٨)، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٤ م.
- عبد الرحمن، عواطف. النظرية النقدية في بحوث الاتصال، القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠٠١ م.
- عبد المجيد، شكري. الاتصال الإعلامي والتنمية، القاهرة: العربي للنشر، ط ١، ١٩٩٥ م.
- عبد المجيد، شكري. الاتصال الجماهيري الواقع والمستقبل، القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، ١٩٩٦ م.
- العبد، عاطف عدلي. مدخل إلى الاتصال والرأي العام، القاهرة: دار الفكر، ط ٢، ١٩٩٩ م.
- العرماني، محمد زين الهادي. الدعوة الإسلامية الشمول والاستيعاب، ط ١، الخرطوم: مطابع السودان للعملة، ٢٠٠٥ م.

- أبو عرقوب، إبراهيم. الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي، عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ١٩٩٣م.
- عطية، جمال الدين. سيمينار بعنوان: "الاستفادة من مناهج العلوم الشرعية في العلوم الإنسانية"، وزارة التربية، الدوحة، قطر، ٢٩ / ١١ / ١٩٨٨م، طبعة محدودة خاصة بالمعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- بو علي، نصير. "البحث العلمي في الدعوة والإعلام؛ مقارنة نقدية لبحوث الماجستير"، مجلة المعيار، جامعة الأمير عبد القادر، المجلد (٨)، العدد (١٥)، ٢٠٠٨م.
- عمر، فدوى فاروق. والقاعد، ماجدولين محمود. "توجيه نتاج البحوث العلمية الجامعية لصالح الجامعة والمجتمع: رؤية إستراتيجية"، مجلة كلية التربية، جامعة بنها، المجلد (٢٦)، العدد (١٠٣)، ٢٠١٥م.
- العوض، محمد بابكر. "أصول الظاهرة الاتصالية في القرآن الكريم"، مجلة تفكر، المجلد (٧)، العدد (١)، (١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م).
- العوض، محمد بابكر. "الاتصال الدعوي في المجتمعات الإسلامية المعاصرة: دراسة منهجية في إطار التكامل المعرفي"، مجلة تفكر، مجلد (١١)، العدد (٢)، (١٤٣٢هـ / ٢٠١١م).
- العوض، محمد بابكر. "الإعلام والمعلومات الاتصال والتواصل: إشكالية المفهوم في بحوث الاتصال العربية"، مجلة الإذاعات العربية، تونس: اتحاد إذاعات الدول العربية، العدد (١)، ٢٠١١م.
- العيد، سليمان بن قاسم. دعوة عيسى عَلَيْهِ السَّلَام. الرياض: جامعة الملك سعود/ كلية التربية/ قسم الثقافة الإسلامية، ١٤٢١هـ.
- عيسى، راشد علي. مهارات الاتصال، تقديم: عمر عبيد حسنة، سلسلة كتاب الأمة (١٠٣)، الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (رمضان ١٤٢٥هـ/ تشرين الثاني ٢٠٠٤م).

- الفاسي، علال. مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط ٥، ١٩٩٣ م.
- الفقهي، إبراهيم. البرجة اللغوية العصبية وفن الاتصال اللامحدود، مراجعة: آمال الفقهي، ترجمة: بيير ناشو، مونتريال: المركز الكندي للبرجة اللغوية العصبية، ٢٠٠١ م.
- فلير، ملفن دي. وروكاخ، ساندرابول. نظريات الإعلام، ترجمة: محمد ناجي الجوهر، إربد: دار الأمل للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠١ م.
- الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد. القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٨، (١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م).
- قاسم، أجد. تعريف البحث العلمي وأهميته وأهدافه وخصائصه، منشور في ٣٠ أبريل ٢٠١٢ م، على موقع آفاق علمية وتربوية.
- قبلان، عبد الأمير. "الإسلام مسؤول أيضاً عن فشل الحوار أو نجاحه"، ورقة مقدمة ضمن مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الثاني عشر، القاهرة، الأزهر الشريف، بين ١٦ و ١٨ / ٤ / ٢٠٠٢ م، تحت عنوان "هذا هو الإسلام".
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت: مؤسسة الرسالة، (١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م).
- القزويني، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه. سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٢ هـ.
- قلندر، محمود محمد. والعوض، محمد بابكر. اتجاهات البحث في علم الاتصال؛ نظرة تأصيلية، دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٩ م.
- القليني، سوزان. ومدكور، صلاح. الإنتاج الإعلامي النظرية والتطبيق، القاهرة: دار النهضة العربية، ٢٠٠٥ م.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مفتاح دار السعادة، جدة: مجمع الفقه الإسلامي، ١٤٣٢ هـ.

- كاظم، فلاح. المحنة: علم الاتصال بالجماهير، عمان: مؤسسة الوراق، ٢٠٠١م.
- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي. تفسير القرآن العظيم، بيروت: دار المعرفة، ١٩٦٩م.
- كحيل، عبد الوهاب. الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامي، القاهرة: عالم الكتب، ط١، (١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م).
- لازرسفيلد، بول ف. الاتجاهات الأساسية في علم الاجتماع، ترجمة: أحمد النكلاوي وعواطف فيصل بياري، القاهرة: مكتبة نهضة الشروق، ١٩٨٠م.
- اللهو، عامر بن عيسى. الدعوة إلى الله وأهميتها، موقع صيد الفوائد (تاريخ الاسترداد: ٢٠١٩/٠٣/٠٤م).
- مبروكي، أسماء. "الوعي المقاصدي في العمل الدعوي المعاصر"، مجلة الإحياء، الجزائر: جامعة باتنة، كلية العلوم الإسلامية، مجلد (١٧)، العدد (١)، ٢٠١٧م.
- مجمع اللغة العربية. معجم ألفاظ القرآن، القاهرة: مجمع اللغة العربية، ١٩٨٩م.
- محمود، طه عبد الله. أساليب ووسائل ممارسة العلاقات العامة في المؤسسات الدعوية بالسودان، رسالة دكتوراه غير منشورة.
- مخدوم، مصطفى بن كرامة الله. قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، الرياض: دار إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م.
- مصطفى، معتصم بابكر. من أساليب الإقناع في القرآن الكريم، تقديم: عمر عبيد حسنة، سلسلة كتاب الأمة (٩٥)، الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، جمادى الأولى ١٤٢٤هـ.
- مكايي، عماد حسن. والسيد، ليلي حسين. الاتصال ونظرياته المعاصرة، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ط٤، ٢٠٠٣م.
- المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوجيه الجاليات في الحُبَر. مفهوم الدعوة إلى الله في القرآن والسنة، موقع هداية الإلكتروني، تاريخ الاسترداد: (١٥ ربيع الآخر ١٤٣٤هـ / ٢٥ فبراير ٢٠١٣م).

- ملكاوي، فتحي حسن. منهجية التكامل المعرفي؛ مقدمات في المنهجية الإسلامية، هرنند: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط ١، (١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م).
- منصور، طلعت. "سيكولوجية الاتصال"، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد (١١)، العدد (٢)، (يوليو، أغسطس، سبتمبر ١٩٨٠م).
- مونييه، بيير. مدخل إلى نظريات الاتصال، ترجمة: عبد القادر رحيم، سلسلة دراسات إعلامية رقم (٢٢) تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٩٧م.
- نحيلة، بسيوني. "أثر الفتوى الشرعية في نشر الدعوة الإسلامية المعاصرة"، ورقة مقدمة لمؤتمر الفتوى ... واستشراف المستقبل، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة القصيم، ٢٠١٣م.
- نحيلة، بسيوني. "الأمان الفكري عند المدعو ضرورة في الدعوة إلى الإسلام: دراسة موضوعية تحليلية"، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، يونيو ٢٠١٧م.
- نوفل، أحمد. مفهوم الدعوة الفردية، موقع إسلام أونلاين، منشور بتاريخ ٢٠٠٣/١٠/٠١م.
- وات، مونتجمري. الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ: القاهرة: مكتبة الأسرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب)، ٢٠٠١م.
- ويمر، روجر. ودومينيك، جوزف. مدخل إلى مناهج البحث الإعلامي، ترجمة: صالح أبو أصبع وفاروق منصور، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١، ٢٠١٣م.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

- Applbaum, Ronald A. and others. *Fundamental Concepts in Human communication*. New York & London: Linfield press, 1st ed., 1973.
- Boulding, Kenneth Ewart. *The Image: Knowledge in Life and Society*, Ann Arbor: University of Michigan Press, 1950.

- falwel, Jery. *Listen America*. New york: Bantam Book, 1981.
- Mawlana, H. "Information Communication Research in the 21st. Century: from functionalism to postmodernism and beyond". (In) Hamelink, Cees. & Linne, Olga. (eds.) *The Myth of the Information Society*. New Jersey: Ablex Pub. Co., 1994.
- Pew Research center. *The Global Religious Landscape*. Washington: The Pew Forum on Religion & Public Life, 18 December 2012.
- Ramadan, Tariq. *Mon Intime Conviction*. Paris: Archipoche Editions, 2011.
- Stevenson, Robert L. "Problems and Pitfalls of Comparative Research in Political Communication", in F. Esser & B. Pfetsch (eds), *Political Communication in Comparative Perspective*, New York: Cambridge University Press, 2003.
- Watson, James. & Hill, Anne. *A Dictionary of Communication and Media Studies*. London: Edward Arnold, 3rd ed., 1993.

ثالثاً: المواقع الإلكترونية:

- <http://al3loom.com/?p=4018>
- <http://fc.oiu.edu.sd/>
- <http://iamcr.org/s-wg/wg-islam>
- <http://main.islammessage.com/newspage.aspx?id=10346>
- <http://repository.yu.edu.jo/bitstream/handle/123456789/437506/493277?sequence=1%20%20%20%20.pdf>
- <http://www.alislah.org/2013-04-03-11-27-10/author/0-?start=4700>
- <http://www.webster-dictionary.net/definition/communion>
- <https://units.imamu.edu.sa/colleges/DawahInstitute/Pages/default.aspx>
- <https://ushaaqallah.com/a/10146>
- <https://www.alrashad.org/الخطاب-المقاصدي-عند-الإمام-ابن-عاشور/>
- https://www.alukah.net/publications_competitions/11024/page/4/

- <https://www.pewforum.org/2012/12/18/global-religious-landscape-exec>
- <https://www.saaaid.net/Doat/allahuo/28.htm>
- <https://www.unc.edu/~rlstev/Text/Mainz%20chapter.pdf>

الكشاف

- أ
- آسيا: ٧٦، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٧٠.
- آيات الصفات: ١٨٨.
- إبداع علمي: ٦٩.
- إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام: ١١٨، ١٢٠، ١٢١، ٢٤٩.
- ٢٥٢.
- إبستمولوجي: ٤٧، ٥٣، ١٢٦.
- أبعاد ثقافية: ٢٥٨.
- أبعاد منهجية: ٦٧، ٢٧٥.
- ابليوم، رونالد: ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤.
- أبو أصبع، خليل: ٤٦.
- اتجاهات سياسية: ٢٥٦.
- اتصال إسلامي: ١٣، ١٥، ١٦، ٢٣، ٢٧.
- ٢٩، ٥٣، ٦٩، ٨٨، ٩٥، ١٢٨، ١٥٤.
- ١٦٣، ١٩٩، ٢١٠، ٢٢٠، ٢٢٤، ٢٤٩.
- ٢٥١، ٢٧٣، ٢٧٤.
- اتصال إقناعي: ١٧٤، ٢٢٥.
- اتصال ثقافي: ١٣٥، ١٧٨.
- اتصال جماهيري: ١٤، ٥٥، ٨٠، ١٤٢، ١٦٠.
- ١٦٣، ١٦٩، ١٧١، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٩.
- ١٨٣، ٢٠١.
- اتصال جمعي: ١٦٩، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٩.
- اتصال دعوي تفاعلي: ١٧٧.
- اتصال ديني: ٤٥، ٥٦.
- اتصال رقمي: ٢٤٨، ٢٦٨.
- اتصال شخصي: ٤٣، ١٧١، ١٧٣، ١٧٤.
- ١٧٥.
- اتصال غربي: ٣٨، ٤٥، ٥٥، ٥٦، ١٤٨.
- الاتصال ونظرياته المعاصرة (كتاب): ١٩٩.
- اتصالات جمعية: ٢٥١.
- أثر نبوي: ١٠٦، ١٠٩، ١٣٠.
- اجتماع إسلامي: ٣٣، ١٠٢.
- إجماع الأمة: ٩١.
- إذاعات: ١٧٧، ١٧٨، ٢٦٩.
- إرادة إنسانية: ١٠٩، ١٢٤.
- أرسطو: ٢٨، ٢٩.
- إرشاد اجتماعي: ٥٨، ١٩٦.
- أرنولد، توماس: ٢٦٥، ٢٧١.
- أساليب الإقناع: ٨٨، ٨٩.
- أساليب الجدل: ٨٨.
- استعداد نفسي: ١٦٧.
- استقامة أخلاقية: ١٥٩.
- الإسراء والمعراج: ١٢٦.
- أسس منهجية: ٢٧.
- اشتراكية: ٢٢، ١٥٠، ١٥٢، ٢٥٦.
- إصلاح إسلامي: ١٤.

إنجليزية: ٤٤، ٤٥، ٥٢، ٢٣٢، ٢٣٤.

إنذار: ١٢٨، ١٣٣، ١٩٠، ٢٠٥.

إنسان عربي مسلم: ۲۵۹.

إنسان کونی: ۱۲۷.

إنسانية: ٩، ١٤، ٢٢، ٢٨، ٢٩، ٣٩، ٤١،

670, 674, 673, 609, 601, 488, 487, 480

6A, 6A, 60, 6E, 6F, 6Y, 6Y, 6Y, 6Y

61.2, 98, 93, 91, 89, 87, 86

6119, 6117, 6116, 6109, 6107, 6103

6170, 6100, 6129, 6128, 6123, 6122

٢٢٧ ، ٢٢٦ ، ٢٢٠ ، ٢١٠ ، ٢٠٤ ، ١٨١

٢٥٤ ٢٥٣ ٢٥٢ ٢٥١ ٢٤٨ ٢٣٩

. ۲۷۰، ۲۶۳

إنسانية الداعية: ١٢٢، ١٢٣.

أنظمة الإعلام: ١١، ٧٩.

أنظمة رقمية: ٢٦٩.

أهداف التشريع الإسلامي: ١٨٩.

أوتوجروث: ٥٤.

الأوس: ١٢٩.

إيجابية: ١٢، ٤٩، ١٠٥، ١٠٨، ١١٧، ١٣١،

183, 182, 171, 170, 167, 166

٢١٢ ، ٢١١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٢ ، ١٩٨ ، ١٩٦

. ۲۷۰ , ۲۶۹ , ۲۶۶ , ۲۶۲ , ۲۳۲

ایزو تسو، توشیہیکو: ۱۱۵، ۱۴۰.

إيطاليا: ٧٩.

إيلول، جاك: ٥٤.

الإيمان بالغيب: ١٨٨.

ب

- باباراتزي: ٢٦٠.
- بارسونز، تالكوت: ٢١٢.
- باندلر، ريتشارد: ٧٢.
- بث فضائي: ١٩٩.
- بحث اتصالي: ٣٥، ٦٣، ٦٦، ٩٥، ٢٢٢، ٢٤٢، ٢٦٢، ٢٦٦.
- بحث علمي: ٢٢، ٧٦، ٢١٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٦١، ٢٦٥.
- بحث فلسفي: ٢٦٨.
- بحث وصفي تطبيقي: ٢٦٨.
- بحوث علمية: ٢١٧، ٢٣٢، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٧٥.
- براجاتية: ٤٩، ٥٩.
- برامج أكاديمية: ٢١٩.
- برق: ٤١.
- برمجة لغوية عصبية: ٧٢، ٧٤، ٧٥.
- برهمية: ٢٦٣.
- بشارة: ١٢٨، ٢٠٥.
- بعثات دراسية: ١٧٧.
- بعد تداولي: ٦٢.
- بعد تواصلي: ٢٢، ١٢٠، ٢٤٧، ٢٥٢، ٢٥٣.
- بعد ديني: ٢٢، ٥٩، ٦٥، ٢٣٥، ٢٥٦.
- بعد روحي: ١٥٩، ٢٥٢.
- بعد شعائري: ٥٩.
- بعد غائي: ٢٥١.
- بعد قيمي: ٢٥١، ٢٥٧.
- بعد نفسي: ٢٥١.
- بلاد إسلامية: ١٢، ٣٤، ٣٥، ٦٣.
- بلاغ: ٥٩، ١١٥، ١٢١، ١٢٤، ١٣٣، ٢١١، ٢٦٢.
- بلاغ مبین: ١٨١، ٢٤٥.
- بناء المناهج: ٢٢١.
- بناء معرفي: ٢٩، ٣٣، ١٤٧، ٢٣٤، ٢٤٢.
- بنو إسرائيل: ١١٨.
- بنو عدي: ١٣١، ١٧٥.
- بنو فهر: ١٣١، ١٧٥.
- بوابات إعلامية: ٦١، ١٧١.
- بوذية: ٢٦٣، ٢٦٦.
- بيان: ١٣، ١٥، ١٦، ٢٣، ٣٣، ٣٨، ٤٩، ٥٤، ٦٥، ٨٥، ٨٧، ٩٠، ٩٨، ١٠٢، ١١٦، ١١٨، ١٢٣، ١٢٨، ١٤٠، ١٤٤، ١٥٩، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٨، ١٧٥، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٥، ١٩٠، ١٩١، ٢٠٠، ٢١١، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤٦، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٧٣، ٢٦٢.
- البيانوني، محمد أبو الفتح: ١٩، ٥٨.
- البيت الحرام: ٢٥٣.
- البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد: ٤٤، ٢٤٨، ٢٧٠.
- بيئات إسلامية: ٢٢، ٢٧، ٢٩، ٦٦، ٧٨، ٨٧، ٩٠، ١٥٥، ٢١٧، ٢٤٧، ٢٦٧.

٢٧٥.

بيئات جامعية: ١٥.

بيئة اتصالية: ١٧٦.

ت

تأسيس منهجي: ١٨٤، ٨٦، ٢٥.

تبادلية: ١٧٤.

تبشير مسيحي: ٢٦٤، ٢٦٥.

تبوك: ١٣٤.

تثقيف: ١٩٤، ١٩٥، ١٩٧، ٢٠٠، ٢٠١.

٢٥٨، ٢٦٧.

تجربة إبراهيمية: ١٢٢.

تجربة إنسانية: ٩، ٣٩، ٦٣، ٩٤، ١٠٣.

١١٦.

تجربة نبوية: ٢٨، ١٢٠، ١٢٩، ١٣٥.

تحليل وظيفي: ١٤٦.

تدافع حضاري: ٢٤٨، ٢٧٠.

تدفق المعلومات: ٤٧، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦.

تراث أدبي: ١٤٤، ٢٥٢.

تراث إسلامي: ١٦، ١٣.

تراث توحيدي: ٢٣.

تراث معرفي: ٢٩، ١١٧، ٢٣٠.

ترجمة آلية: ٤٦.

ترفيه: ١٩٤، ١٩٥، ١٩٧، ٢٠٠، ٢٠٢.

٢٥٥، ٢٥٨، ٢٥٩.

ترقية الثقافة: ١٩٤.

تسديد: ١٢٩، ١٣٠، ١٣٢.

تصور إسلامي: ٨٥، ٩٣، ٩٤، ١١٠.

تصور داروني: ٢٨.

تطور تاريخي: ١٣، ١٦.

تطورات تقنية: ٣٦، ٥٣.

تعليم مفتوح: ٢٠١.

تغطية الإسلام (كتاب): ٢٦١.

تفاعل ثقافي: ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٦٨.

تفكير مقاصدي: ١٩١.

تقرير ماكبرايد: ٧٢، ١٤٠.

تقنيات الاتصال: ٤٣، ١٤٩.

تقنيات الإعلام: ٦٧، ٢٧٥.

تقنيات الإقناع: ٦٧، ٢٧٥.

تكامل منهجي: ١٦، ٢٠، ٢٢، ٦٩، ٢٧٣.

تكامل وجداني: ٢٠٤.

تلفزيون: ٤٦، ٨٨، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٩.

١٧٧، ١٧٨، ٢٢٥، ٢٣٩، ٢٥٥، ٢٥٨.

٢٥٩.

تنصير: ٢٧١.

تنمية بشرية: ٢٠٢.

تنمية مستدامة: ٢٠٢.

تهيئة نفسية: ٢٠٤.

تواصل إنساني: ٢٣، ٢٨، ٢٩، ٤٥، ٥٦.

١٠٥، ٢٣٨، ٢٥٣، ٢٥٤.

تواصل فردي: ٧٧، ١٧٣.

تواصل وجداني: ٤٨.

توحيد: ٩، ١١، ٢٣، ٦٤، ٦٥، ٧٤، ٩٠.

٩٧، ١٠٨، ١٢١، ١٢٤، ١٣٢، ١٥٣.

١٦٥، ١٩٨، ٢٣٠، ٢٥٤.

تويتر: ١٦٦.

جبريل عَلَيْهِ السَّلَام: ٩٥، ١٣١، ١٣٢.

ث

ثقافة إسلامية: ١٧٠، ٢٠١، ٢٢٤، ٢٢٦،

جدل: ١٢، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٦، ٦٣، ٦٤،

٨٦، ٨٨، ١٢٠، ١٤٤، ١٤٦، ١٤٧،

٢٣٢، ٢٦٧.

١٥١، ١٥٢، ١٩٤، ٢١٩، ٢٤٨، ٢٥٥،

ثقافة فرنسية: ٤٥.

٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١.

ثورة الاتصال: ٤٢، ١٨٤، ٢٠٠.

جدل نظري: ٦٣، ٢١٩.

ج

جازيت، أوتيجا دي: ٢٥٧.

جزيرة العرب: ١٠، ١٣٠.

جالوب، جورج: ٨٠.

جامعة علمية: ١٦، ٢١، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٤٧.

جامعات إسلامية: ١٧، ١٨، ٢٧، ٢١٩،

جمهور مستهدف: ١٦٩، ١٧٨، ٢٣٩.

٢٢٢، ٢٧٤.

جنس بشري: ١٠٨، ١٨٥.

جامعة الأزهر: ١١٨، ٢٥٩.

جهد منهجي منظم: ٥٨.

الجامعة الإسلامية العالمية (باكستان): ١١٨،

جوردان، بيترسون: ١٥٠.

٢٣٤.

الجيش الجمهوري الأيرلندي: ١٥٣.

الجامعة الإسلامية العالمية (ماليزيا): ٢٣٤،

ح

٢٥٩.

حالة اقتصادية: ٢٥٦.

جامعة الإمام محمد بن سعود: ١٨، ١١٨،

حديث قدسي: ٩١.

٢٢٣، ٢٢٤.

الحراني، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية: ٥٧.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية:

الحرب العالمية الثانية: ٦١، ٢٣٩.

١٨، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٤٤.

حرب نفسية: ٨١.

جامعة الجزيرة: ١٥، ١٨، ٢٢٣، ٢٢٧،

حركة وجدانية: ٢٠٤.

٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣١.

حضارات العالم: ١٠٣.

جامعة القاهرة: ١١٧.

حضارة الإسلام: ٢٩، ١٥٣، ١٧٥، ٢٢٧.

جامعة الملايا: ٢٣٤.

حقائق التوحيد: ١٢٤.

جامعة أم درمان: ١٨، ٢٢٣، ٢٢٥.

حقائق الوحي الإلهي: ٢٥٤.

جامعة بغداد: ٤٦.

حقيقة الاختلاف: ١٠٧.

جانب معياري: ٢٤٧.

حزة، عبد اللطيف: ٥٤، ١٢٥.

- حوار ديني: ١٠٣، ٢٣٣.
- حوار قرآني: ٨٨، ١٠٧.
- حواس: ٥١، ٩١.
- حياة إنسانية: ٥١، ٨٠، ٩١، ١٠٢، ٢٥١.
- حياة عصرية: ٢٧١.
- خ
- خريطة حضارية: ٢٠٥.
- خريطة مفاهيمية: ٢٧، ٣٣، ٥٣، ٥٦، ٦٤، ٢٧٤.
- الخزرج: ١٢٩.
- خصوصية أيديولوجية: ٥٣.
- خصوصية عقيدة: ٥٣.
- ابن الخطاب، عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ١٣١.
- خطاب قرآني: ٨٨، ٩٢، ٢٠٨.
- خطاب لبرالي: ١٥٣.
- خطابة: ٢٨، ٢٩، ٥٨، ٨٨، ١٢٥، ١٢٩، ١٣٥، ١٦٤، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٤٩.
- خطط إعلامية: ٦١.
- خطوط حديدية: ٤١.
- خلافة راشدة: ١٧٥، ٢٤٥.
- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد: ١١٣.
- الخلفاء الراشدون: ١٢٧.
- الخوانساري، عبد العزيز: ١١٦.
- د
- دار الأرقم: ١٣٥.
- دافعية: ١٩٣.
- داود عَلَيْهِ السَّلَام: ١٢١.
- دراسات الاتصال الدعوي: ١٣، ١٦، ٢٢، ٢٤، ٢٢٢، ٢٣٧، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٥٦، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٧٣.
- دراسات دعوية: ١٢، ١٣، ١٦، ١٧، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٦٦، ٧٠، ٧١، ١٦٧، ١٨٤، ٢١٩، ٢٢٤، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٧٤.
- دراسات عربية: ٣١، ٤٤، ٩٥.
- دراسات عليا: ١٤٤، ٢١٩، ٢٢٤، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٤.
- دراسات فلسفية: ٤٥.
- دستور السماء: ١٨٩.
- دعاية: ١٣، ١٦، ٢٢، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٥٥، ٥٦، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٨١، ١٢٦، ١٢٨، ١٤١، ١٤٧، ١٩٤، ١٩٥، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٧١.
- دعوة إسلامية: ١٠، ١٧، ٥٩، ١١٧، ١٢٩، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ٢١٩، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٤، ٢٧٠.
- دعوة جهرية: ١٩٠.
- دعوة سرية: ١٧٥، ١٩٠.
- دفلور، ملفن: ٤١، ٨١، ١٤٢، ١٥١.
- دلالات حضارية: ٢٥٨.
- دوائر البحث العلمي: ٢٣٤.
- دوبريه، ريجيس: ٣٤، ٤٩.

- دول المغرب العربي: ٤٥.
- ديمقراطية: ٤١، ١٥٢، ٢٥٦.
- ديموجرافيا: ٧٣.
- دين الفطرة: ٢٥٤.
- ذ
- ذكاء اصطناعي: ٧٤.
- ذوات متفاعلة: ١٧٣، ٢٠١.
- ر
- راية التوحيد: ٢٥٤.
- ربانية: ٩٣، ١٢٢، ١٢٣، ٢٠٤.
- ربانية الدعوة: ١٢٢.
- رجع الصدى: ١٧١، ١٧٤، ١٧٧، ٢٠٧.
- رسالة الإسلام: ٩، ١٠٤، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٥، ١٨١، ١٩٩، ٢٠٨، ٢٣٢، ٢٣٣.
- ٢٦٣.
- رسالة دعوية: ١٢٨، ١٣١، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٠، ١٧١، ١٩٠.
- ٢٣٥، ٢٥٥.
- رسالة مكتوبة: ٢٠٩.
- رشتي، جيهان: ٧٤.
- رشد: ٨٦، ٩٦، ١٠٦، ١٠٨، ١٢١، ١٢٢، ١٧٦، ١٨٨.
- ابن رشد، أبو الوليد محمد بن محمد: ٤٤.
- رشد عقلي: ١٠٦.
- رواد الإعلام: ٥٣.
- رؤى طوباوية: ١٠٩.
- رؤى كلية: ٢٨، ٣٣، ١١٠، ٢٣٩.
- رؤى ميتافيزيقية: ١٠٩.
- رؤية اتصالية: ٢٩، ١٠٥، ١٥٣.
- رؤية إسلامية: ٢٩، ٩١، ٩٤، ٩٨، ١٣٦، ١٤٦، ١٤٨، ١٦٢، ٢٣١.
- رؤية إعلامية: ٩٥، ٢٤٢.
- رؤية أكاديمية: ٢٥٤.
- رؤية تواصلية: ٢٣، ٨٥، ٩٨، ١٠٢، ١١٥، ١٢٦، ١٥٢، ١٦٢.
- رؤية توحيدية: ١٠٨.
- رؤية قرآنية: ٢٣، ٨٥، ١٠٢، ١٠٨، ١٠٩، ١٤٠.
- رؤية كلية: ٣٢، ١١٤، ٢٥٠.
- رؤية منهجية إسلامية: ٢٧، ٢٣٩، ٢٤٢، ٢٤٨.
- رويترز، لويس: ٧٢، ٧٥.
- ز
- زراشتية: ٢٦٣.
- زيدان، عبد الكريم: ١٣٦.
- س
- ساحة إعلامية دولية: ١٥٢، ٢٦٢.
- سبنسر، ديانا (أميرة ويلز): ٢٦٠.
- سداة الفكرة: ١٢٦.
- سفارة: ١٢٩، ١٧٧.
- سفيلد، لازر: ٨٠، ١٩٢.
- سلفية: ٢٠٥.
- سلوك تواصلية: ١٥٥، ١٨٤، ٢٠١، ٢٥١.
- سنة نبوية: ٩، ٨٥، ٩٤، ١١٥، ١١٦، ١٢٨.

سنن الفطرة: ١٢٤.

سوسير، دو: ٧٩.

سوسيولوجيا: ٨١.

سياق اجتماعي: ٤٧، ٥٨، ١٧٢، ١٩٦.

سياق إعلامي: ٢٦٠.

سياق قرآني: ٨٧، ١٠١.

سيكولوجية التعلم: ٢١٢.

سيكولوجية الجماهير (كتاب): ٨٠.

ش

الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى:

١١٦، ١٨٧.

شرام، ولبر: ٤١، ٧٠، ٨١، ١٥٠.

شرايع: ١٠٢، ١٠٤، ١٨٧، ٢٤٩.

شعائر دينية: ٣٣، ١٥٥، ١٩٣، ٢٥١، ٢٥٢.

شمو، علي محمد: ٣٧، ٣٨، ١٩٥.

شيرلر، هيربرت: ١٤٩.

ص

صحافة: ٩٨، ١١٧، ١٥٠، ١٥١، ١٧٧،

٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٣٩.

صد عن الهدى: ٢٠٦.

صراع الحضارات: ١٥٢.

صلة الأرحام: ١٨٨.

صلح الحديبية: ٨٨، ١٣٦، ١٩٠.

صناعة ترفهية: ٢٥٩.

صندوق النقد الدولي: ٧٦.

صورة المرأة: ٢٤٨، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧،

٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢.

صورة ذهنية: ١٦٤، ١٧٣، ٢١٤، ٢٦٢.

صورة طوباوية: ٥٠.

ض

ضروريات خمس: ١٨٦.

ط

طابع إنساني: ٧١.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: ٥٧.

طرائق التدريس: ٢٢١.

ابن الطفيل، أبو بكر محمد بن عبد الملك: ٤٤.

ظ

ظاهرة اتصالية: ١٣، ٢٨، ٣٤، ٣٥، ٣٧،

٤٥، ٤٨، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٦، ٦٢، ٦٩،

٧٢، ٧٦، ٧٧، ٨٢، ٨٩، ٩٨، ١٠٨،

١١٠، ١١٩، ١٤١، ١٤٣، ١٤٦، ١٥١،

١٦١، ٢٤٢، ٢٥٥، ٢٧٥.

ظاهرة الدعوة: ١٥، ٢١، ٢٧، ٦٥، ٨٥،

١١٩، ٢٣٥، ٢٤٢، ٢٤٧، ٢٤٨.

الظاهرة القرآنية (كتاب): ١١٩.

ظواهر الاجتماع البشري: ٩٩، ٢٥٣.

ظواهر طبيعية: ٦٤.

ظواهر علمية: ٦٤.

ع

ابن عاشور، محمد الطاهر: ١٨٦، ١٨٧،

١٨٨.

عالم إسلامي: ١٣، ٢٨، ٦٦، ١٤١، ٢٢٣،

٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٤، ٢٧٠.

عالم السياسة: ١٩٢.

- عبادات: ١٠٢، ١٥٤، ١٨٣، ١٨٧، ١٨٨، ٢٤٧، ٢٥٢.
- عبد الحليم، محيي الدين: ٦٠.
- عرب الجاهلية: ٢٥٣.
- عزي، عبد الرحمن: ١٤١، ١٨٤.
- عشاء رباني: ٤٠، ٥١.
- عقل إسلامي: ٢٨، ٨٥، ٨٧، ١١٠، ١٣٩، ٢٥٠.
- عقل أكاديمي: ٤٨.
- عقل بشري: ٩، ٩١، ١٢٦، ٢٠٨.
- عقل تواصلي: ١٦١، ١٦٢.
- عقلية إسلامية: ٩٨.
- عقيدة التوحيد: ١٩٨.
- علم الاتصال: ١٣، ١٦، ٢١، ٢٢، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٣، ٣٥، ٣٧، ٣٨، ٤٤، ٤٥، ٥٢، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٩، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٧، ٧٨، ٨١، ٩٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٢، ١٥٠، ١٧٣، ١٨٣، ٢٢٥، ٢٧٣، ٢٧٤.
- علم الاتصال العام: ١٣، ١٦، ٣٤، ٢٧٣.
- علم الاجتماع: ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٧، ٨١، ٨٢، ١٥٤.
- علم الإعلام: ٤٩، ٥٥، ٨١.
- علم الإنسان: ٦٩، ٧١، ٧٣، ٩٤، ١١٤، ٢٧٥.
- علم الدعوة: ١٢، ١٣، ١٤، ١٦، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٧، ٥٨، ٦٩، ٢١٩، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٦، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥.
- علم السايبرنتيك: ٤٢.
- علم السيرنطيقا: ٧٢.
- علم النفس الاجتماعي: ١٣، ١٦، ٧٣، ٧٤، ٨٠، ٨١، ١٤٤، ٢٥٤.
- علم النفس الدعوي: ٢١٠، ٢١١.
- علم إلهي: ٩٤، ١١٤.
- علم مطلق: ٩٤، ١١٤.
- علماء الاجتماع: ١٩٢.
- علمانية (علماني): ٣٥، ٣٩، ٤٤، ١٣٩، ٢٥٧.
- علوم اجتماعية: ١٨، ٢٢، ٣٩، ٧٠، ٧١، ٧٥، ٧٦، ٧٨، ٨٠، ٨١، ١٧١، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٤٤.
- علوم إسلامية: ١٨، ١٩، ٦٦، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٤٤.
- علوم السياسية: ٧١، ٧٤، ٨٠.
- علوم الفلك: ١٩.
- علوم القرآن: ١٩، ٨٧، ٢٢٧.
- علوم اللغة: ٧٧.
- علوم هندسية: ٧٢.
- عمل دعوي: ١٢٨، ١٣٢، ١٥٩، ١٨٦، ١٩١، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٢، ٢١٧، ٢٢٦، ٢٦٤، ٢٧٦.
- عمليات التشويش: ١٧٢.
- عملية اتصالية: ١٣، ٢٣، ٣٦، ٣٧، ٤١، ٤٤، ٤٨، ٤٩، ٥١، ٥٥، ٨١، ٩٨، ٩٩، ١٤٩، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٦، ١٧١، ١٧٢، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٩، ١٨١.

عملية الاستجابة: ١٦٠، ١٦٦.

عملية الدعوة: ١٦٠.

عملية تواصلية: ٤٥، ٥١، ٥٦، ١٢٩، ١٥٩،

١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٧٢، ١٧٩، ٢٠٦.

عناصر تاريخية: ١١٨، ٧٤.

عهد مكّي: ١٧٥.

عيسى عَلَيْهِ السَّلَام: ١٢٠، ٢٠٤.

غ

غار حراء: ١٢٥.

غي: ١٠٨.

غيبات: ٩٠، ٩١، ٩٤، ١٥٢، ١٨٨، ٢٠٤،

٢٧١.

ف

فتوى شرعية: ١٦٨.

فجوة معرفية: ١٤٧، ١٤٨.

فرنسية: ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٥٢، ٧٩.

فروع المعرفة: ٧١، ٢٥٣.

فضاء اتصالي: ١٢٥، ٢١٣.

فطرة بشرية: ٩، ٨٧، ١٢٤، ٢٥٤.

فعل اتصالي: ٢٣، ٤٥، ٥٦، ١٦١، ١٧٩،

١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ٢٥١.

فعل إلهي: ٩٣.

فعل تواصلي: ١٢، ٤٩، ١٦٢، ١٨٥، ٢١٤.

فعل تواصلي إعلامي: ٢١٤.

فعل دعوي: ٢٣، ٢٤، ١٣٣، ١٥٩، ١٦٠،

١٦١، ١٦٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٨١، ١٨٢،

١٨٤، ١٨٦، ١٩١، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٠٩.

٢١١، ٢١٤، ٢١٧، ٢٤٠، ٢٧٥.

فقه أحكام الدعوة: ٢٤٩.

فقه إسلامي: ٢٠٨، ٢٥١.

فقه الحج: ٢٥١.

فقه الدعوة: ٢٧، ٧٠، ١٨٣، ١٩٠، ١٩١،

٢٤٦.

فقه المقاصد: ١٨٣، ١٩٠، ١٩١.

فقه الواقع: ١٢٦، ١٩٠، ١٩١.

فقه ممارسة الدعوة: ٢٤٩.

فك الترميز: ١٧١.

فكر اتصالي: ٢٣، ٢٧، ٤٤، ٨٧، ٩٩، ١٣٩،

١٤٤، ٢٣٧.

فكر اتصالي إسلامي: ٩٩، ١٣٩.

فكر تربوي: ٢٢١.

فكر دعوي: ٢١٧، ٢٧٦.

فكر غربي: ٢٧، ٨٧.

فلسفة: ١٩، ٢٣، ٤٥، ٤٩، ٧٤، ٧٨، ١٥٠،

١٨٣، ١٩٩.

فنون الاتصال: ٧٢.

فيديو كليب: ٢٥٩.

فيسبوك: ١٦٦.

ق

القاموس الماركسي: ٤١، ٤٢.

قاموس ويبستر: ٥٠.

قانون: ٧٤، ٢٥٨.

قانون الأمة: ١٨٦، ١٨٨.

قدوة حسنة: ٢٠٩.

- قراءة سكونية: ٤٧.
 القرافي، أبو العباس أحمد بن إدريس: ٢٠٩.
 قربان مقدس: ٥١.
 القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد: ١٠٠،
 كوران، جيمس: ١٤٠، ١٤٣.
 كوزمولوجيا إسلامية: ١٩٨.
 كولبي، تشارلز: ٤٠.

ل

- قصص قرآني: ١٧٤، ٢٠٨، ٢٤٩.
 قنوات فضائية: ٢٠١.
 قواعد الاتصال الدعوي: ٢٠٣.
 قيم اشتراكية: ١٥٢.
 قيم التدين: ١٥٩.
 قيم إنسانية مشتركة: ٢٥١.
 قيم رأسمالية: ١٤٩.
 قيمة تواصلية للمقاصد: ٢٥١.
 لازرسفيلد، بول: ١٩٢.
 لاهوت: ١٠٣، ٢٥٧.
 لحمة الجهد: ١٢٦.
 لسانيات: ٧٧.
 لغات لاتينية: ٥٠، ٥٤.
 لويون، جوستاف: ٨٠.
 لبيبان، والتر: ٧٩، ٨٠.
 ل

م

- ما بعد الحداثة: ٢٤٨، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧،
 ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٤.
 ماركوزه، هيربرت: ١٤٨.
 ماكبرايد، شون: ٧٢، ١٤٠.
 مبدأ التحليل المنهجي: ١٤٠.
 مجتمع الإجابة: ٢٧٠.
 مجتمع الدعوة: ١٠، ١٣١، ٢٧٠.
 مجتمعات إسلامية: ١٣، ١٤، ١٦، ١٧، ١٨،
 ٢٠، ٢١، ٢٧، ٢٨، ٤٥، ٥٦، ٥٨، ٥٩،
 ٦١، ٦٦، ٦٩، ٨٥، ١٣٩، ١٤٦، ١٥٤،
 ١٦٠، ١٨٤، ٢١٩، ٢٢٢، ٢٣٧، ٢٣٨،
 ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٧٣، ٢٧٤.
 مجتمعات المسلمين: ١٢، ٥٥، ١١٧، ١٢٤،
 ٢٠٢.

ك

- كاظم، فلاح: ٤٦.
 كتاب مرجعي: ٢٠.
 كتب منهجية: ١٥، ٢١٩.
 كحيل، عبد الوهاب: ١٩٧.
 كريج، روبرت: ١٤٠، ١٤٥.
 كلاس، ثوماس كوبان: ٤٢.
 كليات الإعلام: ٦٧، ٨١، ٩٥، ٢٠٩، ٢١٩،
 ٢٢٥، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٧٥.
 كلية الآداب والعلوم: ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٣٢.
 كلية الإعلام والدعوة: ٢٢٥، ٢٢٦.
 كلية الشريعة: ٢٢٤، ٢٣٢.
 كلية وجودية: ١١٠.
 كنيسة: ٢٥٧، ٢٧١.

- مجتمعات عربية: ٣٤، ٤٥، ٤٨، ٥٥، ٥٦، ٢٢٣، ١١٧، ٩٥.
- مجتمعات غربية: ٨٧، ١٤٠، ٢٥٨، ٢٦٧.
- مجلة المنار: ١١٦.
- محللون اجتماعيون: ٢٥٨.
- مخلوقات بشرية: ١٠٧.
- مدخل إلى مناهج البحث الإعلامي (كتاب): ٢٣٩.
- مدرسة اجتماعية تركيبيّة: ٧٩.
- مدرسة أنجلو أمريكية: ١٩٢.
- مدرسة سلوكية: ٧٩.
- مدرسة فرانكفورت: ١٤٨، ١٤٩.
- مدرسة فرنسية: ٧٩.
- مذاهب إسلامية: ٩١.
- مراكز إسلامية: ٢٠٢.
- مراكز البحث العلمي: ٢٢.
- مراهنات: ١٢٩، ٢١١.
- مرجعيات تاريخية: ٩٥، ٢٤٢.
- مستشرقون: ١١٧، ٢٦٣.
- مستوى مفاهيمي: ١٠٥.
- مسجد: ١١، ٥٨، ٥٩، ١٣٥، ١٣٦، ١٥٤، ١٥٥، ١٧٩، ١٩٦، ٢٠٣، ٢٥١.
- مسيحية: ٣٩، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٧١.
- مشاركة اجتماعية: ١٩٣.
- مشيئة إلهية: ١٢٤.
- مصالح ضرورية: ١٨٦.
- مصحف: ٩٩، ١٠٨.
- معاني فطرية: ٢٥٢.
- معرفة اتصالية: ٥٢، ٦٣، ٩٠، ١٣٩.
- معرفة إسلامية: ٩، ٩٠، ٩٥، ١٣٥، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٤٢، ٢٥٣.
- معرفة إنسانية: ٩، ٢٩، ٣٩، ٦٤، ٦٥، ٧١، ٨٦، ٨٩، ٩٣، ٩٤، ٢٣٩، ٢٥٣.
- معرفة عقلية: ٩١، ٩٢.
- معهد إسلام المعرفة: ٢٢٠، ٢٢٧، ٢٢٨.
- ٢٢٩، ٢٣١.
- المعهد العالمي للفكر الإسلامي (IHIT): ٢٢٠، ٢٤٣.
- مفهوم اتصالي: ٢٧، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٧، ٥٢، ٥٣، ٦٢، ٦٣، ٦٩، ٧١، ٧٣، ١٩٣، ٢١٨، ٢٣٤، ٢٥٤، ٢٧٥.
- مفهوم الاتصال الدعوي: ٣٣، ٣٩، ٦٢، ٢٣٤، ٢١٨.
- مفهوم الرأي العام: ٥٥، ٨٠.
- مقاربات منهجية: ٢٤٥.
- مقاربة: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٦٥، ٦٩، ٧٧، ٩٢، ١٠٠، ١٣٠، ١٣٢، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٤، ١٨٢، ٢٤٤، ٢٤٨، ٢٥٧، ٢٧٤.
- مقارنة الأديان: ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٤٨، ٢٧٠.
- مقاصد الدعوة: ١٨١، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ٢٠٨.
- مقاصد عامة: ١٨٣، ١٨٤، ١٨٦، ١٩٠.

- مقاصد كلية: ١٨٦، ١٩٠، ١٩٦، ٢٥٢، ٢٥٣.
- مقام النبوة: ١١٤، ١١٦، ١٢٢، ١٢٦، ١٢٧.
- مكتبة إسلامية: ١٤١، ٢٤٩.
- مكون بشري: ١٦٢.
- مكون مادي: ١٦٢.
- مكون معنوي: ١٦٢، ١٦٣.
- مكونات النظام الاجتماعي: ٢٦٢.
- ملتقيات: ٩٦، ١٤٠، ٢٣٤.
- ملحقيات ثقافية: ١٧٧.
- ممارسة تواصلية: ٢٥٦.
- ممارسة دعوية: ١٣، ٣٢، ٣٩، ٥٨، ٦٦، ٦٧، ١٥٩، ١٨١، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٣٥، ٢٤٠، ٢٤٩، ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٧٥.
- مناطق التكليف: ١٠٦.
- مناهج الاتصال الدعوي: ٢٢٣.
- مناهج التحليل اللغوي: ٥٣.
- مناهج العلوم: ٢٢، ٦٦، ٧٠.
- مناهج الفقه الإسلامي: ٢٥١.
- مناهج تدريسية: ١٤٤، ٢٢١، ٢٢٢.
- مناهج جامعية: ٢١٧، ٢١٩، ٢٧٥، ٢٧٦.
- منصور، طلعت: ٤٧.
- منطق: ٩، ١٦، ١٧، ٢٨، ٢٩، ٣٢، ٦١، ٧١، ٧٤، ٧٨، ٨٧، ٨٨، ٩٥، ١٠٥، ١٠٩.
- ١١٣، ١٢٩، ١٤٨، ١٦٢، ١٦٨، ٢٠٠.
- ٢١٣، ٢٢٦، ٢٤٢، ٢٥٠، ٢٥٥، ٢٥٧.
- ٢٧٣، ٢٧٤.
- منظور توحيدى: ٦٤، ٦٥.
- منظور كوني: ١٤١.
- منهج الإسلام الوسطي: ٢٢٩.
- منهج تدريسي: ١٤٣.
- منهج جامعي: ٢٤، ٢١٧، ٢٢١.
- منهج علمي: ٢٣٨.
- منهج فقه السيرة: ١٢٢.
- منهجية علمية: ١٣، ٣٩.
- مهارات اتصال: ٥١، ١٦٣.
- مهرجانات: ٩٦، ١٧٦.
- مواجهة المخاطر: ١٣٠، ١٣٣.
- مواقع إلكترونية: ١٧٧.
- مؤسسة أكاديمية: ١٧، ٢١٨، ٢٢٤.
- مؤسسة أكاديمية إسلامية: ١٧، ٢٧٤.
- موسى عَلَيْهِ السَّلَام: ١١٨، ١٢٠، ١٢٢، ٢٠٨.
- مؤشرات بحثية: ١٦٠.
- مونرو، مارلين: ٢٦٠.
- ميدالوجيا: ٤٩.
- ميرتون، روبرت: ١٩٢، ١٩٣.
- ميزان معياري: ٢٠١.
- ميكافيلية: ٤٩.
- ميكانيزم: ٤٠، ٤١.
- ن
- نبرات الصوت: ٤١.
- ندوات: ٩٦، ١٢٥، ١٦٧، ٢٤٦.
- نسق إسلامي: ١٣٩، ٢٣٧، ٢٦٠، ٢٦٢.
- نشاط اتصالي إنساني: ١٩٧.

- نشاط دعوي: ٦٠، ٦٦، ١٤٦، ٢٧٥.
- نشر الإسلام: ١١، ٥٨، ٢٦٨.
- نشر إلكتروني: ٢٢٤.
- نشوء وتطور: ٢٨.
- نص قرآني: ٨٧، ٨٨، ٩١، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١٠٧.
- نظام إعلامي: ٦١، ٢٠٣.
- نظام معرفي: ١٧، ٨٥، ١٤٧، ٢٢١، ٢٧٤.
- نظام معرفي إسلامي: ١٧، ٨٥، ٢٧٤.
- نظر اتصالي: ٣٥، ٦٣، ٨٢.
- نظر عقلي: ١١٤.
- نظرة وجودية: ١١٤.
- نظرية اتصالية: ٢٣، ١٣٩، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٨، ١٤٩.
- نظرية الحتمية القيميّة: ١٨٤، ٢٥٧.
- نظرية النشوء والارتقاء: ١١٠.
- نظم إسلامية: ١٩٦.
- نظم اشتراكية: ١٥٢.
- نظم الإعلام: ١٥٠، ١٥٢، ١٨٣.
- نظم الإعلام الغربية: ١٥٢.
- نقاش: ١٢، ١٩٤، ٢٠٧.
- نقد علمي: ١٢.
- نكاح الشغار: ٢١١.
- نماذج معيارية: ١٢.
- نمط أيدولوجي: ٢٣٧.
- نمط تواصلي: ٨٥، ٩٠، ٩٨.
- نموذج استهلاكي: ٣٢.
- نموذج بشري: ٩٠.
- نموذج حضاري: ١٢.
- نموذج سني: ٨٥.
- نموذج غربي: ١٢، ٢٥٩.
- نموذج معرفي توحيدي: ٦٤.
- نموذج وثني: ٩٠.
- النمور الآسيوية: ١٤٩.
- نهوض حضاري: ٢٤٣.
- ه
- هابرماس، يورغن: ٤٩، ١٤٩، ١٦٢.
- هاتف: ٤١، ١٦٦، ١٧٧.
- هارون عَليّه السّلام: ١٢٠، ١٢٢.
- هتلر، أدولف: ٦١، ٢٣٩.
- هداية الشرع: ١٠٥.
- هنتنغتون، صمويل: ١٥٢.
- هوركهايمر، ماكس: ١٤٨.
- و
- وات، مونتجمري: ٢٦٣.
- واقع اجتماعي: ٤٧، ٤٨.
- واقع عربي إسلامي: ٥٣.
- وجود بشري: ٢٩، ١١٣.
- ودود، آمنة: ٢٥٩، ٢٦٠.
- وزارة الخزانة: ٧٦.
- وسائل اتصال: ١٤، ٢٠، ٣٨، ٤٣، ٥٠، ٥١، ٥٤، ٥٥، ٧٩، ٨١، ١٤١، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٧، ١٤٩، ١٥١، ١٥٢، ١٦٢، ١٦٩، ١٧٧، ١٨٣، ١٩٢، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦.

- ١٩٧، ٢٠٠، ٢٠٩، ٢١٣، ٢١٤، ٢٤٠،
 ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٨،
 ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٤، ٢٦٨.
 وسائل اتصال إلكترونية: ١٤.
 وسائل الاتصال الجماهيرية: ١٤، ٥٥، ١٦٩،
 ١٧٧، ١٨٣.
 وسائل الإعلام: ٤٦، ٦١، ٧٤، ٨١، ١٠٤،
 ١٤٣، ١٤٤، ١٤٧، ١٤٨، ١٥١، ١٦٤،
 ١٧٣، ١٩٢، ١٩٦، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠١،
 ٢٠٢، ٢٠٣، ٢١٣، ٢١٤، ٢٣٣، ٢٣٩،
 ٢٤٠، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦٠،
 ٢٦٢.
 وسائل الإعلام الجماهيري: ٢٣٩.
 وسائل سيطرة: ١٧١.
 وظيفة اتصالية: ١١، ٨٠، ١٩٧.
 وظيفة الترفيه: ٢٠٢.
 وظيفة تنمية: ٢٠٢.
 وظيفة دينية: ١٩٤، ٢٠٠.
 وظيفة عمرانية: ١٩٨.
 وظيفة معرفية: ١٤٧، ٢٠٠، ٢٠١.
 وعظ وإرشاد: ٥٨، ١٩٦.
 وعي إسلامي: ٨٧، ٩١، ١٨٤.
 وعي إنساني: ٢١٢، ٢١٤.
 وعي مقاصدي: ١٨٢.
 ولاء قلبي: ٢٠٤.
 الولايات المتحدة الأمريكية: ٧٢، ٧٦، ٧٩،
 ٢١٣، ٢٦٤، ٢٧٠.
 وينر، نوربرت: ٤٢، ٧٢، ٧٤.
 يانصيب: ٢١١.
 يقينيات: ٩٠.
 يهودية: ٢٦٣، ٢٦٦.
 يوتيوب: ١٦٦.
 يونس عَلَيْهِ السَّلَام: ١١٩، ٢١١.
 يونسكو: ٧٣، ٧٥.
 يونغ، هانس: ١٠٣.





هذا الكتاب

محاولة لإعادة توجيه اهتمامات البحث والدراسة في حقلي الدعوة والاتصال معاً، وتعبيراً عن حقيقة التقارب في تقديم المقولات والمسائل المتعلقة بالإعلام وطرق معالجتها من ناحية، والدعوة من ناحية أخرى، لا بوصفها مقررات منهجية وتخصصات أكاديمية فحسب، بل بوصفها ممارسات جارية في بنية المجتمعات الإسلامية، واستجابة لدواعي التوفيق بين مسارات التطوير والتزكية والتنمية في هذه المجتمعات. ويظهر الكتاب رغبة القائمين على حقلي الدعوة والاتصال في إكساب معالجاتهم لمحتوى تخصصاتهم مزيداً من إحكام التنسيق بين حدود المعرفة النظرية وامتداداتها التطبيقية.



وإذا كان العلم "منظومة من النظريات والمناهج والوقائع" واتخذ في تعليمه شكل الكتاب المنهجي أو المرجعي، أو مجموعة من القراءات والمراجعات، وغير ذلك من أشكال التأليف العلمي؛ فإن هذا الكتاب يحاول بناء صورة من التكامل المنهجي بين دراسات الاتصال ودراسات الدعوة تفيد في تدريس مساق علمي جديد، موضوعه الأساس هو (الاتصال الدعوي)، وأن هذا المساق قادر على أن يمثل قطب الرّحى ومحور الارتكاز في إعادة تأسيس علم الدعوة وتفعيله في واقع المجتمعات الإسلامية المعاصرة، ومن ثمّ إعادة بناء صورة الإسلام لدى الإنسان المعاصر.

مُحَمَّدُ بَاكِرُ الْعَوَضِ عَبْدُ اللَّهِ

دكتوراه في الإعلام وعلوم الاتصال ٢٠١٠م، أستاذ الإعلام المشارك بجامعة الجزيرة في السودان ونائب مدير الجامعة، عمل عميداً لمعهد إسلام المعرفة في الجامعة ورئيساً لتحرير مجلّة (تفكّر) من ٢٠١١-٢٠٠٧. وهو عضو اتحاد الصحفيين السودانيين، وعضو الرابطة الدولية لباحثي الإعلام والاتصال في الولايات المتحدة. أشرف وناقش العديد من الرسائل الجامعية. وله عدد من المؤلفات والأبحاث العلمية والمقالات. من كتبه: الإصلاح المعرفي- دور التعليم العالي في تعزيز مجتمع التوحيد، وبناء مجتمعات المعرفة، وأيام قبل نهاية التاريخ، ومستقبل الإسلام: مقارنة في فقه المستقبل، والطريق إلى مجتمع المعرفة. البريد الإلكتروني: melawad@uofg.edu.sd

